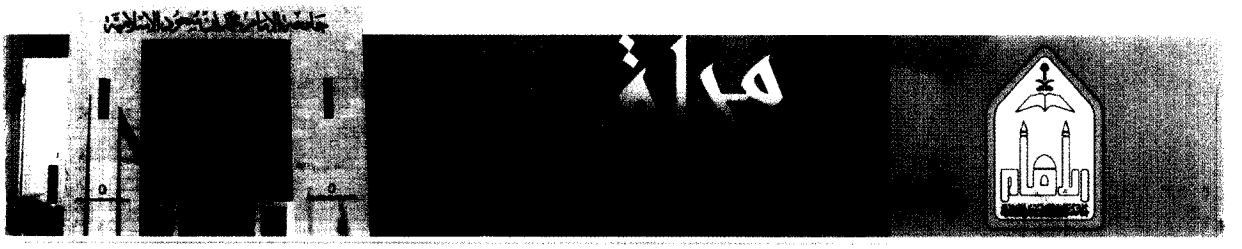

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الثاني
محرم ١٤٢٨هـ

- الإسلام والمسلمون في ظل الدولة المغولية في الصين
  د. جعفر كرار أحمد
- الأحوال الاقتصادية لفئات العامة من المجتمع المصري
  د. صبحي محمود العزام
- سلوك المستفيدين في البحث عن المعلومات
  د. عبدالوهاب بن محمد أبا الخيل
- قادة الرأي في المجتمع السعودي
  د. محمد بن سعود البشر
- الانتقال إلى دراسة السمات الشخصية لدى المترجم
  د. عاطف فالح يوسف

www.imamu.edu.sa
E.mail : journalimam@yahoo.com

مجلة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الثاني
محرم ١٤٢٨هـ

www.imamu.edu.sa
E.mail : journalimam@yahoo.com

رقم الإيداع ١٤٢٧/٤٨٨٨ بتاريخ ١٤٢٧/٩/٧هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٣١١٦- ١٦٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الدكتور/ محمد بن سعد السالم

مدير الجامعة

الدكتور / عبدالله بن حمد الخلف

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

الأستاذ الدكتور/ فهد بن عبدالعزيز العسكر

عميد البحث العلمي

أعضاء هيئة التحرير

* * * * * *

- **أ.د. فهد بن محمد السدحان**

  الأستاذ بقسم أصول الفقه ـ كلية الشريعة

- **أ.د. إبراهيم بن سعيد الدوسري**

  الأستاذ بقسم القرآن وعلومه ـ كلية أصول الدين

- **أ.د. أحمد بن حافظ الحكمي**

  الأستاذ بقسم الأدب ـ كلية اللغة العربية

- **أ.د. عبدالرحمن بن محمد العمار**

  الأستاذ بقسم النحو والصرف وفقه اللغة ـ كلية اللغة العربية

- **أ.د. إبراهيم بن سليمان الأحيدب**

  الأستاذ بقسم الجغرافيا ـ كلية العلوم الاجتماعية

- **د. عبدالله بن صالح الحقيل**

  الأستاذ المشارك بقسم الإعلام ـ كلية الدعوة والإعلام

- **د. أحمد بن عبدالله البنيان**

  الأستاذ المشارك بقسم اللغة الإنجليزية ـ كلية اللغات والترجمة

- **د. خالد بن سعد المقرن**

  الأستاذ المشارك بقسم الاقتصاد ـ كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥- ألا يكون قد سبق نشره .

٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أوكتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢- ألا تزيد صفحات البحث عن (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .

٣- أن يكون بنط المتن (١٧) Traditonol Arabic ، والهوامش بنط (١٣) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤- يقدم الباحث ثلاث نسخ مطبوعة من البحث، مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العلم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل .

سابعاً : تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

ثامناً : لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

تاسعاً : يُعطى الباحث خمس نسخ من المجلة، وعشر مستلات من بحثه .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم عميد البحث العلمي

الرياض ١١٤١٥- ص- ب ١٨٠١١

هاتف : ٢٥٨٢٢٣٠ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

journalimam@yahoo.com

المحتوى

الموضوع	الصفحة
١- **الإسلام والمسلمون في ظل الدولة المغولية في الصين** الدكتور/ جعفر كرار أحمد	١٣
٢- **الأحوال الاقتصادية لفئات العامة من المجتمع المصري** الدكتور/ صبحي محمود العزام.....	٨١
٣- **سلوك المستفيدين في البحث عن المعلومات** الدكتور/ عبدالوهاب بن محمد أبا الخيل	١٣١
٤- **قادة الرأي في المجتمع السعودي** الدكتور/ محمد بن سعود البشر	١٧١
٥- **معايير العمل ومنظمة التجارة العالمية** الدكتور/ خالد بن عبدالرحمن المشعل	٢٠١
٦- **الانتقال إلى دراسة السمات الشخصية لدى المترجم** الدكتور/ عاطف فالح يوسف	١

دراسة حول

الإسلام والمسلمين في ظل الدولة المغولية في الصين

د. جعفر كرار أحمد

معهد البحوث الثقافية العربية الإسلامية

جامعة بكين

ملخص البحث :

تحاول هذه الدراسة أن ترسم صورة عامة عن العلاقة بين الحكام المغول في الصين والمسلمين والإسلام خلال الحقبة من ٦٧٠- ٧٧٠هجرية (١٢٧١- ١٣٦٨م) وهى الحقبة التي يطلق عليها المؤرخون الصينيون حقبة أسرة يوان الملكية. كما ترصد الدراسة وضع الإسلام والمسلمين في الصين في هذه الحقبة، كما سنحاول أن نستعرض مساهمتهم في بناء الدولة المغولية في الصين ومساهمتهم في رفد الحضارة والثقافة الصينية والتطور الاقتصادي والعلمي للصين في هذه الحقبة. كما اختارت الدرسة شخصيتين إسلاميتين هما السياسي المسلم العظيم السيد الأجل عمر شمس الدين، والمعماري يحيى طاهر بوصفهما شخصيتين قدمتا إسهامات ملموسة وتركتا خلفهما مآثر مشهودة. كما سترد الدراسة على مدرسة غربية قلّلت وتقلّل بشكل مستمر من إسهامات المسلمين الصينيين في مجرى الحضارة الصينية في تلك الفترة. وأخيراً تفترض هذه الدراسة أن الإسلام الذي جاء إلى الصين خلال أسرة تانغ ٦١٨- ٩٠٧م قد ازدهر بشكل كبير وتحول إلى دين جماهيري إبّان الحقبة المغولية في الصين.

المقدمة :

تحاول هذه الدراسة أن ترسم صورة عامة عن العلاقة بين الحكام المغول في الصين والمسلمين والإسلام خلال الحقبة من ٦٧٠- ٧٧٠هجرية (١٢٧١-١٣٦٨م) وهى الحقبة التي يطلق عليها المؤرخون الصينيون حقبة أسرة يوان الملكية.

كما ترصد الدراسة وضع الإسلام والمسلمين في الصين في هذه الحقبة، كما سنحاول أن نستعرض مساهمتهم في بناء الدولة المغولية في الصين ومساهمتهم في رفد الحضارة والثقافة الصينية والتطور الاقتصادي والعلمي للصين في هذه الحقبة.

كما اختارت الدرسة شخصيتين إسلاميتين هما السياسي المسلم العظيم السيد الأجل عمر شمس الدين، والمعماري يحيى طاهر بوصفهما شخصيتين قدمتا إسهامات ملموسة وتركتا خلفهما مآثر مشهودة.

كما سترد الدراسة على مدرسة غربية قلّلت وتقلّل بشكل مستمر من إسهامات المسلمين الصينيين في مجرى الحضارة الصينية في تلك الفترة مشككين في انتمائهم الوطني للصين بشكل يرمي إلى عزلهم عن محيطهم الثقافي والسياسي الراهن، والكاتب يعتقد أن الإسلام في الصين لم يعد ديناً أجنبياً في الصين وقد بلغ عمره أكثر من ١٣٠٠عام يقف جنباً إلى جنبٍ مع أديان الصين الأخرى وفلسفاتها كالبوذية والطاوية والكنفوشسية وغيرها.

وأخيراً تفترض هذه الدراسة أن الإسلام الذي جاء إلى الصين خلال أسرة تانغ ٦١٨- ٩٠٧م قد ازدهر بشكل كبير وتحول إلى دين جماهيري إبَّان الحقبة المغولية في الصين.

الإسلام في الصين قبل العصر المغولي :

تؤكد المصادر التاريخية الصينية أن الوجود العربي في الصين تزامن مع مجيء أسرة تانغ (Tang) (٦١٨- ٩٠٧م) إلى حكم الصين، وقبل ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية وقد كان هناك عرب ضمن رعايا تلك الأسرة وكانت لهم نشاطات تجارية بالإضافة إلى صناعات صغيرة حيث أقاموا مصنعاً بمدينة قُوانغتُشو (Guangzhou) وذلك في حدود سنة ٥ هجرية (٦٢٦م)[١]..

هذا بينما تؤكد مصادر أسرة مينغ والمصادر التي تلتها أن أربعة رجال من شبه الجزيرة العربية جاءوا إلى الصين أثناء حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بغية نشر الإسلام بها، وقد استقر أولهم في مدينة قُوانغتُشو (Guangzhou) بينما استقر الثاني في مدينة يَانْغتُشو (Yang Zhou) وانتهى المقام بالصحابيين الثالث والرابع بمدينة قُوانغتُشو (Quangzhou)[٢].

هذا بينما ترصد مصادر أخرى بعثة يبدو أنها ذات طابع رسمي قادمة أيضاً من شبه الجزيرة العربية حيث يؤكد القس فيندلي أندرو (Findly Andrew)، أنه على الأقل(لنا سجل واحد عن زيارة قامت بها بعثة عربية إلى الصين خلال حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث قامت تلك البعثة بزيارة البلاط

---

(١) Broom Hall , Marshall . Islam in china, a Neglected Problem, London, Morgan and Scotts, 1910, p 8

(٢) Lao Qing

المسلمون في مدينة يانجو الماضي والحاضر ، مجلة بناء الصين، العدد رقم ٩، سبتمبر ١٩٨٩م ، ص ٤١، وانظر: إبراهيم فنغ جين يوان، تعريب محمود يوسف لي هوا ين، الإسلام في الصين، بكين دار النشر باللغات الأجنبية، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ ، ص ٧- ٩ ، وأيضاً

Leslie, Donald Daniel, Islam In traditional China, Ashort history to 1800 AD, Canberra College of Advance Education, 1986, P.69-78

الإمبراطوري في العاصمة شِيآن (Xi An) (مدينة شِيآن الحالية) وبعد انتهاء مهمة البعثة عادت إلى الجزيرة العربية مخترقة وسط آسيا ثم بلاد فارس ووفقاً للتقاليد الصينية فإن الإمبراطور أرسل مع البعثة من يدلها على طريق عودتها إلى موطنها[١].

ونلاحظ أنَّ أعداداً كبيرة من العرب والفرس كانت تقيم في بعض المدن الصينية إبَّان فترة مملكة وَي (Wei) الشمالية (٣٨٦م- ٥٥٧م) بالإضافة إلى جالية عربية كبيرة كانت تقيم في منطقة لُويَانْغ (Lo Yang) المعروفة الآن بمحافظة خونان، هذا إلى جانب جالية عربية مشهورة في قُوانغتُشو (Guangzhou) [٢].

ومن الطبيعي أن يكون العرب قد حملوا مع بضائعهم وتجاراتهم ، ثقافاتهم ودينهم الجديد. ونعتقد أنَّ التُّجار العرب في الصين الذين قد يكون أسلم بعضهم إبّان حياة الرسول الكريم قد ساهموا في سنة٣١هجرية (٦٥١م) بتنظيم أول بعثة إسلامية رسمية للصين أرسلها الخليفة الراشد عثمان بن عفان إلى البلاط الصيني وقد استقبلت تلك البعثة استقبالاً طيباً في الصين[٣].

وقبل أن يتلاشى حكم أسرة تانغ كان الإسلام قد وجد له موطأ قدمٍ في الصين وبلغ المسلمون من القوة والاحترام للحد الذي سمح فيه إمبراطور الصين باختيار

---

(١) Rev. G. Findlay Andrew, O.B.E, Islam in North –.China today , Journal of the Royal Central Asian Society, Vol. XIX , January 1932, p.90 . See also, O.C. Crawford. The Appeal of Mohammedanism to the Chinese Mind. No date, Yen Ching University Library, Soochow, west no date, p.2

(٢)رضوان ليو روى ، اللغة العربية في الصين ، الماضي والحاضر ، مقال من جزأين ، الجزء الأول ، مجلة بناء الصين ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٩ ، ص ٣٢.

(٣) كتاب تاريخ أسرة تانغ الجديد، الفصل ٢١١(باللغة الصينية)، وانظر Broom Hall, Op. Cit., P.13

وال من بينهم يحكم بينهم، وفى هذا الصدد يذكر سليمان التاجر السيرافى "أنَّ بخانفو وهو مجتمع تجار البحار رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية نائباً عن ملك الصين وذلك إذا كان في العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين وإنَّ التُّجار العراقيين لا ينكرون في ولايته شيئاً من أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عزَّ وجلّ وأحكام الإسلام[1].كما تعزّزت في هذه الحقبة العلاقات بين التُّجار العرب من جهة والبلاط الصيني، وبين البلاط الصيني ومراكز الخلافة الإسلامية في بغداد ودمشق وغيرها من جهة أخرى وعلى سبيل المثال وليس الحصر وصلت في الحقبة من ٣١- ١٨٤ هجرية (٦٥١- ٨٠٠ ميلادية) ثلاث وأربعون سفارة عربية إسلامية إلى بلاد الصين تغطي عهود الخلفاء الراشدين والدولة الأموية وجزءاً من الدولة العباسية ١٣٣- ٢٣٣ هجرية (٧٥٠- ٨٤٧ ميلادية) حيث أوفد كل من أبي العباس، والمنصور، والمهدي، والهادي وهارون الرشيد بعثات إلى الصين. وفي هذا الصدد فإن موسوعتي تَانغ شو (Tang Shu) وسي– فو– يوان – قوي (Ce-Fu-Yuan-Gui) الإمبراطوريتين تذكران أن عدد السفارات العربية الإسلامية إلى الصين خلال حقبة الدولة الأموية بلغ سبع عشرة سفارة بالإضافة لخمس عشرة سفارة أوفدتها الدولة العباسية وسفارتين أخريين أرسلهما حكام عمان[2].

---

(١)السيرافى، أبوزيد، رحلة السيرافى إلى الهند والصين، منشورات البصري، بغداد، ١٩٦١، طبعة جديدة لكتاب سلسة التواريخ والمتضمن رحلة سليمان التاجر المسمى بأخبار الصين والهند وما أضافه عليها أبوزيد الحسن السيرافى، ص ٣٤.

(٢) انظر كتاب تاريخ أسرة تانغ القديم، الفصل ١٩٨، (باللغة الصينية) وأيضاً Ce- Fu-Yuan Gui (أرشيف الموسوعة الإمبراطورية) الفصل ٩٧٦- ٩٧٠، باللغة الصينية. وانظر أيضاً فيصل السامر، الجذور التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى، دار الطليعة، مطبوعات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٧، ص ٤٦.

وبانهيار أسرة سُونْغ (Song) الملكية ٣٤٩- ٦٧٨ هجرية (٩٦٠-١٢٧٩م) التي أعقبت أسرة تَانْغ (Tang) كان المسلمون والإسلام قد مضى على وجودهم في الصين أكثر من ستة قرونٍ عُمر خلالها الكثير من المساجد ودخل الكثير من السكان المحليين إلى الإسلام وشارك أحفادهم في إدارة الدولة الصينية وفى حركة الأدب والثقافة وإن لم يكن بصورة ملفتة وواسعة، كما كانت التجارة العربية الصينية تعيش أزهى عصورها[1].

وعلى كل حال انتهت صفحات مجيدة في تاريخ التبادل بين الصين والدول الإسلامية في سنة ٦٥٦ هجرية (١٢٥٨م) عندما سقطت العاصمة بغداد على يد القائد المغولي هولاكو لينتهي العصر الذهبي للعلاقات الصينية العربية في الفترة العباسية.وبعد عقدين من سقوط الخلافة العباسية أنشأ المغول في عام ٦٧٨هجرية ١٢٧٩م أسرة يوان الملكية في الصين ليصبح المغول سادة لكل من بغداد وبكين.

* * *

(١)جعفر كرار أحمد، تاريخ العلاقات الصينية العربية، رسالة دكتوراه، جامعة نانجين، إشراف الأستاذ Chen De Zhe والأستاذ المساعد Hua Ta جامعة نانجين، ١٩٩٥، انظر الجزء الخاص بتاريخ العلاقات الصينية العربية إبَّان أسرتي تانغ وسونغ الملكيتين في الصين.

المغول والإسلام في الصين :

وهكذا نرى أنه وقبل أن يدكّ المغول أسوار أسرة سُونغ (Song) الجنوبية في سنة ٦٧٩ هجرية (١٢٨٠م) ليوحدوا كل الصين تحت قبضتهم كان للإسلام في الصين وجود وأتباع.

إلا أنَّ المغول الذين اجتاحوا كل مناطق آسيا الوسطي وأجزاء واسعة من غرب آسيا أجبروا معهم عشرات الآلاف من الحرفيين والمهنيين والعلماء والإداريين المسلمين للتقدم معهم باتجاه الصين أو جلبهم من هذه المناطق بعد أن استتب الأمر لهم لإدارة بلد بلغ من الحضارة والتقدم شأناً عظيماً. والمعروف عن المغول أنهم بالرغم من قسوتهم الشديدة أثناء الحروب إلا أنهم كانوا أثناء زحفهم يوقرون العلماء ويبقون على حياتهم بغية الاستفادة منهم في حكم البلدان والشعوب التي تقع تحت قبضتهم[١] * وكان جنكيزخان ٦٠٣- ٦٢٥ هجرية (١٢٠٦-١٢٢٧م) نفسه قد أسر في معركة سمرقند في سنة ٦١٧ هجرية (١٢٢٠م) أكثر من ٣٠ ألف شخص جزء كبير منهم حرفيون وصناع أسلحة وعلماء ومهنيون وفنانون مسلمون.وقد أقام بعضهم لاحقاً في منغوليا وشمال الصين[٢].وهكذا أجبر المغول

---

(١)طه ندى، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية بلا تاريخ، ص ١٥٦، انظر أيضاً، جامع التواريخ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني، تاريخ المغول، المجلد الثاني – الجزء الأول، الإيلخانيون، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، نقله إلى العربية محمد صادق نشأت، محمد موسى هنداوى، فؤاد عبد المعطي الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بلا تاريخ ص ٣١٧.

* يورد كتاب جامع التواريخ- تاريخ المغول- الإيلخانيون. قصة مقتل الملك ناصر الدين الذي فوض إليه هولاكو حكومة دمشق فيقول "وأهلكوا الملك الناصر مع ثلاثمائة رجل شامي. وباستثناء مجد الدين المغربي الذي نجا بحجة اشتغاله بالتنجيم – لم يتركوا أي مخلوق آخر حياً" ص ٣١٧.

(٢) Rossabi, Morris , the Muslims in the Early Yuan Dynasty , John D.Langlois , Jr, (editor), China Under Mongol, (Princeton University Press , New Jersey) 1981, p. 236

الكثير من المسلمين بالتقدم معهم إلى الصين للمساعدة في إدارتها وأصبح العرب والمسلمون الذين سقطت دولتهم الإسلامية في سنة ٦٥٦ هجرية (١٢٥٨م) جزءاً من الشعوب التي يحكمها المغول، وقد لاحظ المغول المهارات الإدارية والعلمية للمسلمين القادمين من غرب ووسط آسيا فاتخذوا قراراً بالاستفادة من خبراتهم في حكم الصين، ويقول المؤرخ العراقي الراحل هادى العلوي في هذا الصدد: إنَّ المغول قد اعتمدوا على الأجانب بما فيهم المسلمون لحكم الصين في الحقبة المغولية لاعتبارين:

١- كفاءتهم في مناحي الحياة المختلفة لكونهم العنصر الأرقى تمدناً في ذلك الوقت.

٢- منطق الاحتلال الذي يعتمد على الأجانب لحكم بلد محتل لعدم ثقته بأبناء البلد وفى هذين الاعتبارين لعب – على حد تعبيره- المسلمون دور العنصر الكفء في إدارة بلد متحضر مع دور المتواطئ الأجنبي ضد بلد محتل[1].وبالرغم من أننا نكاد بشكل عام نتفق مع أستاذنا الجليل هادي العلوي في تقييمه لأسباب اعتماد المغول على الأجانب ومن ضمنهم المسلمون لإدارة الصين إلا أنَّ هادي العلوي لم يلحظ أنَّ المسلمين كانوا في ذلك الوقت هم أنفسهم مواطنون في الإمبراطورية المغولية الضخمة وكانت معظم أراضيهم تحت الاحتلال المغولي أيضاً.

وعلى كل حال قام المغول الذين حكموا الصين من داخل الصين وليس من عاصمتهم في منغوليا بإيجاد تنظيم يبدو في شكله العام أقرب لنظام الفصل

(١) هادي العلوي، المستطرف الصيني، من تراث الصين، منشورات دار المدى، سوريا، دمشق، ١٩٩٤، ص ٢٩٩

العنصري الذي كان سائداً في جنوب أفريقيا حيث قسَّم الحكام المغول الناس إلى أربع طبقات أو مجموعات بامتيازات مختلفة وهم: -

١- (Mongo Ren) المغول.

٢- (Semu Ren) وهم الأجانب من مسلمين ومسيحيين ويهود ولادينيين، عرب وكوريين وأتراك وفرس وغيرهم.

٣- (Han Ren) وهم سكان شمال نهر اليانغسى.

٤- (Nan Ren) وهم سكان جنوب نهر اليانغسي[١].

وهكذا وجد القادمون الجدد من المسلمين في الصين وغيرهم من أصحاب الديانات موقعاً متقدماً في السلم الاجتماعي بحسبان وجودهم ضمن الفئة الثانية حسب التقسيم العرقي المغولي (Semu Ren) وقام المغول بنشر مئات بل آلاف المسلمين في جميع أنحاء الصين، في مدن الصين وقراها من يونان إلى بكين ومن منغوليا الداخلية إلى قُوانغتُشو (Quangzhou) للمساهمة في إدارة الإمبراطورية الجديدة وحماية الأمن واستصلاح الأراضي وحماية الثغور وذلك وفق نظام إداري وعسكري صارم، إلا أنَّ الوثائق التاريخية الصينية والعربية والغربية التي اعتمدنا عليها في هذا البحث تشير إلى أنه كان للمسلمين مكانة مهمة لدى قبلاي خان الذي وحَّد الصين، وقد حظي المسلمون في عصره بثقة البلاط المغولي وإن لم تكن هذه الثقة كاملة كما سنرى لاحقاً في متن هذه الدراسة إلا أنهم كانوا يبدون في وضع جيد بشكل عام. وقد استفاد قبلاي خان من مهاراتهم الإدارية والسياسية

---

(١)Baabar , Edited by C.Kaplonski , Translated by D.suhjargalmaa, S.Burenbayar ,H.Hulan and N.Tuya,. History of Mongolia , First Published , 1999, White house Press , Knapwell, Cambridge ,p 49

والاقتصادية والعلمية والعسكرية لإدارة مملكته الجديدة في الصين. وتلاحظ الوثائق الصينية أنَّ المسلمين كانوا يحتفظون بمواقع مهمة في المملكة الجديدة حتى قبل أن يقضي المغول نهائياً على أُسرة سُونغ (Song) الجنوبية ٥٢١- ٦٧٨ هجرية (١١٢٧- ١٢٧٩م) حيث كان ـ على سبيل المثال ـ القادة العسكريون الرئيسيون في يونان من العرب المسلمين وكان في مقدمتهم قادة يعرفون بأسماء بهاء الدين وعلاء الدين ويوسف[١].كما كان عدد كبير من الإداريين كما سنرى لاحقاً ينتشرون من بكين وحتى يونان ومنغوليا الداخلية الحالية، بل إنَّ خبراء مدافع مسلمين مثل إسماعيل وعلاء الدين قد أسهموا في اجتياح مدينة شِيانغ يَانغ (Xiang Yang) آخر معاقل أُسرة سُونغ (Song) الجنوبية حيث يقول تاريخ أُسرة يوان في هذا الصدد "أرسل في عام ١٢٧١م شِي زو (Shi Zu) (قوبلاي خان) مبعوثا خاصا إلى الأمير يبو قو(Abu- ge) الذي كان حاكماً على فارس يطلب منه إرسال فنيين متخصصين في صناعة المدافع. وقد أمر الأمير المنغولى إسماعيل (i- si- ma – yin) وعلاء الدين (wa-ding-alo) و(علاء الدين) من منطقة mu- fa- li(قد تكون الموصل) بالسفر إلى الصين وقد حضر الرجلان وعائلتاهما إلى العاصمة Dadu (بكين الحالية) عبر طريق البري.وفى سنة ٦٧٢ هجرية (١٢٧٣م) هاجم الجيش المغولي مدينة شِيانغ يَانغ Xiang (Yang) الموقع الإستراتيجي والمعقل الحصين لحكام أُسرة سُونغ (Song) الجنوبية التي كانت لا تزال تقاوم الغزو المغولي وقد استدعي إسماعيل وعلاء

(١) Jianping Wang , Concord and Conflict , The Hui Communities Of Yunnan Society in a Historical Perspective , Edited by Torad Olsson , Lund Studies in African and Asian religions , volume 11,printed by Student Littérateur, Lund, 1996, p 46.

الدين على الفور للجبهة الأمامية للقتال واستخدما مهارتهما الفنية والقتالية حيث استخدما آلة لقذف الحجارة وحطما بها سور المدينة وأبراجها مما أدخل الهلع إلى قلوب المحاربين وسكان المدينة "[١].

ونلاحظ أنَّ علاء الدين وإبراهيم قد عينا بعد فتح المدينة وانهيار أُسرة سُونغ الجنوبية جنرالات في وحدة المدفعية التي كونها العرب المسلمون كوحدة ضاربة في الجيش المغولي ورقيا بعد ذلك إلى مركز عسكري لا يشغله في الغالب إلا القواد المغول وهو منصب (Wan Hua) أي قائد لـ ١٠ آلاف مدفعجي[٢].ونلاحظ أنَّ أبناء وأحفاد هذين القائدين العسكريين قد ورثوا مواقع آبائهم وأجدادهم في الجيش المغولي كفنيين وجنرالات في سلاح المدفعية. ويورد كتاب تاريخ أسرة يوان عدداً من أسماء أبنائهم وأحفادهم نذكر منهم فوزي(Fu-mou-zi) وحفيده محمد (Mahama- su) والحسن وابن إبراهيم وغيرهم[٣].ويلقى مصدر إسلامي آخر مزيداً من الضوء على دور المسلمين في نقل صناعة البارود والمدافع إلى الصين والإسهام في هزيمة أسرة سُونغ الجنوبية إذ يقول رشيد الدين " وصل صنّاع المنجنيق ومساعدوهم من بعلبك ودمشق وهم طالب، إبراهيم، ومحمد وصنعوا سبعة مناجيق وضربوا بها مدينة شِيانْغ يَانْغ فو (Xiang Yan Fu) "[٤]*.

---

(١)كتاب تاريخ أسرة يوان، الفصل ٢٠٣ (باللغة الصينية).

(٢)نفس المصدر.

(٣)نفس المصدر.

(٤) Boyle, John Andrew, The Successors of Genghis Khan, Translated from the Persian of Rashid Al-Din, New York, Columbia University Press, 1971, pp. 290-291

* أول من وضع المنجنيق جذيمةُ الأبرشُ ملكُ الحيرة على العرب. وذكر الواحدي في تفسير سورة الأنبياء: " أن الكفار لما أضرموا النار لإحراق إبراهيم عليه السلام لم يقدروا على القرب من النار ليُلقوه فيها، فجاءهم اللعين إبليس فعلمهم وضع المنجنيق فعملوه وألقوْه فيه فقذفوا به في النار، فكان أول منجنيق عُمل". انظر

ويعتقد المؤرخون الصينيون أنَّ هذه المعركة أرخت لوصول صناعة المدافع للصين من بلاد العرب.

وحول نفوذ المسلمين في الصين إبَّان هذه الحقبة يقول الأب جوبيل" إنَّ المسلمين كانوا دائماً على أعظم جانب من القوة في قصور أمراء المغول، وكان لهم كتائب وقواد من جنسهم، كما كان منهم موظفون كبار في جميع الفروع، ولا سيما في الرياضيات، وأساتذة عظام بل ووزراء[1].ومن ملامح نفوذ المسلمين في البلاط الإمبراطورى في تلك الحقبة أنَّ مراسيم وأوامر قوبلاي خان كانت تترجم إلى اللغة العربية والفارسية[2].وكان المسلمون في بعض المناطق في الصين لا يقلون قوة ومهابة عن قادة المغول أنفسهم مثل منطقة يونان التي كادت أن تكون دولة إسلامية خالصة للمسلمين حيث ظل قادة عسكريون مسلمون مثل بهاء الدين وعلاء الدين ويوسف يسيطرون على الإقليم وكان القادة المسلمون هناك ينافسون أمراء المغول في الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية[3].وكان وضع المسلمين في يونان قوياً بما فيه الكفاية للحد الذي أقدم فيه الحاكم حسين بن السيد الأجل عمر شمس الدين حاكم محافظة يونان على إعدام عدد من الرجال الذين استخدموا الشعوذة لإثارة القلاقل وعدم الاستقرار وسط السكان وكان هؤلاء المشعوذون مدعومين من قبل أمير منغولي ذو نفوذ في تلك المنطقة.[4]

كتاب صبح الأعشى، تأليف الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، الجزء الثاني، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٣م ص ١٣٧

(١)جامع التواريخ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني، تاريخ المغول، المجلد الثاني– الجزء الأول، الإيلخانيون، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٤.

(٢) Rossabi, Morris, the Muslims in the Early Yuan Dynasty, op.cit. p. 276

(٣) Jianping Wang, Concord and Conflict, op.cit., pp. 46, 53, 69. -20

(٤) Ibid., p.71.

هذا في الأقاليم البعيدة، أما في مراكز السلطة الرئيسية فقد كانت الإدارة المغولية تمنح الأولوية في الوظائف للمغول وإذا ما تعذر وجود شخص ذي كفاءة للمنصب من بينهم يمنح للمسلمين خصوصاً من الأسر التي عرفت بخدمة الإمبراطور لأجيال طويلة.(١)

وقد لاحظ الباحث الصيني وَانْغ جِينْغبِينْغ (Wang Jiangpeng) أنه على كل رأس إدارة إمبراطورية شخصية مغولية يليها مباشرة شخصية مسلمة.(٢)

كما كانت الإدارة المغولية تقدم تسهيلات خاصة للمرشحين لامتحانات الإدارة الإمبراطورية التي تحدد الوظائف في بكين حيث يخضع المغول والمسلمين لامتحانات أسهل من تلك التي تقدم للمرشحين الصينيين. (٣)وللتدليل على العلاقة الخاصة التي قامت بين المغول والمسلمين في تلك الحقبة نلاحظ أنَّ أمراً إمبراطورياً صدر في سنة ٧٠٩هجرية (١٣٠٩م) لتقليل أعداد الحرس في القصر الإمبراطوري وقد استثنى الأمر المغول والمسلمين. (٤)وعلى صعيد دور المسلمين الاقتصادي والسياسي والإداري في فترة يوان المغولية في الصين تحفظ لنا المصادر التاريخية الصينية مثل تاريخ أسرة يوان والعربية والإسلامية مثل رشيد الدين كماً هائلاً من المعلومات حول المكانة التي وصلها المسلمون في السلم الإداري والسياسي في هذه الحقبة، حيث حكم السيد الأجل عمر شمس الدين وأبناؤه حسين ومسعود وسعد وسحبان وغيرهم يونان لعقود طويلة.كما يذكر القلقشندي

---

(١) Ibid., p.69.

(٢) Ibid., p. 70.

(٣) . Ibid., p.70

(٤) Ibid., p.69

في صبح الأعشى أنَّ عربياً اسمه قطب الدين أو يوتنق كان وزيراً للملكة في سنة ٧٠٢هجرية (١٣٠٢م).[١] كما أشار رشيد الدين في جامع التواريخ إلى وزير مسلم يدعى ماهان بلغ شأواً عظيماً عند الإمبراطور حيث اشتهر برجاحة العقل وحسن السياسية وغزارة العلم وقد كتب موجزاً بالمغولية للحوليات الصينية.[٢] كما اشتهر بعض القادة المسلمين في تلك الحقبة بمهاراتهم العسكرية حتى قادوا جيوش المغول غرباً وشرقاً ومنهم قائد عسكري مسلم يدعى نصر الدين أرسله الإمبراطور لضم بورما للدولة المغولية.[٣] هذا بالإضافة إلى القائد العسكري المسلم عمر الذي كان من أعظم القادة العسكريين في جيوش المغول، وكان يحظى بسبب مهاراته العسكرية الفائقة وشجاعته باحترام وسط قادة المغول العسكريين.[٤] كما احتل مسلمون مثل أحمد فانكاتى منصب كبير وزراء قوبلاي خان واستمر في هذا المنصب طوال الفترة من ٦٦١- ٦٨١ هجرية (١٢٦٢- ١٢٨٢م).[٥] كما احتل أديب مسلم يدعى قاوكه قونغ ٦٤٦- ٧١٠ هجرية (١٢٤٨- ١٣١٠م) الملقب

---

(١)فيصل السامر ، الجذور التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٥ ، انظر أيضاً.

Boyle, John Andrew, The Successors of Genghis Khan , , op.cit., pp 279,287,288 see also Jianping Wang , Concord and Conflict , op.cit., pp. 69-81.

(٢)جامع التواريخ ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، تاريخ المغول ، المجلد الثاني – الجزء الأول ، الإيلخانيون ، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين ، مصدر سبق ذكره ص ١٢٤

(٣) Rossabi, Morris, the Muslims in the Early Yuan Dynasty, op.cit., p. 277.

(٤)جامع التواريخ ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، تاريخ المغول ، المجلد الثاني – الجزء الأول ، الايلخانيون ، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين ، مصدر سبق ذكره ص ١٢٤.

(٥) Boyle, John Andrew, The Successors of Genghis Khan, op.cit., pp.288-290 .

بيَانْغ جِينْغ في سنة ٦٧٦ هجرية (١٢٧٧م) مراكز حكومية هامة منها وزير العدل ووالي مديرية دَامِينْغ بالقرب من العاصمة بكين.[١] ويذكر رشيد الدين في جامع التواريخ عدداً من المسلمين تولوا مناصب مهمة في الدولة المغولية مثل بيان الدين سيد ناصر الدين، حفيد السيد الأجل عمر شمس الدين حيث كان بيان الدين أهم مسؤول إداري في بلاط تيمور خان يليه مباشرة مغولي مسلم اسمه عمر.[٢] كما كان حفيد آخر للسيد الأجل عمر شمس الدين وهو بخاري وزيراً في بلاط قوبلاي خان بينما أصبح نصر الدين الأجل حاكماً على محافظة قَارَا جَانْغ (Jang)Qara (يونان).[٣] وعين أبوبكر الأجل حاكماً على مدينة قُوانغْتشُو (Quangzhou) (الزيتون).[٤]

كما تم تعين عدد من المسلمين كحكام مقاطعات ومسؤولين ماليين مثل بهاء الدين قنبيزى وسعد ذو شينغ وعمر القرقيزى ونصر الدين مالك الكشكرى وهند ذوشينغ.[٥]

ووفقاً لقائمة المناصب الرسمية في الإمبراطورية المغولية (أسرة ايوان) نجد

---

(١) إعداد محمود يوسف – لي خوا يـن وآخرdن ، تعريب محمود يوسف ، لي هوا يـن وآخرين ، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين ، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ، ص ص ١٠- ١١. انظر ايضاً، يحي لين سونغ، قاو كه قونغ، الرسام المسلمKhan، مقالاً في كتاب سلسلة ثقافية (١)، منشورات مجلة بناء الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ١٩٨٢، ص ١٣٠.

(٢) Boyle, John Andrew, The Successors of Genghis Khan , op.cit., p279

(٣) Ibid., p. 287.

(٤) Ibid., p. 288.

(٥) Ibid., pp 294-295.

الأسماء الآتية من المسلمين في المناصب التالية :*

الاسم	المنصب الرسمي	وظيفة قام بها
حسن	يوجينغ	المساعد الأول لرئيس الوزراء
دولت شاه	تسوجينغ	المساعد الثاني لرئيس الوزراء
بدر الدين	تسوجينغ	المساعد الثاني لرئيس الوزراء
ظهير الدين	تسوجينغ	المساعد الثاني لرئيس الوزراء
السيد الأجل	بينغ جانج	مستشار سياسي
أحمد	بينغ جانج	مستشار سياسي
على	بينغ جانج	مستشار سياسي
سيف الدين	بينغ جانج	مستشار سياسي
بيان	بينغ جانج	مستشار سياسي
علاء الدين	بينغ جانج	مستشار سياسي
فخر الدين	بينغ جانج	مستشار سياسى
عبيد الله	بينغ جانج	مستشار سياسي
بيان جبر	بينغ جانج	مستشار سياسي
قطب الدين	بينغ جانج	معاون مستشار سياسي
شمس الدين	بينغ جانج	مستشار الدولة

وبناءً على معلومات ودراسات أعدها العالم الصيني الأستاذ شِنْ دُو تُشو (Chen De Zhe)المتخصص في دراسة أسرة يوان بجامعة نانجين الصينية كان عدد المسلمين الذين تولوا المناصب العليا في الإمبراطورية المغولية قد وصل إلى أكثر من ثلاثين شخصاً تمركز بعضهم في العاصمة دادو بينما أُرسِل مسؤولون آخرون لإدارة مراكز ومدن ومقاطعات خارج العاصمة حيث كانت تحت اختصاصهم وإشرافهم ولايات ومناطق مهمة مثل ولاية قَانْصُو ويُونَنان وسِيتْشوان وشَنْسِي

* أعد هذه القائمة الكاتب الصيني بدر الدين حي الصيني ، انظر بدر الدين حي الصيني ، تاريخ الإسلام في الصين الماضي والحاضر ، مطبعة انتشان ، طرابلس لبنان ، ١٩٧٤ ، ص ٢٩.

وجيكيانغ وخُنان وفُوجيان وليويَانْغ وغيرها. وقد لاحظ الأستاذ شِنْ دُو تُشو(Chen De Zhe)، كما لاحظت بنفسي أن هذه هي المقاطعات والمناطق التي لا تزال تحتوي حتى اليوم على تجمعات كبيرة للمسلمين الصينيين.[1]

وعلى ضوء ما قاله رشيد الدين فضل الله المؤرخ الإيراني الشهير المتوفى في سنة ٧١٨هجرية (١٣١٨م) في كتابه(جامع التواريخ) أنَّ الإمبراطورية المغولية تحت قوبلاي خان كانت مقسمة إلى ١٢ ولاية وكان على ثمانٍ منها حكام مسلمون يساعدهم في أغلب الأحيان وكلاء من المسلمين وهذه الولايات هي:

١- الولاية الثانية التي كانت عاصمتها مدينة (تشوان - تشو) الواقعة على طريق تانينغ أي ليويانغ الحالية في مانشوريا وكان الحاكم عليها هو علاء الدين بن حسام الدين الملقى بدرجة (بينغ جانغ) وكان وكيل الحاكم هو حسن (توجينغ).

٢- الولاية السادسة التي كانت عاصمتها هي (خنساي) وهي مدينة (هَانغ تُشو) الحالية في مقاطعة جيكيانغ وكان الحاكم عليها هو علاء الدين بن سيف الدين القائد العسكري المعروف بدرجة (بينغ جانج) ويعاونه وكيل اسمه عمر (بِينْغ جَانج) وله مساعد يسمى خواجة طوسي (بينغ جانج).

٣- الولاية السابعة التي كانت عاصمتها (قُوتُشو) الواقعة في مقاطعة فُوجيان اليوم. وكان حاكمها الأمير عمر، وأما ميناء تُشوانتُشو على ساحل فوجيان فقد كان تحت إشراف بهاء الدين القندوزي.

---

(١) جعفر كرار أحمد، تاريخ العلاقات الصينية العربية، رسالة دكتوراه، جامعة نانجين، إشراف الأستاذ Chen De Zhe والأستاذ المساعدHua Tao جامعة نانجين، ١٩٩٥، انظر الملاحق قائمة بأسماء المسؤولين العرب والمسلمين الكبار المشهورين إبَّان الحقبة المغولية في الصين، انظر أيضاً حوارات الباحث مع العالم الصيني الأستاذ/Chen De Zhe .

٤- الولاية الثامنة التي تسمى تانكوت، كان عليها حاكم مسلم يسمى حسن شقيق بيان يعاونه وكيل يسمى حسن أيضاً وهو من إخوان لاشين.

٥- الولاية التاسعة التي سماها العرب صين الصين أو صين كلان أي الصين الكبرى (قُوَانْدُونغ).وكان الحاكم عليها هو ركن الدين التتري (بينغ جَانج).

٦- الولاية العاشرة هي قاراجانغ المعروفة بمدنها الكبيرة وبكثرة سكانها المسلمين (مقاطعة يونان كونمينغ الحالية). وكان الحاكم عليها هو ياقاخان تيجن ويعقوب من أبناء علي بك.

٧- الولاية الحادية عشرة هي تانكوت(شيان الحالية في محافظة شنسي) التي كان الأمير المغولي آناندا ابن منقالا مشرفاً عليها، أما الحكام التنفيذيون فقد كانوا أحد إخوان ديشمان وعمر الخطائي ويورت آناندا.

٨- الولاية الثانية عشرة هي كَانتُشو (قَانْصُو) الحالية وكانت جزءاً من تانكوت وكان الأمير خوجة حاكماً عليها.[١]

هذا إلى جانب وزير المالية شمس الدين الأجل ووزير الحربية علي يحيى اليوغوري ووزير الإسكان يحيى طاهر.[٢] بالإضافة إلى شخصيات لعبت دوراً

---

(١) Boyle, John Andrew, The Successors of Genghis Khan, op.cit., p281-284.

(٢) Ibid., for more information see Jianping Wang , Concord and Conflict , op.cit.,see also Chen De Zhi,Han Ru Lin and others , the History Of The Yuan Dynasty , People's Publishing House , 1986, Beijing

انظر أيضاً جعفر كرار أحمد ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، دكتوراه ، الملاحق قائمة بأسماء المسؤولين العرب والمسلمين الكبار المشهورين إبان الحقبة المغولية في الصين ، مصدر سبق ذكره.

سياسياً وإدارياً مهماً في تلك الحقبة منهم سعيد بن أبي علي العماني ٦٤٩- ٦٩٩ هجرية (١٢٥١- ١٢٩٩م) الذي كان وزيرا عند سلطان معبر في الهند، وفي ذات الوقت ارتبط بعلاقة جيدة مع البلاط المغولي في الصين، وقد أدت علاقاته القوية مع الإمبراطور في الصين إلى غضب سلطان معبر الذي صادر أمواله وهدده بالقتل، فأرسل إمبراطور الصين يستدعيه للقدوم والعيش في الصين وبالفعل وصل هذا التاجر العماني الثري إلى بكين بعد أن نجح وفد أرسله قوبلاي خان إلى معبر في تهريبه إلى بكين التي وصلها في سنة ٦٩٢ هجرية (١٢٩٢م).[١] ، وعندما تولى الإمبراطور شْغ زُونغ (Cheng Zong) (تيمور) حكم الصين (حكم الصين في الفترة من ٦٩٤- ٧٠٧هجرية (١٢٩٤- ١٣٠٧م) منحه لقب وزير، وقد توفي سعيد في سنة ٦٩٩ هجرية (١٢٩٩م) في بكين عن عمر يناهز الـ ٤٩ عاماً وقد أمر تيمور بتنظيم جنازة رسمية على نفقة الدولة وأصدر أمراً إمبراطورياً للمسؤولين لحماية ورعاية أسرته.[٢]

ومن التجار العرب الذين ذاعت شهرتهم بالصين التاجر العربي الذي تطلق عليه المصادر الصينية اسم(Pushou-Geng) وربما يكون اسمه العربي (أبو شوقي)، وكان يقوم بوظيفة مدير مكتب السفن التجارية في ميناء قُوانغْتشُو(Guangzhou) وذلك في نهاية أسرة سُونغ، كما كان يشرف على التجارة البحرية في مقاطعة قُوانْدُونغ.[٣]

---

(١) Edited by Vadime Elisseeff, The Silk Roads Highways of Culture and Commerce , Berghahn Books, New York , Oxford , Unesco Publishing , An Inscription In Memory Of Sayyid Bin Abu Ali , A Study of Relations Between China and Oman from the Eleventh to the Fifteen Century , Paper Presented By Liu Yingsheng pp .122-125.

(٢) Ibid.,

(٣) Jitsuzo Kuwabara , On P'u Shou-Keng , Memoirs of the Research Department of the Tokyo Bunko , the Oriental Library , No. 2 , 1928, p. 1,2,4,30-36.

هذا بينما قام بعض التجار المسلمين بدور سفراء ومندوبين تجاريين للدولة المغولية حيث نفذوا مهاماً تجارية ودبلوماسية في فارس والهند وأفريقيا وشبه الجزيرة العربية، فعلى سبيل المثال أرسل في سنة هجرية(١٣٠١م) الإمبراطورشَنغ زُونْغ (ChengZong) التاجر العربي المسلم معز الدين إلى مقديشو في مهمة تجارية لجلب أسود وفهود ونمور وقد زوده بمؤن ومال كما أرسل حكام أسرة يوان تجاراً مسلمين إلى كوريا لجلب اللؤلؤ.[١]

على الصعيد الاقتصادي يبدو أنَّ دور المسلمين في تعزيز علاقات الصين التجارية مع العالم الخارجي وبالتالي إسهامهم في ازدهار الصين اقتصادياً في تلك الحقبة كان أوضح من دورهم و إسهامهم في المجالات الأخرى وتكاد المصادر الصينية والعربية والغربية كلها تتفق على هذا الدور، إذ تشير المصادر العربية إلى أنَّ التجارة العربية الصينية قد استعادت حيويتها بسرعة بعد سنوات الركود التجاري التي أعقبت الاجتياح المغولي للشرق وسقوط بغداد.وعادت الموانى الصينية مثل قُوانغْتشُو(Quangzhou) وغيرها إلى العمل وسرعان ما ازدهرت هذه الموانى وبدأت التجارة العربية الصينية تستعيد حيويتها المعهودة.

ويحدثنا ابن بطوطة كثيراً عن تجارات المسلمين في الصين في تلك الأيام وينقل لنا صورة زاهية لتجارات مزدهرة وموانى تضج بالحركة، وأحياء كاملة خاصة بالتجار العرب والمسلمين، ويدخلنا معه إلى بيوت تجار عرب ومسلمين أثرياء وأصحاب نفوذ مثل عثمان بن عفان المصري وقوام الدين البشاري من المغرب

---

(١) Chen De Zhi,Han Ru Lin and others , The History Of The Yuan Dynasty , People's Publishing House , 1986, Beijing , pp . 433-434(In Chinese Language) See also Zheng Lingzhi,The History of Korea, chapter 28, see also Han Rulin(ed) The History of Yuan Dynasty, chapter 10(In Chinese)

وكمال الدين عبد الله من أصفهان وشريف الدين التبريزى واحد الدين من سنجار وغيرهم كثر.[١]

ونجد في كتابات ابن بطوطة إشارات واضحة لاستمرار تدفق البضائع الصينية إلى الموانى العربية عندما يقول: " أعظم أسواق مدينة الزيتون سوق الخزف ومنها يحمل إلى سائر بلاد الصين وإلى الهند واليمن".[٢] ، ونلاحظ أن اليمن (عدن) في تلك الحقبة أصبحت مركزاً لاستيراد الخزف الصيني، وكان هذا الميناء لا يزال في ذلك الوقت يحتفظ بموقعه كميناء تجاري مهم مع الصين إذ يقول شمس الدين ابن عبد الله (شيخ الربوة) صاحب كتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) المتوفى سنة ٧٢٧ هجرية (١٣٢٦م) أنَّ عدن "هي فرصة لمن يمروا من مراكب الصين والهند وفارس وكرمان وعمان".[٣]

وكانت في فترة من الفترات يتم في هذا الميناء مقايضة منتجات الهند والصين بمنتجات مصر والحبشة، كما كان التجار يقايضون مع الصين المرجان والخيل والمنسوجات الصوفية وأجواخ البندقية بالحرير والديباج والشاي المنتج في الصين.[٤]

---

(١) انظر حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل ، دار المعارف ، القاهرة ، بلا تاريخ ، انظر الجزء الخاص بتحقيق حسين مؤنس حول الصين ، ص ص١٩٦– ٢١٢.

(٢) مهذب رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار، وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه، أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك، الجزء الثاني، المطبعة الأميرية القاهرة ١٩٣٣، ص ٢٥٤

(٣) شمس الدين بن عبد الله محمد أبوطالب الأنصاري الصوفي الدمشقي المعروف بشيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع في مدينة بطرس بورغ المحروسة في مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، ١٨٦٥م، ص ٢١٦.

(٤)توفيق اليوزبكي، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي، مطابع وزارة التعليم والبحث العلمي، العراق، جامعة الموصل، ١٩٧٥، ص ص ، ١٠٨، ١١١ .

هذا بينما تشير مصادر أسرة يوان التاريخية الصينية بصورة واضحة إلى مدى نفوذ التجار المسلمين الكبير في تلك الحقبة ودورهم النشط في التجارة داخل وخارج الصين تقول هذه المصادر "سيطر التجار القادمون من الغرب (معظمهم مسلمون) على التجارة في الصين براً وبحراً واحتلوا مواقع اقتصادية وتجارية مهمة في كل المراكز والمدن التجارية الكبرى في الصين ".[١] وتشير هذه المصادر أيضاً في إشارة إلى مدى ثراء التجار المسلمين في الصين في تلك الحقبة إلى " أنَّ هناك تاجراً مسلماً ثرياً كان يمتلك وحده ٨٠٠ سفينة تجارية يستخدمها في التجارة بين الصين وما وراء البحار".[٢] كما يذكر مصدر صيني آخر أنَّ (التجار المسلمين قد سيطروا على التجارة بين محافظة منغوليا(Ling–Bei) والمناطق الوسطي محافظتي شَانْشِي(Shanxi) وخُوبي (Hebei). وللتدليل على نشاط التجار المسلمين الكثيف في هذه الفترة تشير المصادر الصينية إلى أنه عندما كانت القوات التابعة للقائد الصيني شُو يُوان تَشانْغ ـ الذي أصبح إمبراطوراً على الصين فيما بعد ـ تطارد إمبراطور أسرة يوان الهارب الإمبراطور شَن زُونْغ Chen Zong (تيمور) التقت بحوالى ٥٠٠ تاجر من سمرقند وذلك بالقرب من منطقة بحيرة بَاير (Byir).[٣]

كما يشير آدم متز في كتابه (الحضارة الإسلامية) إلى النشاط التجاري العربي في الصين في تلك الحقبة فيقول " كانت توجد جالية كبيرة من المسلمين المسجلين في ديوان التجارة البحرية ".[٤] ولاشك أنَّ نشاطاً تجارياً بهذا الحجم كان له عائد

---

(١) See Xu Youren , The inscription of Haji Hashim(In Chinese)

(٢) See Zhou Mi (Yuan Writer), Gui- Xing Za – Shi (In Chinese)

(٣) The History of Ming Dynasty, chapter 332 (Account of Besblikh)

(٤) توفيق اليوزبكي ، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٥.

اقتصادي كبير على الصين هذا بالإضافة إلى ما توفره الضرائب المفروضة على السلع والسفن التجارية من موارد مالية ضخمة للدولة.

هذه صورة عامة عن وضع المسلمين في السلم الإداري وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة ودورهم الاقتصادي في تلك الحقبة.فما هو وضع المسلمين والإسلام في الصين خلال هذه الحقبة ؟

تسعفنا هنا أيضاً المصادر الصينية والعربية والفارسية بمادة خصبة حول وضع المسلمين والإسلام في الصين وقد رسمت هذه المصادر صورة لمد إسلامي شمل كل الصين فقد حمل الجنود والفنيون والإداريون الجدد دينهم أينما حلوا وبُنيت مئات المساجد الجديدة في جميع أنحاء الصين من منغوليا الحالية إلى يونان ، كما أسلمت أعداد غير قليلة من أبناء المغول والأتراك والصينيين من مختلف القوميات. (١)

ولم تعد المساجد مركزة في هذه الحقبة في المدن الواقعة على خطوط المواصلات البحرية والبرية كما هو الحال في عهد أسرتي تَانغ وسُونغ بل عمت المساجد قرى ومدناً داخلية، وأصبح الإسلام موضع اهتمام الحكام المغوليين الذين أسلم بعضهم مثل الأمير آناندا والي منطقة تانغوا (زِينغْشِيا) اليوم والذي نشر الإسلام في أوساط جنوده ورعاياه، ويقول إبراهيم فنغ جين يوان الباحث الصيني: إنَّ أكثر من ١٥٠ ألفاً من الضباط والجنود قد أسلموا على يديه. (٢) هذا في وقت كانت فيه أفواج جديدة من المسلمين تدخل أيضاً الإسلام على يد قواد عسكريين ومدنيين عرب ومسلمين في محافظات أخرى.

---

(١)جعفر كرار أحمد، تاريخ العلاقات الصينية العربية، رسالة دكتوراه، جامعة نانجين، مصدر سبق ذكره (انظر الفصل الخاص بالعلاقات الصينية العربية خلال حقبة حكم أسرة يوان الملكية).

(٢)إبراهيم / فنغ جين يوان، تعريب محمود يوسف / لي هوا ين، الإسلام في الصين، الطبعة الأولى، ١٩٩١، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

ومع ازدهار اقتصاد أسرة يوان ونمو التجارة مع منطقة غرب آسيا وتنامي نفوذ المسلمين في بلاط قوبلاي خان تدفق إلى الصين أيضاً المزيد من المسلمين دون أن يكون لذلك أية علاقة بالفتوحات المغولية العسكرية. وبلغ المسلمون والإسلام من الاحترام عند المغول أن بنوا مسجداً داخل قصر قوبلاي خان في العاصمة شَانْغ دُو (Shang Du) دُولُون (Duolun) الحالية في منغوليا الداخلية. [1] وكان ابن بطوطة آخر الرحالة المسلمين الذين زاروا الصين في العصر المغولي في الصين وقد زارها في سنة ٧٤٨ هجرية (١٣٤٧م) وذلك إبّان حكم الإمبراطور شَن دِي(Shun- Di) (توقون تيمور) ٧٣٤- ٧٧٠هجرية (١٣٣٣- ١٣٦٨م) وقد وجد ابن بطوطة الإسلام أيضاً مزدهراً ويحظى باحترام لا تخطئه العين. وتعتبر كتابات ابن بطوطة حول الإسلام في الصين ذات قيمة هامة في دراسة تاريخ العرب والإسلام في الصين إبَّان الحقبة المغولية. وينقل لنا ابن بطوطة صورة زاهية حول أحوال الإسلام والمسلمين في تلك الحقبة فهو يقول: " وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون فيها بسكناهم. ولهم فيها مساجد لإقامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون". [2]

ويقول عند حديثه عن مدينة الزيتون قُوانتُشو (Quangzhou) " والمسلمون ساكنون بمدينة على حده " ويضيف " وجاء إلي قاضي المسلمين تاج الدين الأردويلى، وهو من الأفاضل الكرماء، وشيخ الإسلام كمال الدين عبد الله

(١) Rossabi, Morris, the Muslims in the Early Yuan Dynasty, op.cit., p.273

(٢) مهذب رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٨.

الأصفهانى وهو من الصلحاء ".[1] ويقول أيضاً وهو يصف حال المسلمين في مدينة صين كلان أو صين الصين قُوانتُشو (Guangzhou): " وفي بعض جهات هذه المدينة بلدة المسلمين، ولهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق، ولهم قاض وشيخ. ولابد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الإسلام، تكون أمور المسلمين كلها راجعة إليه وقاض يقضي بينهم. وكان نزولي عند أوحد الدين السنجارى ".[2] ونلاحظ أن ابن بطوطة يرسم لنا صورة عن المسلمين وحالهم أينما حل في تنقلاته في الصين من بكين إلى قُوانتُشو (Guangzhou) إذ يقول أيضاً " فوصلنا بعد سفر عشرة أيام إلى مدينة قنجنفو (ربما مدينة فُوشُو (Fuchou) على حسب تقدير جيب) " وهى مدينة كبيرة حسنة في بسيط أفيح، والبساتين محدقة بها. فكأنها غوطة دمشق. وعند وصولنا خرج إلينا القاضي وشيخ الإسلام والتجار، ومعهم الأعلام والطبول والأبواق و(الانقار) وأهل الطرب، وأتوا بالخيل فركبنا، ومشوا بين أيدينا ولم يركب معنا غير القاضي والشيخ " ويضيف بعد أن يصف لنا أماكن سكن الأمير وجنوده وخدمه " ويسكن في داخل السور الثالث المسلمون وهناك نزلنا عند شيخهم ظهير الدين القرلاني".[3]وفي خَنْسَا (خَانْجُو) التي وصلها ابن بطوطة بعد سبعة عشر يوماً يقول" عند وصولنا إليها خرج إلينا قاضيها فخر الدين، وشيخ الإسلام بها، وأولاد عثمان بن عفان المصري. وهم كبراء المسلمين بها ومعهم علم أبيض والأطبال (والأنقار) والأبواق".[4]

(١)نفس المصدر، ص ٢٥٣.

(٢)نفس المصدر، ص ٢٥٥.

(٣)نفس المصدر، ص ص ٢٥٦- ٢٥٧.

(٤)نفس المصدر، ص ٢٥٨

ويشير ابن بطوطة إلى أنَّ مدينة الخَنْسَاء كانت مقسّمة إلي ست مدن على كل مدينة سور ويحدق بالجميع سور واحد ويقول: " وفي اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة، ويسكنها المسلمون. ومدينتهم حسنة وأسواقهم مرتبة كترتيبها في بلاد الإسلام. ويها المساجد والمؤذنون ، سمعناهم يؤذنون بالظهر عند دخولنا . ونزلنا منها بدار أولاد عثمان بن عفان المصري، وكان أحد التجار الكبار. وقد استحسن هذه المدينة فاستوطنها وعرفت بالنسبة إليه. وأورث عقبه بها الجاه والحرمة. وهم على ما كان عليه أبوهم من الإيثار للفقراء والإعانة للمحتاجين. ولهم زاوية تعرف بالعثمانية، حسنة العمارة لها أوقاف كثيرة، وبها طائفة من الصوفية. وبنى عثمان المسجد الجامع بهذه المدينة، ووقف عليه وعلى الزاوية أوقافاً عظيمة وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير وكانت إقامتنا عندهم خمسة عشر يوماً ".[1]

كما ترك لنا صاحب نزهة القلوب (مخطوطة فارسية) أيضاً إشارات حول حالة الإسلام في الصين في ذلك الوقت، إذ يقول: " خنساي عاصمة بلاد الصين ولا توجد في العالم كله مدينة أعظم منها ولكن الجميع يتفقون على أنها أكبر مدن الأقطار الشرقية وسكانها من الكثرة بحيث بلغ عدد الحراس آلاف ومعظم هؤلاء السكان من الوثنيين ولكن المسلمين أقوى منهم وإن كانوا أقل عدداً".[2]

كما أن هناك كتاباً صغيراً كُتب بالفارسية ونشره أندريه ميلر بعنوان تاريخ خُطاي (Historica Chataica) (أُلف في حوالي٧١٧- ٧١٨ هجرية (١٣١٧- ١٣١٨م) يشير إلى وجود ثلاثة مساجد في العاصمة خنساي "وفي خنساي ثلاثة مساجد من الدرجة الأولى تمتلئ يوم الجمعة بالمصلين".[3]

---

(١)نفس المصدر، ص ٢٥٩.

(٢)جامع التواريخ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني، تاريخ المغول، المجلد الثاني – الجزء الأول، الإيلخانيون، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، مصدر سبق ذكره ص ١١٢.

(٣)نفس المصدر، ص ١١٣.

هذا وكانت قد تأسست قبل سنة ٧١١ هجرية (١٣١١م) دار للقضاء الإسلامى الحكومي وقد أعيد تأسيسها مرة أخرى ودعمها في الحقبة من ٧١٢-٧٢٩ هجرية (١٣١٢- ١٣٢٨م).[١] كما أصدر الإمبراطور قَانْغ شَنْغ Gang (Sheng) أمراً إمبراطورياً بدعم مدرسة قومية الهُوي (Hui) المسلمة حتى تقوم بدورها العلمي الرائد.[٢] كما أنشأ في سنة ٦٦٩ هجرية (١٢٧٠م) قوبلاي خان أكاديمية للصيدلة الإسلامية بعاصمتي الصين دَادُو و شَانْغ دُو (Dadu و Shang Du). كما بنى المسلمون عدداً من المدارس في أنحاء الصين منها مدرسة مشهورة في منطقة شَن تينغ (Chen Ting) (خُبي الحالية) كانت تدرس فيها اللغات العربية والفارسية بالإضافة إلى العلوم الإسلامية.[٣] هذا كما أسس الإمبراطور مستشفى إسلامياً في كل من دَادُو (Dadu) وشَانغ دُو(Shang Du) لعلاج أفراد البلاط الملكي.[٤] كما تأسست في سنة ٦٨٨ هجرية (١٢٨٩م) الكلية الوطنية لدراسة الخط العربي والفارسي، وربما اللغة العربية والفارسية ككل.[٥] كما أُنشئت في السنة نفسها مدرسة حكومية للشبان المسلمين وأعلن في سنة ٧١٤ هجرية (١٣١٤م) إنشاء جامعة للطلاب المسلمين.[٦] وهكذا ترسم لنا المصادر العربية

---

(١)الإسلام في الصين، إبراهيم / فنغ جين يوان، تعريب محمود يوسف / لي هوا ين، الطبعة الأولى، ١٩٩١، مصدر سبق ذكره، ص ١٨.

(٢)جامع التواريخ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني، تاريخ المغول، المجلد الثاني – الجزء الأول، الإيلخانيون، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، مصدر سبق ذكره ص ١٢٤.

(٣) Rossabi, Morris, the Muslims in the Early Yuan Dynasty, op.cit. ,p p. 273-274. 64-

(٤) Ibid., p. 284

(٥) Ibid., p.286

(٦) Ibid., p. 285, see also Che'n Yuan, Translated and annotated by Ch'ien Hsing – hai and L. Carrington Goodrich ,Western and Central Asians in China Under the Mongols , Their Transformation into Chinese , First -

والصينية صورة زاهية حول الإسلام والمسلمين في الصين خلال هذه الحقبة مما يشير إلى أنَّ المسلمين في مراحل من الحكم المغولي للصين كانوا يتمتعون بذات المزايا التي ألفوها إبَّان أسرتى تَانغ وسُونغ من حيث الاستقلالية في أمور دينهم ومعاشهم والاحترام وقد دعم هذا الاتجاه النفوذ السياسي والاقتصادي للمسلمين في البلاط الإمبراطوري المغولي.

وكما صورت المصادر العربية التاريخية العائدة إلى تلك الحقبة وضع المسلمين في الصين، رسمت أيضاً صورة زاهية لعصر اقتصادي مزدهر ولملكة يسودها العدل والاستقرار حيث تحدث عن عدل أهل الصين في تلك المرحلة أبو الفداء المتوفى في سنة ٧٣٣ هجرية (١٣٣٢م) مشيراً إلى أنَّ " أهل الصين أحن الناس سياسة وأكثرهم عدلاً وأحذق الناس في الصناعات ".[١] ويبدو ابن بطوطة مندهشاً من حالة الاستقرار والأمن التي وجدها سائدة آنذاك في الصين إذ يقول ابن بطوطة: " وبلاد الصين آمن البلاد وأحسنها حالاً للمسافرين، فإنَّ الإنسان يسافر منفرداً مسيرة تسعة أشهر، وتكون معه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها. وترتيب ذلك أنَّ لهم في كل منزل ببلادهم فندقاً، عليه حاكم يسكن به في جماعة من الفرسان والرجال فإذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة، جاء الحاكم إلى الفندق ومعه كاتبه، فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسافرين، وختم عليها وأغلق باب الفندق عليهم. فإذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه، فدعا كل إنسان باسمه، وكتب بها تفسيراً، وبعث معهم من يوصلهم إلى المنزل التالي له، ويأتيه

Published By Monumenta Serica At the University Of California Los Angeles , 1966 , p . 211.

(١) المختصر في أخبار البشر ، تأليف عماد الدين إسماعيل أبي الفداء المتوفى عام ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية المصرية، بلا تاريخ ، ص ٩٦.

ببراءة من حاكمه أن الجميع قد وصلوا إليه. وإن لم يفعل طالبه بهم. وهكذا العمل في كل منزل ببلادهم، من صين الصين إلى خان بالق. وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج إليه المسافر من الأزواد".[1] وفي الوقت الذي يشيد فيه أبو الفداء وابن بطوطة بالأمن واستقرار التجارة في الصين، يؤكد القزويني (توفى في سنة ٦٨٢ هجرية "١٢٨٣"م) على ذات الحالة مشيراً إلى " أنَّ بها الخيرات الكثيرة من الحبوب والبقول والفواكه والسكر" ويضيف " أما ملكها فموصوف بالعدل والسياسة".[2]

إسهامات المسلمين الصينيين في الحضارة الصينية :

كان لابد لوجود إسلامي بهذه الكثافة في الصين في هذه الحقبة أن يؤثر ويتأثر بالبيئة الثقافية التي حوله، أما أبرز إسهاماتهم في تلك الفترة فقد كانت في مجالات الفلك والطب الإسلامي، حيث قام قوبلاي خان في ٦٥٩- ٦٩٤ هجرية (١٢٦٠- ١٢٩٤م) بتأسيس معهد ودائرة رسمية للفلك الإسلامي وذلك في ٦٧٠ هجرية (١٢٧١م) وقد ضمت هذه الدائرة فلكيين مسلمين إلى جانب فلكيين صينيين وشملت إدارة للفلك والتقويم. ويشير تاريخ أسرة يوان إلى أن هُولُوقو(Hulogu) خان حاكم فارس قد أرسل عالماً فلكياً فارسياً مسلماً يدعى جمال الدين * وقد أحضر معه في عام١٢٦٧م سبعة أجهزة فلكية مثل المنوأة المتعددة الحلقات والمنوأة الموجهة والكرة السماوية والكرة الأرضية وقد استخدمها جمال الدين في عمله في مرصد بنته الحكومة. وقد استخدم المغول التقويم الإسلامي الذي

(١)مهذب رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٢.

(٢)زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠، ص ص، ٤٦، ٥٤.

* قد يكون جمال الدين بن محمد البخاري الذي رفض أن يضطلع بالمسؤولية الكاملة عن بناء مرصد مراغه في عام ١٢٥٨م

أعده جمال الدين باسم تقويم وَانْ نِيانْ ويعنى عشرة آلاف سنة. وكان التقويم الهجري مرجعاً مهماً لوضع التقويم الصيني على مدار أربعمائة سنة ابتداء من أواسط القرن الثالث عشر.(١) وكان قد سبقه تقويم آخر من أسرة سُونغ صنعه فلكي مسلم أيضاً هو محمد يى زه القادم من جنوب الأناضول أو شمال سوريا.(٢) كما صنع جمال الدين زيجاً جديداً سماه الزيج الدائم وأدخل أقرانه الزيج الحاكمي لابن يونس ويقع في أربع مجلدات وكان قد صنعه للحاكم بأمر الله الفاطمي وقد أشار إليه الفلكي الصيني كُوشُيوشينغ (Kuo Shou Ching) سنة ٦٧٠ هجرية (١٢٨٠م) الذي عمل مع جمال الدين واستخدم هو نفسه الفلك الإسلامي في الحساب والعدّ وفي إعداد تقويمه الخاص الشُوشِي لِي(The Shou Shih Li).

وقد استمر استخدام الزيج الإسلامي جنباً إلى جنب مع الزيج الصيني خلال أسرة مِينغ الملكية ٧٧٠- ١٠٥٤ هجرية (١٣٦٨- ١٦٤٤م).(٣) كذلك جُهز مرصد بكين في ذلك الوقت بستة وعشرين كتاباً عربياً أُدرجت في قائمة كتب ضمت حوالي ٢٤٢ كتاباً.(٤) كما أدخل الفلكيون المسلمون نظام الأسبوع على

---

(١) Yang Zhou and others, edited by Bai Shouyi, An Out line History of China, foreign language press, Beijing, China, 1982, p.324, see also هادي العلوي ، من تاريخ العلاقة بين الحضارتين الصينية والإسلامية ، مجلة المدى ، بلا تاريخ ، ص ٣٢ ، انظر ايضاً جمال الدين بأي شو يي ، مساهمات المسلمين الصينيين في التاريخ ، مقال في كتاب سلسلة ثقافية (١) منشورات مجلة بناء الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين ، ١٩٨٢، ص ص ١٠٤- ١٠٥.

(٢) هادي العلوي ، المستطرف الصيني ، من تراث الصين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠١

(٣) نفس المصدر، ص ٣٠٢.

(٤) إبراهيم فنغ جين يوان، تعريب محمود يوسف لي هوا ين، الإسلام في الصين، بكين دار النشر باللغات الأجنبية، الطبعة الأولى ١٩٩١م، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٣١- ١٤١، انظر لمزيد من إسهامات المسلمين في مجال الفلك

التقويم الصيني ولم يكن الصينيون يعرفونه قبل ذلك.[١] ويبدو أنَّ الحقبة المغولية أتاحت أيضاً للصينيين أن يشاركوا بدورهم في الفلك الإسلامي، إذ يشير هادى العلوي إلى أنَّ المصادر العربية ذكرت اسم فلكي صيني كان من أعضاء مجمع مراغه الذي أسّسه نصير الدين الطوسي وساهم معه في بناء مرصد مراغه الشهير بتمويل من هولاكو حيث كان نصير الدين يشتغل في معيته. والفلكي المذكور هو تُوماجَه وفى المصادر العربية تومنجى.[٢] ولابد أن يكون توماجه قد ترك بعض تأثيره في الفلك الإسلامي كذلك.

هذا كما قام المنجم السوري الشهير عيسى Isa بزيارة للصين في سنة ٦٤٤ هجرية (١٢٤٦م) والتقى الإمبراطورة سُولو خُه تِينِى(Suolu He Tieni) وأسهم في تطوير علوم الفلك كما قام بترجمة عدد من كتب الطب وذلك لمعرفته الواسعة بعدد من اللغات الآسيوية.[٣] كما ساهم أيضاً علماء عرب مسلمون آخرون في تلك الحقبة منهم العالم يوسف الذي جاء إلى الصين من بيزنطة وعمل في البلاط الإمبراطوري من سنة ٦٤٨- ٧٠٨ هجرية (١٢٥٠ إلي ١٣٠٨م) وتقديراً لجهوده منح لقب عضو الأكاديمية الإمبراطورية.[٤]

Yangzhi Jiu, A study of the Hui Nationality in the Yuan Dynasty: Its Formation and Humanics, Nankai University publishing house, 2002 pp291-300 (In Chinese)

(١)هادي العلوي، المستطرف الصيني، من تراث الصين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢

(٢)نفس المصدر، ص ٣٠٢.

(٣) Zhang Guangda, and outline of the Historical Relations Between China and Arab Countries, edited by Zhou Yiliang, The History Of Sino – Foreign Cultural Intercourse (Hunan The People's Publishing House), 1987, p. 779 (In Chinese)

(٤)جياو جيان، العلاقات الثقافية الخارجية في فترة أسرة يوان، مجلة بناء الصين، يوليو ١٩٨٠، ص ٧٠.

كما أسهم المسلمون كذلك في هذه الحقبة في نقل علم الرياضيات المتقدم حيث استفاد الفلكي والرياضي الصيني العظيم قُو شُو جِينْغ (Guo Shou Jing) من علم الرياضيات العربية وخصوصاً أصول المثلثات القوسية الشكل التي ابتكرها المسلمون لقطع الدائرة. وكان قد انتقل خلال أسرة يوان ١٥ كتاباً عربياً في الرياضيات بما فيها أصول الهندسة كما دخلت في هذه الحقبة الأرقام العربية.[١] كما أسهم المسلمون أيضاً في تطوير علم الجغرافيا و الخرائط في الصين حيث نقل المسلمون في هذه الحقبة معلومات مهمة حول آسيا الوسطى والشرق الأوسط حيث استفاد الجغرافيون الصينيون بشكل كبير من المصادر الجغرافية الإسلامية التي حملها العرب والمسلمون معهم إلى الصين.[٢] ونعتقد أن أطلس الجغرافي الصيني العظيم شُو سُو بِين (Chu Ssu Pen) الذي ألفه في الحقبة من سنة ٧١١- ٧٢٠ هجرية (١٣١١- ١٣٢٠م) قد حمل الكثير من هذه المعلومات.

كما انتشر في هذه المرحلة تقليد الخزف الصيني في دمشق وبغداد وإيران وتركيا واتسعت دائرة تقليده في مصر في عصر المماليك.[٣] كما ازدهرت صناعة الورق والطباعة التي انتقلت منذ عهد أسرتي تَانغ وسُونغ ولا عجب في ذلك فإنَّ المغول الذين أجبروا آلاف الفنيين والعلماء والصناع المسلمين للتقدم معهم نحو الصين كانوا قد أجبروا أيضاً آلاف الصنّاع والفنيين والفنانين والنقاشين الصينيين للتقدم

---

(١)الإسلام في الصين، إبراهيم / فنغ جين يوان، تعريب محمود يوسف / لي هوا ين، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٣٦- ١٣٧.

(٢) Rossabi, Morris, the Muslims in the Early Yuan Dynasty op.cit., P.286-287, see also Yangzhi Jiu, A study of the Hui Nationality in the Yuan Dynasty op.cit., pp 303-312.

(٣)دار الآثار العربية، زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٧، ص ١٧٢.

معهم نحو العراق بل كان من ضمنهم فنيون وخبراء في صناعة السلالم والآلات الخشبية التي يعبر بها الجنود الحصون العالية.[١]

وكما أشرنا سابقاً فإنَّ المغول قد اهتموا بالطب الإسلامي حيث أمر قوبلاي خان بإنشاء مركز لهذا الطب في بكين وتأسيس دائرة للعقاقير الإسلامية في منغوليا. كما أُنشئت بأمره كليتان للصيدلة الإسلامية واحدة في دَادُو (Dadu) والثانية في شَانغ دُو (Shang Du) في منغوليا الداخلية.[٢] إلا أنَّ الصينيين لم يكونوا في الواقع متلقين فقط من مدرسة الطب الإسلامية إذ نهل المسلمون أيضاً من معين الطب الصيني حيث يقول رشيد الدين بعد أن قدم فهرسة عامة لجميع مؤلفاته" وقد رأينا أن نضيف إلى مجموعتنا كتباً مفردة غير مشتملة على مجلدات، ولم تكن لها نسخ موجودة في هذه الممالك إلى الآن. وقد سعينا فيها سعياً كثيراً حتى حصل نسخها، ونقلت من لسان أهل الخُطا (الصين) إلى لغة الفرس ثم إلى لغة العرب" وأشار إلى:

الكتاب الأول: طب أهل الخُطا من العلميات والعمليات.

الكتاب الثاني: الأدوية المفردة الخُطائية مما هي مستعملة عندنا وما ليس بمستعمل.

---

(١) Gaafar Karrar Ahamed, Sino Arab Relation During Tang Dynasty, 618-907 A.D, Journal of Tang Studies, Volume V, Peking University Press, Beijing, 1999, pp. 346-354

انظر أيضاً بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٥٠ ، ص ٢٦٠ ، حوار أجراه جعفر كرار أحمد مع العالم الصيني الأستاذ شن دو تشي Chen De Zhi المتخصص في دراسات أسرة يوان.

(٢) Rossabi, Morris, the Muslims in the Early Yuan Dynasty, op.cit., p284

الكتاب الثالث: الأدوية المفردة من القسمين المذكورين.

الكتاب الرابع: في السياسات وتدبير الملك وصلاحه على ما جرت به عاداتهم".[1] هذا وكان وكان قد عثر بعد انهيار الدولة المغولية في الصين على ٣٦ مجلداً للطب الإسلامى في البلاط الإمبراطوري في العاصمة دَادُو(Dadu).[2]

المسلمون والثقافة الصينية :

وبالطبع لم يكن المسلمون الصينيون خلال أسرة يُوان ببعيدين عن الثقافة الصينية إذ اندمج الكثير من المسلمين في مجرى الثقافة الصينية العام وذابت أعداد كبيرة منهم في الثقافة الصينية وتعرضوا للتصيين الذاتي الطوعي (Sinicization)

وكما أشرنا كان للمسلمين في الصين وجود سابق للحقبة المغولية في الصين وأن آلاف المسلمين الذين جاءوا إلى الصين قسراً مع القوات المغولية أو طوعاً بعد استتباب الأمن في الصين، قد رفدوا تيار الحضارة الإسلامية التي بدأت تنمو في الصين وكان أحفاد المسلمين الأوائل في الصين قد تصينوا وأصبحوا جزءاً من تيار الحضارة الصينية. ويبدو أن المسلمين الصينيين خلال هذه الحقبة قد تأثروا بشكل ما بالأفكار والتعاليم الكنفوشوسية بل أصبح بعضهم من ضمن أساتذتها الكبار، ومن هؤلاء قائد وحدة المدفعية في خُونان شُوشِي تَاي (Shu Shih Tai) وقد بلغ شغف هذا القائد المسلم بالكنفوشوسية أنه استخدم أمواله الخاصة لتأسيس أكاديمية استغرق بناؤها عشر سنوات. كما بنى ابنه Mu Yen Tieh Mu ربما معين تيمور

---

(١)جامع التواريخ ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، تاريخ المغول ، المجلد الثاني – الجزء الأول ، الإيلخانيون ، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين ، مصدر سبق ذكره ص ١٧٢.

(٢) Rossabi, Morris, the Muslims in the Early Yuan Dynasty, op.cit., p 284.

مكتبة خصصها للكلاسيكيات والكتب القديمة وقد عاش الأب والابن في حقبة الإمبراطور يَنْ يُو (Yen Yu) ٧١٤- ٧٢٠ هجرية (١٣١٤- ١٣٢٠م).[١]

كما حفلت المصادر الصينية بأسماء عدد من المسلمين الذين برعوا في مجال الأدب الصيني واحتلوا مكاناً مرموقاً في تاريخ الشعر الصيني منهم سعد الله (Sa-tu-la) وتنغ هو نيان (Ting Ho-Nien) وشمس الدين على شاه (Chi-ya-mo-ting-ai-li-sha) و لوشي تاو (Lu-Chig-tao) وجمال الدين بيه لي شاه تشانغ تشي شاه (Che-ma-Lu-ting,Pieh-Li-sha,Chang Chi-sha) وماي لو(Mai-Lu) وغيرهم من الأدباء والشعراء والرسامين. إلا أنَّ أكثرهم شهرة كان هو سعد الله (Sa-tu-la) الملقب بـ تيان شي (Tien Shi) ٦٧١- ٧٤٩ هجرية(١٢٧٢- ١٣٤٨م).

وتشير المصادر الصينية إلى أنه نشأ في أسرة مسلمة متدينة ووصف الأديب الصيني مَاو شِي (Mao Chih) ١٠٠٨- ١٠٧٠ هجرية (١٥٩٩- ١٦٥٩م) هذا الشاعر بأنه كان " أشهر شعراء الجنوب في عصره، وأن مدرسته الشعرية متفردة وأصيلة ومختلفة ويتصف شعره بالأناقة والنقاء والأصالة والعمق".[٢] (٨٧) وقد امتاز شعره بالبعد الإنساني وبانحيازه إلى فقراء الناس، وبحسه الشعري الأنيق وروحه الإنسانية التواقة للعدل وقد احتل هذا الأديب المسلم مكاناً مرموقاً في تاريخ الأدب الصيني، وقد رفد هذا الشاعر المسلم الغاضب الثقافة الصينية بعدد من المؤلفات الشعرية لا يزال أحدها يتداول حتى يومنا هذا وهو عمله المسمى

(١) Che'n Yuan, Translated and annotated by Ch'ien Hsing – hai and L. Carrington Goodrich ,Western and Central Asians in China Under the Mongols , op.cit.,p. 63.

(٢) Ibid., p p. 150-151.

Yen Men Chi.[1] كما حظي شاعر مسلم آخر هو تِينغ خُو نِيان (Ting Ho Nien) المولع كذلك بالتعاليم الكنفوشوسية بقدر كبير من الشهرة وقد ظهر هذا الشاعر المسلم في أواخر أسرة يُوان، وقد تأثر بمدرسة الشعر الصيني القديم وأصبح أحد أبرز روادها في تلك الحقبة ويصف أدباء تلك الحقبة والتي أعقبتها أسلوبه وتعابيره الشعرية بأنها غير مسبوقة. ولا يزال هنالك عملان من أعماله يجري تداولهما حتى اليوم وهما وتنغ هو نيان(Ting Ho-nien chi) و تنغ شياو تزو شي تشي(Ting shiao- tzu shih-chi).[2] بالإضافة إلى الشعر برز رسامون وخطاطون مسلمون برعوا في مجال الرسم الصيني ومن أبرزهم كَاو كُو كُونغ (Kao Ko- Kung) الذي كان شاعراً ورساماً كما كان أيضاً متخصصاً في الفلسفة الكنفوشوسية والتاريخ والأدب الصيني القديم.[3] هذا وقد كان هناك إداري ومؤرخ عربي مسلم آخر يدعى شمس (Shan-Si) ٦٧٧- ٧٥٢ هجرية (١٢٧٨- ١٣٥١م) وقد كانت له إسهامات في إثراء الساحة العلمية والثقافية في الصين حيث كان ملماً بالأعمال الأدبية القديمة خصوصاً مؤلفات Yi-Jing وقد ألف ١٢ كتاباً تراوحت محتوياتها بين الكنفوشية، الطاوية، التنجيم، الجغرافية، التاريخ وعلم تخزين المياه (مثل كتابه المعروف ملاحظات حول الوقاية من فيضانات الأنهار) وكتابه الشهير أطلس البلدان الغربية (Xi-Guo-Tu-Jing) و سير حياة العظماء بالبلدان الغربية (Xi-Guo-Yi-Ren-Zhuan).[4] وأعتقد أنَّ

(١) Ibid., p. 303.

(٢) Ibid., pp. 150, 154,155,156, 300.

(٣) Ibid., p. 210

(٤)Yuan Shi (History of Yuan Dynasty) Chapter 190, p.406

الكتاب الأخير كان يحتوى على سيرة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من المؤلفات، هذا بالإضافة إلى الوظائف الإدارية المهمة التي تقلدها، وحسبما يذكر الأستاذ شّن دُو تِشي (Chen De Zhi) فإن تلك الكتب ربما كانت تحتوى معلومات جغرافية وتاريخية قيمة حول المنطقة العربية.إلا أنَّ كتابيه (أطلس البلدان الغربية) و(سير حياة العظماء بالبلدان الغربية) لم يصلا إلينا.(١)

ولم تتخلف نساء المسلمين في تلك الفترة أيضاً عن المشاركة والتأثير والتأثر بتيار الثقافة الصينية الجارف، فقد برعت منهن شاعرات وأديبات وقد ذكر كتاب تاريخ أسرة مِينغ والمصادر الصينية الأخرى أديبة مسلمة صينية عاشت إبَّان أسرة يُوان وهى يُوه يي (Yueh– E) ابنة جمال الدين مفتش منطقة ووشَانغ (Wuchang) وكانت تَكتبُ باللغة الصينية، كما كانت عارفة بالكلاسيكيات الصينية.(٢) لقد حفظت لنا حقاً المصادر الصينية العائدة لأسرة يُوان عشرات الأسماء والشخصيات التي أسهمت في مجرى الثقافة والحضارة الصينية، وفي الازدهار الاقتصادي للصين وما أشرنا إليه سابقاً ما هو إلا نماذج. لطبيعة التأثيرات المتبادلة بين الثقافة الصينية والإسلامية في ذلك الزمن.

شخصيات إسلامية مهمة في أسرة يُوان :

لقد اخترنا في هذا الجزء من الدراسة أن نسلط الضوء على شخصيتين إسلاميتين لعبتا دوراً هاماً في الصين وقد كان اختيارنا لأحدهما بسبب دوره المهم

---

(١)Ibid

انظر أيضاً جعفر كرار أحمد ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، رسالة دكتوراه ، جامعة نانجين ، مصدر سبق ذكره ص. ٥٩

(٢) Che'n Yuan, Translated and annotated by Ch'ien Hsing – hai and L. Carrington Goodrich, Western and Central Asians in China under Mongol, op.cit, p 282>

في انتشار الإسلام في الصين وكذلك لتمثيلها قيم الإسلام الأصيلة في العدل واحترام الآخر وهما السيد الأجل عمر شمس الدين ٦٠٨- ٦٧٨ هجرية (١٢١١- ١٢٧٩م)* أو الأمير العربي شِيانْغ يَانْغ (Xiang Yang) كما يطلق عليه العامة من الناس والمصادر الصينية، أما الشخصية الثانية فتطلق عليها المصادر الصينية اسم Yeh-hei-tieh-erhويأتي اهتمامنا بها لأنها وضعت بصماتها في تاريخ العمارة في الصين، وبسبب أن المصادر الصينية الحديثة لا تلقي بالاً لهذا المهندس العظيم كما لا يكاد يكون معروفاً في بلاد المسلمين.

السيد الأجل عمر شمس الدين :

تشير المصادر الصينية إلى أنَّ السيد الأجل عمر شمس الدين تعود أصوله إلى المملكة العربية السعودية الحالية ويعود نسبه حسب هذه المصادر إلى الرسول الكريم.(١) وقد ولد عمر شمس الدين في بخارى (أوزبكستان الحالية) ويبدو أنَّ أسرته التي كانت تتمتع بمركز ديني وسياسي مرموق قد هاجرت إلى آسيا الوسطى مع الفتوحات الإسلامية الأولى. وحسب بعض المصادر فإنَّ أسلافه كانوا حكاماً

---

* سيد أجل عمر شمس الدين هكذا يكتب السواد الأعظم من الباحثين الصينيين اسمه، ويفسر هؤلاء الباحثين كلمة سيد بأنها تعني السليل العظيم للرسول (صلى الله عليه وسلم) بهذا تكون كلمة سيد وكلمة أجل ضمن الاسم لهذا السياسي البارز حسب القراءة الصوتية للباحثين الصينيين. ونعتقد أنَّ اسمه هو عمر شمس الدين أما السيد أجل فهو لقب العلويين في آسيا الوسطي (السيد الأجل). والسيد الأجل هو تعبير احترام مثل المبجل، فخامة وغيرها. انظر حول هذا الاستخدام

Li Qingesheng, Translated by Li Danhe, Ma Yonghong, Li Changyin, and Li Yue, A Biography of Sayyid Ajall Omer Shams Al-Din, Yunnan University Press, 1998, p.2.

(١) Li Qingesheng , Translated by Li Danhe, Ma Yonghong ,Li Changyin, and Li Yue , A Biography of Sayyid Ajall op.cit.,p.2.

على بخارى وأنَّ وفداً منهم قد جاء إلى الصين في سنة ٤٦٣ هجرية (١٠٧٠م) لتقديم "الولاء" مع أعيان من قبائل بخارى.[١] *

إلا أنَّ المصادر الصينية تبدو شديدة الاضطراب حول تاريخ وصول السيد الأجل شمس الدين إلى الصين، فبينما يشير سجل الأنساب الخاص بهذه الأسرة (Geneological record) إلى أنَّ أجداده قد انتقلوا من بخارى إلى الصين في وقت ما خلال أسرة سُونغ الشمالية بسبب الاضطرابات هناك.[٢]، يشير كتاب تاريخ أسرة يُوان إلى أن شمس الدين قد جاء إلى الصين مع الجحافل المغولية التي وسعت الفتوحات المغولية إلى غرب آسيا ويضيف "أن الإمبراطورTai Zong أو قوداى ٦٢٧- ٦٣٩ هجرية (١٢٢٩- ١٢٤١م) قد عينه في سنة ٦٢٧ هجرية (١٢٢٩م) رئيساً تنفيذياً (والياً) على ثلاث ولايات مهمة". وتغطي الولايات الثلاث مساحة من شمال غرب دَاتُونغ (Datong) في محافظة شَانْسِي إلى منغوليا الداخلية حتى غرب جِينْينغ (Jining) وتضم ولاية فَنْغ (Feng) شرق مدينة هُوهَوهُوت (Huhehot) وولاية جينغ (Jing) شمال مدينة هُوهَوهُوت (Huhehot)، وولاية يُون ني (Yunnei) غرب مدينة هُوهَوهُوت (Huhehot). وتعتبر المناطق التي تقع تحت حكم شمس الدين مراكز تجارية

---

(١) Jianping Wang, Concord and Conflict, op.cit, p. 47

* درج مؤرخو البلاط الصيني على توثيق كل الوفود القادمة من خارج الصين لتعزيز الصلات بين ممالكهم والصين في حولياتهم التاريخية، لكنهم يشيرون في هذه الحوليات إلى أنَّ هذه الوفود جاءت لتقديم فروض الطاعة والولاء لإمبراطور الصين(Tribute) حيث كان الصينيون يعتقدون أنهم المركز المتحضر الوحيد في العالم.

(٢) Li Qingesheng, Translated by Li Danhe, Ma Yonghong, Li Changyin, and Li Yue, A Biography of Sayyid Ajall Ajall, p.2.

مهمة ذات كثافة سكانية عالية.[1] وقد شكل هذا المنصب المهم بداية تاريخه السياسي والإداري. وتشير المصادر الصينية إلى أنَّ شمس الدين قد وصل إلى المنطقة وهى لا تزال تعاني من آثار المعارك بين جيوش المغول وأسرة جِين (Jin) التي انتهت في سنة ٦١١ هجرية (١٢١٤م).

وتصف المصادر التاريخية الصينية حالة الفقر وعدم الاستقرار الشديدين في المنطقة عند وصول شمس الدين إليها وبعد سنوات قليلة تحولت هذه المناطق إلى مناطق مزدهرة ومُنتِجَة حيث قام شمس الدين بإصلاح اقتصادي ريفي شامل أثمر هذا الإصلاح ازدهاراً في المنطقة ورفاهية لسكانها وتمتع السكان المحليون بحياة مزدهرة وسعيدة.[2].

وتكررت قصص نجاحاته في كل من منطقة يانجينغ (Yanjing) بكين الحالية وخُنَان(Henan) وتَشندِينغ (Zhending) وسِيتَشوان (Sichuan) وشانسي (Shaanxi)، حيث قام بإصلاح زراعي وفي مجال الضرائب عامة وخلال عشرين عاماً من عمله في يانجينغ (Yanjing) منذ سنة ٦٦٣ هجرية (١٢٦٤م) شهدت المنطقة ازدهاراً واستقراراً واضحاً. وكسب ثقة الناس في المناطق التي أدارها. حيث كان يقوم بخفض الضرائب وتوزيع المؤن على الناس في زمن الكوارث الطبيعية بل ويقوم أحياناً بإلغاء الضرائب.[3] وتشير الوثائق الصينية إلى أنَّ شمس الدين كثيراً ما قام أثناء عمله وإدارته في مقاطعات ومناطق شَانْسِى وسِيتْشوَان بتوزيع الأراضي

---

(١) Ibid. pp. 2- 3.

(٢)يحيى لين سونغ ، السيد أجل شمس الدين مساهمة عظيمة لمسلم في بناء مناطق الصين الحدودية ، سلسلة ثقافية (١) ، منشورات مجلة بناء الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين ، ١٩٨٢ ، ص ص ١١٥- ١٢١.

(٣)نفس المصدر، ص ١١٨.

وقطعان الماشية والحبوب على مَنْ لا يملكون أراضي وقطعاناً للانتظام في عمليات الإنتاج وتنشيط الدورة الاقتصادية في هذه المناطق مما ينعكس بالطبع استقراراً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.(١)

إلا أنَّ أهم إنجازاته على الإطلاق فقد كانت في منطقة يُونان الحدودية وذلك عندما عينه قوبلاي خان حاكماً على هذه المنطقة الفقيرة في سنة ٦٧٣ هجرية ١٢٧٤م التي سادتها الاضطرابات بسبب ثورة الأقليات القومية التي قادها شِيلِي وي (Sheli Wei) في سنة ٦٦٣ هجرية (١٢٦٤م) ومقتل أمير يونان هُوق إشيHug Echi الابن الخامس لقوبلاي خان في سنة ٦٧٠ هجرية (١٢٧١م) بسبب صراع على السلطة وسوء إدارته للمنطقة.(٢) وبالإضافة إلى اضطراب الأمن في يُونان وجد شمس الدين الذي بلغ عمره آنذاك ٦٣عاماً المنطقة تعيش فقراً مُدقِعاً ونظاماً زراعياً متخلفاً وضعيفاً، حيث لم تكن المنطقة تعرف على سبيل المثال حتى وصوله محاصيل كالأرز ولم تكن هناك أية مرافق للري وفوق كل هذا كان السكان يرزحون تحت نير نظام ضرائب قاس لم يراع واضعوه حالة الفقر العامة في الإقليم.(٣) وقد بدأ السيد الأجل شمس الدين إصلاحه الشامل بتنظيم الهيكل الإداري للمنطقة ونزع السلطات من كبار القادة الإقطاعيين وجنرالات الجيش، وفصل السلطة العسكرية عن المدنية. وبحلول سنة ٦٧٥ هجرية (١٢٧٦م)

---

(١) Volume.125 (In Chinese) Yuan Shi (History of Yuan Dynasty)

(٢) Qingesheng , Translated by Li Danhe, Ma Yonghong ,Li Changyin, and Li Yue , A Biography of Sayyid Ajall, , op.cit p. 22.

(٣) Bai Shouy , Shams, The Annals of Hui figures , Volume 2.

انظر أيضاً يحيى لين سونغ ، السيد أجل شمس الدين مساهمة عظيمة لمسلم في بناء مناطق الصين الحدودية ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١١٦ – ١١٨ ، انظر أيضاً

Che'n Yuan, Translated and annotated by Ch'ien Hsing – hai and L. Carrington Goodrich, Western and Central Asians in China, op.cit.,p.58

كان النظام الإداري القديم قد تم إلغاؤه أو إصلاحه إصلاحاً جذرياً.[١] وقد مهد الإصلاح الإداري لإصلاح زراعي ريفي شامل بدأ بتصميم نظام ري متكامل قام على تعميق بحيرة هَايكُو(HaiKou) والاستخدام الأمثل لنهر بَانلُونْغ (Panlong) وتصميم شبكة ري مرتبطة ببحيرة هَايكُو(Haikou) و نهر بَانلُونْغ(Panlong) وذلك لمنع الفيضانات وبناء منشآت ري وتخزين على طول ست بحيرات. وأنشأ شمس الدين من بحيرة هَايكُو (HaiKou) وحتى بِينغْدِيشَاو (Pingdishao) على طول عشرة كيلومترات أكثر من ٧٠ سداً على طول النهر وكانت المياه تنقل بشكل منظم من السدود إلى الحقول.

كما شق قنوات ري مثل قناة جِن تِشي (Jin Zhi) التي حركت ساكن الحياة على طول قرى القوميات التي مرت بها القناة. ولا يزال نظام الري الذي أقامه شمس الدين يعمل في بعض أجزائه حتى اليوم. وكان جوزيف نيد هام صاحب العمل الكبير العلوم والحضارة في الصين، قد أذهلته أنظمة الري التي أنشأها شمس الدين في حوض كُونمينغ أثناء زيارته لهذه المنطقة في نهاية سنة ١٣٦١ هجرية (١٩٤٢م).[٢]

وبتنظيم قنوات الري قام شمس باستصلاح أراض واسعة جديدة وأدخل محاصيل لم تكن معروفه من قبل في الإقليم. وتم إصلاح نظام الضرائب مما خفّف كثيراً عن كاهل المزارعين وتطبيق سياسات لصالح فقراء المزارعين.[٣] ونتيجة

---

(١) Li Qingesheng, Translated by Li Danhe, Ma Yonghong, Changyin, and Li Yue, A Biography of Sayyid Ajall, op.cit. p.26

(٢) Ibid., pp 31- 39 , see also needham, Joseph , Science and Civilization In China , Volume 4 , Cambridge, at the University press , 1971, p 297 .

(٣) إعداد محمود يوسف – لي هوا ين وآخرين، تعريب محمود يوسف لي هوا ين وآخرين، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، مصدر سبق ذكره، ص ٤- ٨.

لعلاقات الإنتاج الجديدة التي أفرزتها سياسات شمس الدين المنحازة لفقراء الناس في الإقليم ارتفعت معدلات الإنتاج وانتقلت قوميات كاملة من دائرة الفقر إلى حياة أفضل وأصبحت مدينة كُونمينغ ولأول مرة عاصمة ثقافية واقتصادية وتجارية لإقليم يونان الذي أصبح محافظة مستقرة ومزدهرة وجزءاً أصيلاً من الصين. ولم ينس شمس الدين القطاعات التي أقعدت بها ظروفها الخاصة عن عملية البناء والتمتع بثمار الازدهار في تلك الفترة. حيث خصَّص شمس الدين دوراً للمحتاجين واليتامى والأرامل وُفر لها طيب الطعام والملبس.[١] إلا أنَّ أبرز ما استرعى اهتمامي الشخصي في حياة هذا المسلم العظيم هو سياساته الدينية وعلاقاته مع القوميات والأقليات في منطقة هي في الأصل تضم تشكيلة متباينة من الأقليات والديانات والثقافات المختلفة، فشمس الدين التقي النقي الذي بنى مسجدين كبيرين هما مسجدا نَان شَنْغ (Nan Cheng) ويُونغ نِنْغ (Yong Ning) بنى أيضاً معابد ومدارس لأتباع المعلم الفيلسوف كنفوشيوس، بل هو أول من بنى في سنة ٦٧٣- ٦٧٥ هجرية (١٢٧٤ – ١٢٧٦م) أول معبد كنفوشيوسى في تاريخ يُونان وقد أُلحقت به مدرسة لدراسة التعاليم الكنفوشوسية وعلوم أخرى كالطب والفلك وغيرها وكانت هذه المدرسة هي أول مدرسة في الإقليم تقبل التلاميذ من جميع القوميات والخلفيات الأسرية.[٢] ونلاحظ أنَّ شمس الدين قد استفاد من نظام الأوقاف الخاص بالمساجد حيث اقترح شراء

(١) Li Qingesheng, Translated by Li Danhe, Ma Yonghong, Changyin, and Li Yue, A Biography of Sayyid Ajall, op.Cit p.106.

(٢) Che'n Yuan, Translated and annotated by Ch'ien Hsing – hai and L. Carrington Goodrich, Western and Central Asians in China, op.cit, p 58

بعض الأراضي لصالح المعبد ـ المدرسة وتأجيرها ليعود عائدها للصرف على المدرسة والمدرسين.[١]

وتشير المصادر الصينية بما فيها مصادر تاريخ القوميات في محافظة يونان إلى العلاقة الرائعة التي قامت بين أبناء هذه القوميات وشمس الدين حيث أظهر هذا المربي المسلم العظيم تفهماً واحتراماً منقطع النظير لثقافات هذه الأقليات ونمط حياتها ودياناتها وموروثها الثقافي، حيث حرص شمس الدين على إظهار احترامه الكامل لتقاليد هذه القوميات، ولم يكترث شمس الدين بالنظام العنصري الاجتماعي الذي فرضه المغول على المجتمعات التي حكموها في الصين والتي أشرنا إليها سابقاً فقام بتعيين الإداريين الأكفاء من مختلف القوميات بغض النظر عن ترتيبهم في النظام الاجتماعي المغولي ودينهم حيث اختار مسؤولين لمواقع إدارية رئيسية من قوميات الهان، والتانغو، والباي واليى وغيرهم.[٢] وتحت قيادته عاشت القوميات الصينية المختلفة في سلام حقيقي واستطاع في سنوات حكمه الست أن يضم مملكة دَالِي (Dali) ومملكة نَان تَشاو(Nan Zhao) بشكل نهائي للسلطة المركزية لتصبح هاتان المنطقتان جزءاً أصيلاً من الصين.[٣] ونلاحظ أنَّ بعض الباحثين الصينيين قد فسروا اهتمام شمس الدين ورعايته للمعابد والتعاليم الكنفوشوسية ومعتنقيها بأنه اختار لحكم الإقليم برنامجاً كنفوشوسياً، ويتساءل هؤلاء الباحثون عن لماذا اختار شمس الدين عمر برنامجاً كنفوشوسياً بدلاً عن

(١) -Li Qingesheng , Translated by Li Danhe, Ma Yonghong , Changyin, and Li Yue , A Biography of Sayyid56 Ajall , op.cit p - 56

(٢) Ibid., p.64.

(٣) Ibid., p.59

برنامج إسلامي في يُونان وهو الحاكم الشديد الإيمان بدينه القوي والمدعوم من المركز في بكين والمحبوب من شعبه في يُونان، ولا يجد بعض الباحثين جواباً لسؤالهم الحائر سوى أنَّ شمس الدين كان قد تصين بحكم إقامته الطويلة في الصين في ذلك الوقت، بينما يحاول الباحث الصيني وَانْغ جِيانغ بِينْغ الإجابة على هذا السؤال بقوله " إن المناطق الحدودية في يونان لها تاريخ تلاقح ثقافي قديم مع الثقافة الصينية قبل أسرة يوان وأنَّ سكانها قد تأثروا بالتقاليد الكنفوشوسية وأن القيادات الإسلامية هناك بما فيهم شمس الدين عمر قد استفادوا من هذا الاتجاه لتعزيز التنمية والاستقرار الاجتماعي في هذا الإقليم".[1] ومع تقديري لهذه الاجتهادات إلا أنني أعتقد أنَّ شمس الدين عمر لم يطبق في يُونان برنامجاً كنفوشوسياً علماً بأنَّ مسلمي الصين ظلوا تاريخياً قريبين جداً من التعاليم الكنفوشوسية لتشابه الكثير من تعاليمها مع تعاليم الإسلام، بل في الواقع أنَّ شمس الدين قد طبق برنامجاً إسلامياً صحيحاً قائماً على فهم عميق لتعاليم الإسلام وتراثه العظيم المبني على احترام الآخر والحوار معه بالحُسنى وبسط قيمة العدل ومنح الناس حقوقهم الثقافية والاقتصادية. وقد نجح في تقديري برنامج شمس الدين الإسلامي المتسامح في يُونان والدليل على ذلك هو الوجود الإسلامى الكثيف في يونان اليوم. إن الحزن النبيل الذي خيَّم علي القبائل والقوميات في يُونان والأساطير والحكايات والأغاني التي ألفتها وكتبتها مختلف القوميات في يُونان والتي اتفقت كلها طوال سبعمائة عام بمختلف دياناتها وثقافاتها على عظمة هذا الأمير المسلم العظيم وعدله وتواضعه تدل حقاً على عمق العلاقة التي أسسها هذا الحاكم مع محكوميه الذين

(١) Jianping Wang, Concord and Conflict, op.cit, p.72.

خرج جزء مقدر منهم مختارين من معابدهم التي بناها لهم ليدرسوا تاريخهم وتراثهم ودخلوا أفواجاً لرحاب الإسلام الرحيب لا خوفاً بل اقتداءً بحاكمهم وبعدله. وهي تعرف أو لا تعرف أنَّ شمس الدين قد استمد عدله وثقافته الواسعة واحترامه للآخر من عدل الإسلام النقي حين يتسلل بإنسانيته وفطرته السمحة في دواخل المسلمين فلا يرون في الذين يختلفون عنهم في معاشهم ودينهم وثقافتهم وألوانهم سوى إخوة إن كانوا بينهم، ومواطنين كاملي الحقوق يُسألون عنهم يوم الحشر العظيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات – الآية ١٣]، وقد استمر أبناء شمس الدين الذين واصلوا حكم هذا الإقليم في تنفيذ سياسات وبرامج والدهم وحظوا بذات الاحترام.

المهندس يحيى طاهر:

وبعيداً عن يُونان وفى قلب عاصمة الصين الحالية كان هنالك مهندس مسلم آخر يدفع بإسهامات أخرى ولكن في قطاع الهندسة والتشييد وهو المهندس يحيى طاهر حسب قراءتي، واختيار الدين حسب قراءة الباحثين الصينيين * الذي

---

* في تقديري أن قراءتي الصوتية لاسم هذا المهندس العربي المسلم (يحي طاهر قد تكون الأصوب، وأرى أن الباحثين الصينيين ربما قد وقعوا في خطأ صوتي عند تعريبهم لاسم هذا المهندس المسلم وقد لاحظت أن الباحث الصيني Feng China – Sheng قد ترجم في مقال له في مجلة بناء الصين عدد أبريل ١٩٥٥م اسم هذا المهندس (اختيار الدين). وقد استمر الباحثون الصينيون أمثال لوان تشنغ شيان وصديقي محمود ين يوان وغيرهم من الباحثين والمترجمين في استخدام هذه الترجمة الصوتية إلا انني أميل وحسب ما كتب اسم هذا المهندس في النصب الحجري في ذكرى ابنه محمد شاه والذي كتب باللغة الصينية وترجمتها الصوتية بالمقاطع الإنجليزية كالتالي Yeh –hei –tieh –erh حسب ترجمة Ch'en Yuan

وبالرغم من إنجازه الحضاري والتاريخي المميز وهو تصميمه وبناؤه لمدينة دَادو (بكين) عندما اختارها المغول لتكون عاصمة ذات مهابة تعكس سطوة وقوة الدولة الجديدة ومركزاً لحكم الصين، فإنَّ كتاب تاريخ أسرة إيوان لم يحفظ سيرة ذاتية له، إلا أنَّ مصادر صينية أخرى ونصباً حجرياً في ذكرى محمد شاه أحد أبناء يحي طاهر حفظ لنا سيرة هذا المهندس العظيم حيث يشير النصب الحجري إلى أنَّ أسلافه في أسرة تانغ كانوا عرباً، وعندما وصل قوبلاي خان (Shi Zu) للحكم عين يحيى مديراً لقسم الأشغال العامة (Cha-Tieh -Erh) وأصدر قوبلاي في ٢٨ ديسمبر ١٢٦٦م - ٢٦ يناير ١٢٦٧م مرسوماً إمبراطورياً لبناء قصور المدينة وأسوارها.[١] وبالفعل عكف المهندس يحيى طاهر على تصميم مشروع مدينة كبيرة ومهيبة لم يهتم فقط فيها بمهابة القصور الملكية وزخرفتها وصالاتها الفخمة وأديرتها ومعابدها بل بأسوار المدينة وبواباتها والطرق الداخلية في المدينة والمناطق السكنية داخلها ومباني المحاكم والمكاتب الإدارية داخل القصور وحولها وحتى

وحسب قراءتي الصوتية للنص الصيني فإنَّ الترجمة الصوتية العربية الأقرب لهذا المقطع الاسم هو يحيى طاهر. والاسم يحيى طاهر ليس الأقرب فقط صوتياً للمقطع الصيني بل أيضاً يتسق مع توثيق المصادر الصينية لجذور الرجل الذي لا يختلف المؤرخون الصينون على جذوره العربية بينما اسم اختيار وباختيار هما من أسماء المسلمين في إيران وآسيا الوسطي ونادراً ما يستخدم العرب هذا الاسم وبذلك يكون اسم يحيى طاهر متسقاً مع منظومة الأسماء العربية والأقرب صوتياً للترجمة الصوتية على النصب الحجري الذي كتبه أفراد من أسرة يحيى طاهر في ذكرى ابنه محمد شاه وهم الأدرى أيضاً في تقديري بكتابة الاسم الصحيح لوالدهم وجدهم من غيرهم من الموثقين). انظر:

Ch'en Yuan, Western And Central Asian's In China under The Mongols p 218, See also pp. 219-249.

(١)Che'n Yuan, Translated and annotated by Ch'ien Hsing – hai and L. Carrington Goodrich, Western and Central Asians in China, op.cit, pp .217-220.

المخازن وغرف الخدم. وفى ٢٨ ديسمبر ١٢٦٦ – ٢٦ يناير١٢٦٧م أمر الإمبراطور بعد إجازة المشروع يحيى ومساعديه ببدء تنفيذ التصميم وبناء قصور المدينة وأسوارها.[١] ويحفظ لنا مصدران صينيان هما The Chi Keng Lu و The Chich –Pu –tsu – chai ts'ung-shu وصفاً جيداً لنظام قصور محكم التنظيم ورائع كما وصفت المصادر الصينية التاريخية والمعاصرة بشكل دقيق شكل المدينة التي صممها وأشرف على بنائها ذلك المهندس يقول لُوان تِشنغ شِيان من معهد التاريخ التابع لأكاديمية العلوم الاجتماعية :

" ظهرت المدينة مربعة الشكل طول السور حول المدينة ٢٨.٦ كيلو متر تتخلله إحدى عشرة بوابة وكان فيها ١٨ شارعاً ويتوسطها القصر الإمبراطوري مقابلاً للجنوب تليه المنطقة التجارية وقُسمت المدينة إلى ٥٥ حياً تفصل بينها الطرق وكان معدل عرض الطريق ٢٥ متراً وأوسعها ٢٨ متراً. وكان من أبرز ما امتازت به تصاميم البناء هو الخط المحوري مخترقاً المدينة ومنطلقاً من بوابة لِيت شَنْغ في موقع ميدان تِيان آن مِين حالياً الواقع في أقصى جنوب المدينة إلى شمال القصر الإمبراطوري منتهياً عند جوسق الجرس – مركز الإنذار – وجوسق الطبل – مركز التوقيت – ورفع قصر دا مينغ في القصر الإمبراطوري والذي يرمز إلى سلطة الإمبراطور وسط الخط المحوري واصطفت القصور الأخرى فيه على جانبيه ويتوسط القصر الإمبراطوري جزيرة تِشيونغهوا (حديقة بيهاى حالياً) ورتب هذا التصميم الإبداعي بذلك منشأة القصر المهيب فيما بين المناظر الطبيعية الجميلة. بالإضافة إلى بناء القصر الإمبراطوري المهيب (قصر Guang- han- gong)

(١) Ibid.,

نهض يحيى مع مساعديه بمسؤولية تشييد السور المحيط بالقصر وإنشاء حديقة حيوان خاصة بالإمبراطور وحاشيته ".[١]

هذا كما عكس لنا أيضاً رشيد الدين مهابة المدينة مشيراً إلى أنَّ " لسور المدينة سبعة عشر برجاً وفى وسط المدينة بُنى قصر الإمبراطور المهيب وقد بُنيت أعمدته وبلاطه من المرمر الجميل، أما حديقة القصر فقد جُلب لها كل أنواع الأشجار من جميع أنحاء العالم لتُزرع في الحدائق ".[٢] *

---

(١)Ibid.,

انظر أيضاً مدينة بكين والمعمار المسلم العظيم – اختيار الدين ، سلسلة ثقافية (١) ، منشورات مجلة بناء الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٣٩- ١٤٢.

(٢) Boyle, John Andrew, The Successors of Genghis Khan, op.cit., pp 274-275.

* أعتقد أنَّ ابن بطوطة الذي وصل إلى الصين في عام ١٣٤٧م أي بعد حوالي ٦٢ عاماً من إكمال يحيى طاهر لبنائه لمدينة دادو وقصورها، حمل لنا وصفاً جيدا أيضا لقصر الإمبراطور عند زيارته لخان بالق ونعتقد أنه هو ذات القصر الذي صممه وأشرف على بنائه يحيى طاهر فهو يقول: " وقصره في وسط المدينة المختصة بسكناه وأكثر عمارته بالخشب المنقوش، وله ترتيب عجيب. وله سبعة أبواب: فالباب الأول منها يجلس به الكتوال، وهو أمير البوابين. وله مصاطب مرتفعه عن يمين الباب ويساره، فيها المماليك حفّاظ باب القصر، وعددهم خمسمائة رجل. وأُخبرت أنهم كانوا فيما تقدم ألف رجل. والباب الثاني يجلس عليه الرماة وعددهم خمسمائة. والباب الثالث يجلس عليه أصحاب الرماح وعددهم خمسمائة. والباب الرابع يجلس عليه أصحاب السيوف والترسه. والباب الخامس فيه ديوان الوزارة وبه سقائف كثيرة: فالسقيفة العظمى يقعد بها الوزير على مرتبة هائلة مرتفعة، وبين يديه دواة عظيمة من الذهب. وتقابل هذه السقيفة سقيفة كاتب السر. وعن يمينها سقيفة كاتب الرسائل. وعن يمين سقيفة الوزير سقيفة كتّاب الأشغال وتقابل هذه السقائف سقائف أربع: إحداها تسمى ديوان الإشراف، يقعد بها المشرف. والثانية سقيفة ديوان المستخرج. وأميرها من كبار الأمراء. والمستخرج هو ما يبقى قبل العمال وقبل الأمراء من اقطاعاتهم. والثالثة ديوان الغوث، ويجلس فيها أحد الأمراء الكبار ومعه الفقهاء والكتّاب، فمن لحقه مظلمة استغاث بهم. والرابعة ديوان البريد يجلس فيها أمير الإخباريين والباب السادس من أبواب القصر يجلس عليه الجندارية وأميرهم

وكان يحيى طاهر قد اقترح في سنة ٦٦٢ هجرية (١٢٦٣م) وقبل أن يبدأ في بناء قصور المدينة وأسوارها بناء جزيرة شِيونْغ هُوا دَاو(Qiong – Hua- Dao) وهى جزيرة يِي هَاي (Pei – Hai) وقد رفض طلبه في البداية إلا أنَّ الجزيرة قد بنيت بعد عام واحد من اقتراحه ولا تزال هذه الجزيرة موجودة حتى الآن في بحيرة يِي هَاي (Pei – Hai). [١] وكانت هذه الجزيرة وبحيرة يِي هَاي (Pei – Hai) والحدائق التي اقترحها يحيى طاهر وربطها بمجموعة القصور والأبنية الإمبراطورية قد عكست وعيه البيئي وحسه الجمالي، كما أنَّ تصميم المدينة وبناءها بأسلوب المعمار الصيني الخالص يعكس وعياً بالزمان والمكان وتقديراً عميقاً للثقافة والحضارة الصينية، وإدراكاً سياسياً نافذاً بألا يكون الحاكم بآلياته وثقافاته ومعماره بعيداً عن بنية المحكوم الثقافية والتراثية.إلا أنَّ يحيى بن طاهر الذي قدره الإمبراطور تقديراً عالياً بعد إنجازه لمشروعه الضخم. [٢] لم يقدر له أن يبقى طويلاً ليتجول في مدينته الجديدة إذ هده التعب والإرهاق ومات بعد وقت قصير من إكمال مشروعه العملاق وقد ورث أبناؤه مثل محمد شاه ومبارك وعمر وغيرهم من بعده منصب وزير البناء لعدة أجيال واستمروا من خلاله يسهمون في صيانة وتعمير المدينة التي صممها والدهم. [٣]

الأعظم. والباب السابع يجلس عليه الفتيان، ولهم ثلاث سقائف: إحداها سقيفة الحبشان منهم أمير من الصينيين". (مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار، مصدر سبق ذكره ص ص ٢٦٣- ٢٦٤).

(١)Che'n Yuan, Translated and annotated by Ch'ien Hsing – hai and L. Carrington Goodrich, Western and Central Asian s in China, op.cit, p. 224.

(٢) مدينة بكين والمعمار المسلم العظيم – اختيار الدين ، سلسلة ثقافية (١) ، منشورات مجلة بناء الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٣.

(٣) جعفر كرار أحمد، تاريخ العلاقات الصينية العربية، رسالة دكتوراه جامعة نانجين، انظر(الملاحق) قائمة بعنوان المسؤولون العرب إبَّان الحقبة المغولية، انظر قائمة بأسماء أبناء وأحفاد المعماري يحيى طاهر، مصدر سبق ذكره.

إنَّ العاصمة التي شيدها يحيى في سنة ٦٨٤ هجرية (١٢٨٥م) كانت بحجم مدينة بكين في بداية قيام جمهورية الصين الشعبية في سنة ١٣٦٩ هجرية (١٩٤٩م) وهى البنية الأصلية التي قامت عليها مدينة بكين الحالية حيث لا يزال تخطيط الشوارع العريضة والأزقة وكثير من التقسيمات قائمة في المدينة. مثل شارع دُونغْدَان.. شارع شِيدَان.. شارع دُونغْسِى.. شارع شِيسى.. طريق دُونغشِيمِنْ.. طريق شِيشِيمِنْ.. طريق قُولو الغربية.. طريق تَشاوِيَانغْمِن الداخلية، وقد وجدت كل هذه الشوارع في دَادو تحت أسماء مختلفة.[1] * فهل خطر لأجيال الصين الجديدة وضيوفها من الأجانب وهم يتجولون بين أنقاض سور مدينة بكين القديم وشوارعها العريضة الجميلة وحديقة بحيرة بِي هَاي Pei –Hai) الخلابة أنَّ مَنْ

(١)بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة، إعداد: ليو جيون ون، ترجمة محمد أبوجراد، دار النشر باللغات الأجنبية، الطبعة الأولى ١٩٨٨، بكين. ص ٧.

* يقول كتاب رسمي باسم بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة " إنَّ بناء دادو قد فتح فصلاً جديداً في تاريخ بكين. فمنذ أن أصدر الإمبراطور قوبلاي خان مرسومه لبناء عاصمته الجديدة دادو، وحتى تأسيس جمهورية الصين الشعبية وبكين عاصمتها، كان مركز المدينة في المنطقة التي حول قوانغآنمن اليوم، ومنذ بناء دادو وإلى اليوم، بقى المركز على هذا الوضع، مع انقطاع قليل، تحت أسماء مختلفة من مختلف الأسر الملكية إلى الوقت الحاضر. وجرى بناء دادو (بكين الحالية) وفق خطة شاملة، ففي الوسط وإلى الجنوب كانت المدينة الإمبراطورية التي تألفت من ثلاث مجموعات من القصور على ضفاف تشونغهاى (البحيرة الوسطي) وبيهاى. وكانت القصور على الضفة الشرقية حيث كان إمبراطور يوان يجرى المقابلات وكان أيضاً محل إقامته يعرف باسم داني (المدخل العظيم).. سلف (المدينة المحرمة) لأسرتي مينغ وتشينغ. وكانت القصور الجنوبية والشمالية على الضفاف الغربية للبحيرتين محل إقامة لولي العهد والإمبراطورة الأم. وقد زينت سقوف القصر بقرميد مزجج زاهي الألوان، وكانت المصاطب من رخام أبيض منحوتة على نحو معقد. وكان فن الزخرفة الداخلية بهيجا. وفى قلب المدينة، شمال القصر، برج الطبل وخلفه برج الجرس حيث كانت تقرع الطبول وتدق الأجراس لبيان ساعات النهار والليل. وكان للسور المحيط بالمدينة بوابتان من ناحية الشمال وثلاث بوابات على كل من جوانبه الأخرى. وكانت الشوارع العريضة والمستقيمة تربط بين كل بوابتين متقابلتين". انظر بكين حاضرة الصين العريقة والحديثة، إعداد: ليو جيون ون، ترجمة محمد أبوجراد، دار النشر باللغات الأجنبية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، بكين. ص ٦- ٧.

صمَّم لهم أسوارهم وقصورهم وشوارعهم الواسعة وحديقتهم الجميلة في زمن قديم وصديق هو مهندس عربي مسلم يدعى يحيى بن طاهر ؟

وهكذا نرى أن المسلمين في الصين خلال أسرة يوان قد قدموا إسهامات مهمة في فروع المعرفة المختلفة، وساهموا في تعزيز البناء السياسي والفكري للأسر المغولية الحاكمة في الصين، وفي التقدم الاقتصادي والثقافي للصين، إلا أنه وبالرغم من هذه الإنجازات المهمة إلا أنَّ علاقات المسلمين بحكامهم المغول لم تكن دائماً على ما يرام وذلك نتيجة للمؤامرات والدسائس التي كان يقصد منها الوقيعة بين الجانبين، كما أنَّ المسلمين لم يتفقوا دائماً مع بعض ممارسات وسياسات السلطات المغولية، كما أن أحداث هذه الحقبة كانت تشير أيضاً إلى أنَّ العلاقة في بعض مراحلها اتسمت بالاضطراب والشك، فالمغول الذين يبدو أنهم كانوا في حاجة لمهارات المسلمين في الميادين التي ذكرنا، أرادوا أيضاً الاستفادة من خبرات المسلمين بالصين الذين كانوا أخبر من غيرهم بأحوال الصين ولغاتها لأن بعض الأجيال من العرب والفرس كانوا سلفاً قد تواجدوا في الصين وأصبحوا من مواطنيها.

ولم يكن المغول يثقون كثيراً في إداريهم المسلمين، إذ تحفظ المصادر الإسلامية والصينية والغربية الكثير من المؤشرات والأحداث حول مظاهر هذه العلاقة المضطربة إذ ترصد المصادر حركة إعدامات ضد قادة مسلمين لأسباب مختلفة. حيث تمَّ على سبيل المثال في سنة ٧٠٩ هجرية (١٣٠٩م) الحكم بالإعدام على مسؤول مسلم يدعى أبو سلامة كان من كبار الموظفين في مدينة دادو(Dadu) ومحبوباً من الشعب ومبجلاً من الجنود.[1] كما كان من النادر أن تعهد لهم قيادات عليا في الجيش إلا عند الضرورة القصوى، كما كان المغول يحرصون على أن يبقوا

(١)جامع التواريخ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني، تاريخ المغول، المجلد الثاني – الجزء الأول، الإيلخانيون ، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين، مصدر سبق ذكره ص ١٢٤.

عدداً محدوداً جداً من الجياد في حوزة المسلمين وقد ارتبطت الجياد عند المغول بحركات التمرد والقتال.[١] بل هُدمت مساجدهم في بعض الأحيان حيث أمر الإمبراطور إنغ تَشنغ في سنة ٧٢١ هجرية (١٣٢١م) بهدم مسجد المسلمين في العاصمة شَانْغ دُو(Shang Du).[٢]

وكانت كثيراً ما تتوتر علاقات البلاط المغولي مع المسلمين لأسباب مختلفة بعضها بسبب الشكوك المُترسخَة لدى البلاط المغولي وبعضها بسبب الصراعات على السلطة والتنافس على المناصب في بلاط متنوع الأعراق، وكذلك بسبب النزاع بين الجماعات الدينية المختلفة وأحياناً أيضاً بسبب سوء الإدارة واستغلال النفوذ عند بعض قيادات المسلمين العليا مثل الفساد الذي مارسه كبير وزراء قوبلاي – أحمد الفنكاتي حيث استغل ماركوبولو كما ذكر هادي العلوي، فساد هذا الطاغية وقتله على يد مواطنيه ليشرح لقوبلاي خان ما كان يفعله أحمد بالصينيين وكان قوبلاي خان ميّالاً للعدل والإنصاف على عكس أصحابه الذين فتحوا بغداد على حد تعبير المؤرخ هادي العلوي فأمر بإخراجه من قبره ورميت جثته للكلاب وقتل أولاده وأولاد أخيه.[٣] ، إلا أن رشيد الدين الذي خصَّص جزءاً من تاريخه لهذا الحدث أشار إلى خلافات شديدة بين أحمد وأحد كبار وزراء البلاط اسمه قُو (Gou) الذي دبر عدة محاولات لقتله وحقق ذلك في المرة الأخيرة وقتل أيضا قُو (Gou) أثناء – هذه المحاولة بسهم أطلقه أحد مساعدي أحمد، وأشار إلى أنَّ الخان قد غضب وأمر بإعدام كل الذين شاركوا في عملية الاغتيال وأقام جنازة مهيبة لوزيره الراحل. لكن الإمبراطور الذي اكتشف أنَّ وزيره الكبير

---

(١)Rossabi, Morris, the Muslims in the Early Yuan Dynasty, op.cit., p. 277.

(٢)جامع التواريخ ، رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، تاريخ المغول ، المجلد الثاني – الجزء الأول ، الإيلخانيون ، تاريخ هولاكو مع مقدمة رشيد الدين ، مصدر سبق ذكره ص ١٢٤.

(٣)هادي العلوي ، المستطرف الصيني ، من تراث الصين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٠.

كان يحتفظ بالهدايا التي تقدم للإمبراطور لنفسه و بعد أربعين يوماً من وفاته قام بإخراج جثته وعلقها في السوق وأمر بقتل زوجته انجو خاتون (تسميها المصادر الصينية Yin Chu) وضم ثروته للخزانة العامة.(١) ويشير رشيد الدين في تاريخه إلى أزمة أخرى نشبت بين البلاط وبين المسلمين إبَّان تولي سِينغ (Seng) منصب كبير الوزراء حيث أشار إلى أنَّ بعض التجار المسلمين الذين كانوا في حضرة الإمبراطور رفضوا أن يتناولوا طعاماً قدمه لهم الإمبراطور بنفسه بسبب أنه غير مذبوح على الطريقة الإسلامية.(٢) فغضب الإمبراطور وأصدر مرسوماً منع فيه الذبح على الطريقة الإسلامية كما منع ختان الذكور وأنزل عقاباً صارماً على المخالفين. وبقى أطفال المسلمين لأربع سنوات متوالية دون ختان.(٣) وفى وسط هذا التوتر يقول رشيد الدين إنَّ بعض المسيحيين في بلاط الهَان قد انتهزوا هذه الأجواء ليحذروا الإمبراطور من وجود آية في القرآن تقول ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: آية ٥] بما يعني أنَّ المسلمين الذين في قصر الإمبراطور يحملون أمر اغتياله بموجب دينهم.(٤) فاتخذ قبلاي قراراً بإبعادهم عنه وتجريدهم من حقوقهم وامتيازاتهم وأمرهم باتباع شريعة المغول (اليساق) في أحوالهم الشخصية وأجبرهم على أكل اللحوم المخنوقة التي يأكلها المغول والصينيون.(٥) كما أمرهم باتباع اليساق في الزواج وأنزل الأئمة من على المنابر.(٦)

---

(١)-Boyle, John Andrew, The Successors of Genghis Khan, op.cit., pp 288-293.

(٢)Ibid., pp.293- 296.

(٣)Ibid., 294.

(٤)Ibid., pp.294-295.

(٥)Ibid., p.294.

(٦)بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٠م، ص ٢٠١.

ويقول رشيد الدين: " إنه عندما صار الأمر كذلك ترك معظم المسلمين بلاد الخُطا (الصين) ولم يعد التجار المسلمون يأتون إلى بلاد الخُطا " وقد استمرت مقاطعة التجار المسلمين للصين مما أدى إلى تراجع عائدات الدولة المالية واضطربت التجارة مع بلاد المسلمين فتقدم عدد من حكام الولايات والمقاطعات ومسؤولو الشؤون المالية بالتماس للإمبراطور عن طريق كبير الوزراء سِنغ (Seng) لإلغاء المرسوم الإمبراطوري واحترام العادات الإسلامية. وقد صدر مرسوم بذلك وعاد التجار المسلمون إلى الصين.(١) وكانت هذه الأزمة بين العالم الإسلامي من جهة والمسلمين الصينيين داخل البلاط وخارجه والسلطات المغولية قد استمرت لمدة ٧ سنوات.(٢) ونلاحظ أنَّ التجار المسلمين قد بدأو في العودة إلى الصين في أواخر عهد قبلاي خان. وهكذا نرى أنَّ علاقات المسلمين بالبلاط المغولي كانت غير مستقرة وهي رهينة إلى حد كبير بتوزان السلطة داخل البلاط.

حاولنا في الأجزاء السابقة من الدراسة أن في نرسم صورة عامة للمسلمين الصين إبَّان الحقبة المغولية وطبيعة العلاقة القائمة بينهم وبين حكامهم المغول وإسهاماتهم في رفد تيار الحضارة الصينية والإنسانية ونحاول في هذا الجزء من الدراسة الرد على مدرسة غربية تشكك باستمرار في مساهمات المسلمين الصينيين في تلك الحقبة متجاهلة عن عمد أو عن جهل إسهاماتهم العظيمة في تاريخ الصين وعلى النقيض تعمل على تصويرهم أداة في يد قوى أجنبية تستعمر بلداً أجنبياً عملت على اضطهاد الصينيين وأسهمت في إذلالهم، وخطورة هذه

(١)Boyle, John Andrew, The Successors of Genghis Khan, op.cit., p.294.

(٢)Ibid.,

المدرسة أنها تستدعي التاريخ حسب رؤيتها لتسمم الحاضر في الصين وتزرع بذور الشقاق بين أبناء القوميات المسلمة وأشقائهم غير المسلمين وتصويرهم بأنهم أجانب في وطن ليس وطنهم، وهى محاولة لعزل المسلمين الصينيين عن محيطهم السياسي والثقافي الراهن وتصويرهم كوافدين وليس كمواطنين كاملي الحقوق وذلك لإضعافهم كجماعات يمكن أن تلعب دور الجسر بين الصين والمسلمين لصالح قضايا المسلمين العادلة.

ويتفاوت روَّاد هذه المدرسة في نظرتهم المعادية للمسلمين من اجتهادهم لحشد الأدلة التاريخية الضعيفة لربط المسلمين والإسلام بأسرة يُوان المغولية متجاهلين أنَّ المغول عندما جاءوا إلى الصين وجدوا أن الإسلام قد مضى عليه أكثر من ٦٠٠ عام في الصين، ونلاحظ أنهم حاولوا التشكيك في تاريخ المساجد في الصين التي تعود لأسرة تَانغ وسُونغ، وأعادوها بأدلة ضعيفة وواهية إلى أسرة يُوان سارقين بذلك ٦٠٠ عام من عمر الإسلام والمسلمين والمساجد في الصين.* بينما يعتقد باحثون آخرون مثل مُوريس رُوَسابي (Morris Rossabi) أن المغول قد استخدموا بوعي أو بغير وعي المسلمين ككبش فداء ليصب الصينيون غضبهم عليهم بدلاً من حكامهم المغول.[1] بل يذهب روَّاد آخرون مثل رفائيل إسرائيلي (Raphael Israeli) إلى القول "بإن المغول قد استخدموا المسلمين كيد باطشة ضد الصينيين".

---

* تنشط هذه المدرسة بشكل خاص في التشكيك في الجذور التاريخية للإسلام والثقافة الإسلامية في الصين، وقد رددت في بحث منشور على بعض آراء هذه المدرسة، انظر جعفر كرار أحمد، ملاحظات حول الجذور التاريخية للثقافة الإسلامية في الصين، مجلة دراسات قومية هوي، أكاديمية الصين للعلوم الاجتماعية نينغشيا، العدد ٣٤، ١٩٩٩ (باللغة الصينية).

(١) Rossabi, Morris, the Muslims in the Early Yuan Dynasty, op.cit, pp. 258.259.

ويذهب هذا الكاتب أكثر ليتوهم أحقاداً بين المسلمين (الهُوي) و قومية الهَان تعود جذورها لهذه الفترة.[١]

إنَّ هذه المدرسة في تقديري تقع في إشكاليات عدة فهي على سبيل المثال تجهل أو تتجاهل الظروف التاريخية التي جاء فيها المسلمون إلى الصين ودورهم الحقيقي داخل هذا المجتمع المعروف عنه التسامح ربما لجهل معظم روَّاد هذه المدرسة بلغة أهل الصين ودراسة غالبيتهم لشؤون الصين دون أن يعيشوا فيها. كما تخلط هذه المدرسة - بين أهداف سياسة غير مرئية والتاريخ، لتفسد صفاء الوئام القومي الحاصل الآن بين المسلمين الصينيين (الهُوي)- وأشقائهم غير المسلمين. مستندين على كون المسلمين كانوا مفضلين حسب النظام الطبقي العرقي العنصري الذي وضعه المغول لحكم الصين، وعلى بعض الأمثلة غير المُشرِّفَة لبعض القيادات الإدارية للمسلمين مثل أحمد الفنكاتي متجاهلين أو جاهلين إسهامات غالبية المسلمين إبَّان أسرة يوان في تقدم وازدهار الصين.

وعلى عكس ما تذهب إليه هذه المدرسة تحفظ لنا المصادر الصينية أنَّ المسلمين لم يكونوا معزولين عن المجتمع الذي عاشوا فيه وأصبحوا جزءاً منه يحملون جنسيته وآماله، بل عرضوا حياتهم ومصالحهم للدفاع عن شعبهم الذين أصبحوا جزءاً منه ولم يكونوا جامعي ضرائب فقط كما تصر الكتابات الغربية على وصفهم. لقد صورت المصادر الصينية مثل كتاب تاريخ أسرة يُوان والصينيون أدرى بتاريخ بلادهم نماذج إسلامية كثيرة ضربت مثلا رائعاً في عفاف اليد إذ يقول تاريخ أسرة يوان عن شمس وهو مسؤول مسلم كبير عمل في عدد من المحافظات

(١)Edited By Raphael Israeli and Anthony H.Johns , Islam In Asia , Volume 2 Southeast and East Asia , A study Of Sino – Muslim Communities , Paper Presented By Jonathan N.Lipman, East View Press ,Boulder, Colorado , 1984, pp.281-282.

وهو بالطبع ليس شمس الدين حاكم يُونان الذي ذكرنا " قام بمعاقبة الموظفين الفاسدين ودافع عن مصالح الناس وكسب احترامهم لميله الشديد للعدل".[١]

ويحيلنا رشيد الدين إلى شخصيات إسلامية أخرى منها أبوبكر بن شمس الدين الأجل الذي رفض جمع الضرائب في أوقات المجاعات بل فتح مخازن الدولة لتوزيع الأغذية على الفقراء رافضاً طلباً رسمياً بالاستمرار في جمع الضرائب في هذا الوقت ودافع عن قراره أمام البلاط فأعجب الإمبراطور بأمانته وانحيازه للفقراء.[٢]

أما جمال الدين ووالده المسؤول الإداري المالي في منطقة وُو شَانغ شِين (Wu Chang Shien) فقد نذر حياته لخدمة الناس هناك "وبسط العدل وازدهر في عهده اقتصاد المنطقة وعاش الناس في سعادة وقدم من أمواله الخاصة مساعدات للفقراء وللعلماء والباحثين، وعند نهاية فترة خدمته هناك قام الناس ببناء قاعة تخليداً لذكراه وأطلقوا عليها اسم قاعة الفضيلة وغرس القيم (Chung Te Chih Tang) وشبهت المصادر الصينية هذا الحاكم العادل المسلم بأحد حكام أسرة هان وهو شُو يي (Chu I) الذي حكم منطقة أَنْهُوي الحالية – (Tung Shian) واشتهر بعدله.[٣]

---

(١)Yuan Shi (History of Yuan Dynasty) Chapter 190, p.406.

انظر أيضا إعداد محمود يوسف– لي خوا ين وآخرين ، تعريب محمود يوسف ، لي هوا ين وآخرين ، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين ، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ،مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣-٢٦.

(٢)Boyle, John Andrew, The Successors of Genghis Khan, op.cit.,p. 300.

(٣) Che'n Yuan, Translated and annotated by Ch'ien Hsin hai and L. Carrington Goodrich ,Western and Central Asians in China, op.cit., p. 99.

وتحفظ لنا المصادر الصينية أيضاً شخصية إسلامية أخرى حظيت باحترام كبير وهو الإداري المسلم Mu – Sa – Fei (ربما مصطفى) وكان مسؤولاً حكومياً بمنطقة جنوب نهر اليانغسي (Chung – Jan- Shien) وقد وجدت هذه الشخصية نظراً لعدلها وتفانيها في خدمة الناس احتراماً كبيراً.

وتنقل لنا المصادر الصينية وهي تتحدث عن حياة هذا الإداري المسلم هذا المقطع "قال السكان المحليون بصوت واحد ما أعطف وأنبل حاكمنا، خلال العقدين أو الثلاثة الأخيرة ليس لدينا مثل هذا الحاكم.إن هذا الحاكم يكن احتراماً عميقاً للتقاليد الصينية".[١] ومنح الأهالي مصطفى لقب صيني يعني "الرجل العطوف".[٢] وبلغ ببعض الإداريين المسلمين حد مقاومة الأوامر الإمبراطورية عندما تضاربت مع مصالح فقراء الناس مثل الشاعر والإداري الصيني المسلم قاوكه قونغ ٦٤٦- ٧١٠ هجرية (١٢٤٨- ١٣١٠م) الذي قاوم أمراً إمبراطورياً لجمع الضرائب في مدينة جُنكو (تِشنْجِيَانْغ الحالية) الذي كان قائماً على أمرها ورفض التوقيع على الأمر الصادر ودافع عن موقفه قائلاً بأن الأهالي غير قادرين على دفع الضرائب بسبب أحوالهم الاقتصادية السيئة. وتشير المصادر الصينية "إلى أن قاوكه كان رؤوفاً بعامة الشعب ويعارض تحميلهم ما لا طاقة لهم به ويساعد صغار الحرفيين لحثهم على الإنتاج وخفض الضرائب المفروضة عليهم وضبط القضاء وحارب الفساد".[٣] وتشير هذه المصادر إلى أنَّ الرجل بالرغم من تقلده

---

(١)Ibid. ,p.229

(٢)Ibid.,

(٣).Ibid., p .204

انظر أيضا إعداد محمود يوسف – لي هوا ين وآخرين ، تعريب محمود يوسف ، لي هوا ين وآخرين ، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين ، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١١- ١٢.

لعديد من المناصب في العاصمة دَادُو (Dadu) وغيرها إلا أنه استدان لتغطية نفقات السفر عند انتقاله إلى مركز حكومي جديد وقد توفي دون أن يترك لأهله ثروة أو ممتلكات.[١] كما أشارت هذه المصادر إلى محمد تشي يوان مفتش الشرطة الذي عاش إبَّان أسرة إيوان وقد أشادت المصادر الصينية بشجاعته وبفضائله وبحبه إلى الخير وعدله واحترامه للناس.[٢]

ونختتم هذا الاستعراض السريع بشاعر صيني آخر انحدر من بيت مسلم عريق في الصين وهو سعد الله الذي بالإضافة إلى إسهاماته الشعرية المميزة التي أشرنا إليها في وقت سابق دافع عن شعبه عندما احتل مواقع إدارية مهمة في محافظات مختلفة في الصين كما دافع عن شعبه كشاعر حيث كشف بشعره النابض القوي القوة التي استغلت شعبه وكشف جرائم الحكام الإقطاعيين. هذا في وقت أشارت فيه المصادر الصينية بكل تقدير إلى إنجازاته في ضبط الأسواق والمقاييس والمكاييل والموازيين وكبح غلاء الأسعار.[٣] وفتح هذا الإداري الأديب مخازن الحبوب في منطقة مدينة تشنجيانغ التي اجتاحتها كوارث ومجاعات بعد وقت قصير من وصوله لها. بل اصطدم بحاكم المنطقة بسبب تعاطفه مع فقراء الفلاحين وتشير المصادر الصينية إلى أنه باع إبريقه الفضي لمساعدة مواطنين لجأوا إلى مناطق قريبة من قصر الحاكم الذي سارع بإبعادهم عن مقر قصره.[٤] وقد دفع سعد الله ثمن الدفاع عن مواطنيه غالياً، فقد عُزل من منصبه ومات فقيراً مشرداً لكنه خلد نفسه بشعره الذي كرسه لفضح جرائم الإقطاعيين. يقول الشاعر سعد الله في عمله

---

(١)نفس المصدر.

(٢)Che'n Yuan, Translated and annotated by Ch'ien Hsing hai and L. Carrington Goodrich, Western and Central Asians in China, op.cit, p. 254.

(٣)يحيى لين سونغ ، سعد الله – شاعر من قومية هوى ، سلسلة ثقافية (١) ، منشورات مجلة بناء الصين ، دار المنشورات في الصين ، بكين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٢٢- ١٢٣.

(٤)نفس المصدر، ص ٢٣.

المعروف (فيضان النهر الأصفر قبل أوانه) "كان الموظفون يجبرون الفلاحين على تسليم ضرائب الأطيان حتى قبل أن تتاح لهم فرصة تذوق حصادهم الجديد.. ليت صوت غنائي للنهرين يترامى إلى سمع الأمراء والحكام وليت أنين الرياح يحيى النباتات الذابلة".[١]

ولا تعكس المصادر الصينية التاريخية صورة أمينة فقط لاستجابة المسلمين في الصين لنبض المجتمع الذي عاشوا فيه وأصبحوا فيه إداريين وشعراء وعلماء أديان وأبناء مخلصين لوطنهم الجديد، بل نقلت لنا أيضاً استجابتهم السريعة لإرادة التغيير عندما تراجعت سياسات التسامح الثقافي والديني التي اتسمت بها فترة قوبلاى خان وما سبقوه من حكام المغول. فبعد موت قوبلاى خان في سنة ٦٩٤ هجرية (١٢٩٤م) تولى توقان تيمور آخر أباطرة المغول الحكم في الصين وقد بدأت في عهده تنتظم الثورات الصين بسبب تراجع سياسات التسامح الديني والثقافي والعدل النسبي الذي اتسمت به فترة حكم قوبلاي خان وبسبب تنامي الغضب وسط الصينيين ورغبتهم في استعادة السيطرة الكاملة على بلادهم وفى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الصين انحاز المسلمون الذين أصبحوا جزءاً من الأمة الصينية إلى قوات الثورة التي كانت تقاتل المغول وكوَّن بعض المسلمين جيوشهم الخاصة للإسهام في معركة التحرير.[٢] واشتهر من بينهم قادة صينيون مسلمون منهم تشانغ يوي تشون الذي انضم إلى صفوف المقاومة في سنة ٧٥٣ هجرية (١٣٥٢م) وظل

---

(١)إعداد محمود يوسف – لي هوا ين وآخرين، تعريب محمود يوسف، لي هوا ين وآخرين، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠- ٢١.

(٢)Jianping Wang, Concord and Conflict, op.cit., p.53.

يقاتل إلى جانب القائد الصيني تُشو يُوان تَشانغ ـ الذي أصبح إمبراطوراً على الصين فيما بعد ـ منذ ٧٥٦ هجرية (١٣٥٥م) واشتهر بشجاعته وحرَّر الكثير من المدن المهمة.[١] هذا بالإضافة إلى القائد المسلم هُودَاهَاي الذي ظل يقاتل أيضاً إلى جانب شو يوان تشانغ، ونتيجة لإسهاماته في تحرير الكثير من المدن والمقاطعات مُنِحَ بعد موته لقب أمير مملكة يُويه ورُسمت صورته في معبد الأبطال بوصفه بطلاً بارزاً ساهم في تأسيس أسرة مينغ الصينية.[٢]

وكانت آخر معارك تحرير الصين في إقليم يُونان، حيث رفضت القبائل هناك الاستسلام لأسرة مينغ وقد أرسل الإمبراطور قائدين مسلمين من قواده هما لان يُو(Lan Yu) ومُو يينغ (Mu Ying) وبعد أن أكملا مهمتهما أمرهما الإمبراطور بالبقاء حكاماً عليها.[٣] * ولا ننكر أن اضطراباً ساد لوقت قصير في علاقات المسلمين بمواطنيهم الصينيين وبالحكام الجدد ولكن لم تسُد هذه الحالة طويلاً فبعد وقت قصير من انتصار قوات الثورة وتأسيس أسرة مينغ عاد الكثير من المسلمين الذين عملوا في السلك الإداري والعلمي في ظل أسرة يوان للانتظام في السلك الإداري للإمبراطورية الجديدة. ويقول الباحث الصيني وَانغ جيابنغ "في

---

(١)إعداد محمود يوسف – لي هوا ين وآخرين ، تعريب محمود يوسف ، لي هوا ين وآخرين ، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين ، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ ،مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨- ٤٠

(٢)نفس المصدر، ص ص. ٣٩- ٤٣.

(٣) Jianping Wang, Concord and Conflict, op.cit., pp.٥٣-٥٤.

* استمر المسلمون يحكمون هذا الإقليم وقد تعاقب على حكمه أبناؤهم وأحفادهم مثل Ma Chun- Mu Chen – Mu Ang وغيرهم وبقوا حكاماً عليه حتى سقوط أسرة مينغ في عام ١٦٤٤م على يد جيوش المانتشو.

الفترة الانتقالية بين الحكم المغولي وأسرة مينغ الجديدة لم يتضرر المسلمون كثيراً من حكامهم الجدد وحافظ الكثير من المسلمين على مواقعهم القديمة في جهاز الدولة، كما استمر أحفاد المسلمين الذين ورثوا ألقاباً رسمية يحملون ذات الألقاب في العصر الجديد".[1] بل إنَّ الإمبراطور الذي تعرف على المسلمين عن قُرب أثناء القتال ضد الجيوش المغولية أصدر عدداً من المراسيم الإمبراطورية لحماية المسلمين وضمان حقهم في العبادة منها مرسوم صادر في عام ١٣٩٢م يحمي المسلمين وممتلكاتهم ومساجدهم كما قدم الإمبراطور أرضاً ودعماً مالياً لبناء مسجدين وشجعهم على مواصلة الأعمال التجارية داخل الصين وقد رأيت شخصياً مرسوماً إمبراطورياً بهذا المعنى محفوظ عند أحد أئمة المساجد في مدينة يَانْجُو. بل إنَّ الإمبراطور تَاي زُو(Tai Zu) ٧٧٠- ٨٠١ هجرية (١٣٦٨- ١٣٩٨م) أمر ببناء مسجد في نانجين ونظم شخصياً قصيدة مكونة من مائة كلمة في مدح الرسول الكريم.[2] نُحتت على نصب حجري وضع في هذا المسجد.

* * *

(١)Jianping Wang, Concord and Conflict, op.cit., pp.77-80.

(٢) محمد مكين، نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، (محاضرة ألقاها محمد مكين بجماعة التعارف الإسلامى بالقاهرة، ١٥ أغسطس ١٩٣٤)، المطبعة السلفية، القاهرة، بلا تاريخ، ص ٢٢.

الخاتمة :

خلصت هذه الدراسة إلي أن المسلمين في العصر المغولي في الصين قد لعبوا أدواراً اقتصادية وسياسية وعلمية وثقافية مهمة كانت في مجملها أدواراً إيجابية، فقد أسهموا في ازدهار الصين الاقتصادي وربطها بالعالم الخارجي كما نقلوا للصين معارف الدنيا العلمية طب، فلك، جغرافية، رياضيات، معمار... إلخ ونقلوا معارفها للعالم. كما استطاع زعماء مسلمون مثل السيد الأجل عمر شمس الدين أن يعيد دمج أقاليم كبيرة مثل يُونان مع أقاليم الصين الأخرى، بل عمل على بناء نسيجها الثقافي ليتلاءم وبقية البلاد. كما صمم بعضهم مثل يحيى طاهر عاصمة الصين نفسها دَادو (بكين). كما أثرى المسلمون في هذه الحقبة حركة الأدب والثقافة والفلسفة الصينية بإسهامات جديدة. وأصبح المسلمون بمرور الأيام جزءاً من نسيج الأمة الصينية ومن تركيبتها الجغرافية وذلك بوجودهم في أقاليم محددة شكلوا الجزء الأكبر من سكانها، كما أصبحوا جزءاً من بنيتها السكانية والثقافية بعد أن تشكلوا كواحدة من قوميات الصين الكبرى (قومية الهُوي المسلمة). كما ردت هذه الدراسة في تقديري رداً يبدو كافياً على أولئك الذين يحاولون استخدام التاريخ دون أدلة تاريخية كافية عند دراسة الحقبة المغولية في الصين للإساءة إلى مسلمي الصين عامة باتهامهم بأنهم كانوا جزءاً من آلة القمع الاقتصادي والسياسي المغولية بحكم وجودهم في جهاز الدولة المغولي ويتناسى هؤلاء الكتاب أن هذا الجهاز كان يضم أفراداً من أمم مختلفة مسلمين ومسيحيين ويهود ولادينيين كما يتناسى هؤلاء الكتاب أنَّ المسلمين الذين فقدوا دولتهم الكبرى في سنة ٦٥٧ هجرية (١٢٥٨م) على يد المغول أنفسهم كانوا مجرد رعايا خاضعين للمغول تماماً مثل آلاف الجنود الصينيين الذين كانوا جزءاً من الجيوش المغولية التي غزت الشرق ومن بينها بغداد

نفسها. وقد لاحظت أنَّ المسلمين بالرغم من وجودهم داخل الجهاز الإداري المغولي بحكم كفاءتهم الإدارية ومعرفتهم الجيدة بالصين فهم الذين تواجدوا فيها منذ أسرة تانغ، إلا أنهم وكما أشرنا لم يكونوا طوال الوقت أداة جمع ضرائب، بل إنَّ ثقافتهم الإسلامية ووعيهم لقيمة العدل التي في تقديري لا يستقيم إسلام المرء دونها جعلتهم بشكل عام منحازين لشعب أصبحوا جزءاً منه وأسهموا في بناء مدنه وتوحيد ترابه وإثراء ثقافته وأخيراً حملوا السلاح للدفاع عنه وتحريره عندما اقتضت الضرورة ذلك. كما استفاد المسلمون من أجواء التسامح الثقافي والديني الفريد التي اتسم بها العصر المغولي بشكل عام لنشر الإسلام الذي انتقل من دين يتركز في المدن والمراكز التجارية على طول طريق الحرير البحري والبري إلى دين يمكن ملاحظة شواهده في مقاطعات ومدن وقرى ساحلية وداخلية في الشرق والغرب والجنوب. كما تدل الآثار التاريخية للمسلمين التي زُرتها في مدن تُشوانتُشو ويَانجُو وكُومينْغ وغيرها من مناطق الصين، أنَّ الإسلام والمسلمين في العصر المغولي في الصين كانوا جزءاً من حوار حضاري وثقافي سلمي متقدم وراقٍ، راقبه جهاز الدولة المغولي المتسامح دينياً دون تدخل، ورعته المجتمعات الصينية المجبولة على التسامح مع الآخر بحكم ثقافتها السلمية.

من خلال هذه الدراسة ومن دراسات أخرى أجريتها حول الإسلام والعرب في الصين لاحظت أنه بينما تهتم الشعوب الأخرى كالإيطاليين ببعض آثارهم الثقافية في الصين ويسعى الهنود لرسم خريطة لطريق الحرير بينهم وبين الصين ومتابعة آثارهم الثقافية في تُشوانتُشو ويخلق الغربيون ضجة وهالة هائلة حول ماركوبولو ودوره في الصين، بينما يسعى اليهود جادين للبحث عن آثارهم في الصين، يبدو العرب والمسلمون غير مبالين وهم أصحاب النصيب الأكبر من

التراث التاريخي في الصين إن كان موثقاً في بطون الكتب أو آثاراً ملموسة وواقفة تنتظر من يلتفت إليها. ولأنني أعتقد أنَّ الرد على الحملة ضد المسلمين وتاريخهم في الصين لا يكفيها مثل هذا النوع من الدراسات فقد رأيت في ختام هذه الدراسة أن أتقدم بالمقترحات التي قد تسهم إذا ما تم تنفيذها في تسليط بعض الضوء على تراثنا الإسلامى والعربي في الصين بغرض حمايته والتعريف به ولتعزيز علاقاتنا مع شعوب هذه المنطقة :

١- النظر في تنفيذ اقتراح الباحث الصيني لِي شِنْغشَنغ (Li Qingsheng) من مركز يُونان لدراسات القوميات والذي دعا فيه إلى إنشاء مركز دراسات خاص بالسيد الأجل شمس الدين وبناء قاعة تذكارية تخليداً لذكراه.

كما أقترحُ التالي :

١- تمويل دراسة للبحث عن الجذور التاريخية لأسرة السيد الأجل شمس الدين عمر في بخاري وذلك لسد النقص في المعلومات التاريخية حول تاريخ أسرته ودورها في بخاري والصين.

٢- أن تقوم المراكز والدوائر المهتمة بالتراث العربي والإسلامي في العالم العربي بالتعاون مع مراكز البحوث المهتمة بالتاريخ في العالم الإسلامي والجهات الصينية المختصة بتنظيم احتفال سنوي أو كل ثلاثة سنوات لتسليط الضوء علي إنجازات الراحل السيد الأجل شمس الدين على أن يتزامن مع مثل هذا النوع من الاحتفالات ندوة حول إسهاماته في نشر الإسلام في الصين و في ازدهار الصين واستقرارها.

٣- صيانة آثار السيد الأجل شمس الدين في يونان ومنها شبكات الري التي أقامها والمنشآت الأخرى كالمساجد والمعابد وضريحه.

٤- أن يقوم اتحاد المهندسين العرب بالتعاون مع مراكز البحوث المتخصصة في تاريخ الهندسة في العالمين العربي والإسلامى والجهات الصينية المختصة بتنظيم احتفال سنوي في بكين لدراسة الإرث التاريخي للمهندس يحيى طاهر باني مدينة بكين، وتنظيم ندوة حول أعماله ومساهماته بوصفه مهندساً عربياً مسلماً عظيماً. علماً بأنَّ الوثائق الصينية الحديثة والكتب الجديدة التي تتحدث عن تاريخ مدينة بكين تتجاهل ذكرى هذا المهندس.

٥- كما ذكرنا سابقاً فقد احتضنت الصين قبل مئات السنين حوار حضارات حقيقي تكشف عنه شواهد هذا الحوار في مدينة تُشوانتُشو على سبيل المثال مساجد، معابد، بقايا معابد هندية بقايا كنائس، شواهد قبور لعرب وفرس أتراك ويهود، هنود مسلمون ومسيحيون، بوذيون وغيرهم. نقترح أنَّ تقوم الحكومة الصينية بتنظيم اجتماع دولي أو ندوة دولية حول مفهوم حوار الحضارات يعقد في مدينة تُشوانتُشو بوصفها مركزاً قديماً لهذا الحوار.

* * *

الأحوال الاقتصادية لفئات العامة من المجتمع المصري خلال الحكم العثماني عند الجبرتي

د. صبحي محمود العزام
قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة مؤتة

ملخص البحث :

يعرض البحث في البداية نبذة عن حياة المؤلف وكتابه عجائب الآثار، الذي يعتبر المصدر المحلي الوحيد الذي كتب عن تاريخ مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، بعدها يؤكد سوء الأحوال الاقتصادية لفئات العامة في مصر خلال تلك الفترة، بفعل العديد من العوامل من أبرزها العوامل الطبيعية ممثلة بانخفاض منسوب مياه نهر النيل وكثرة الآفات والأمراض، والضرائب المتنوعة. والمصادرات التي شملت كافة الشرائح الاجتماعية، والتعديات التي كانت تقوم بها طوائف العسكر والعربان، ناهيك عن النقود المتداولة وما كان يصيبها من عمليات الغش .

وكان لتلك العوامل تأثيرها السلبي على المجتمع، فالفلاح عصفت به المجاعات والأمراض، والتاجر تعرض لصنوف من الضغوط المادية والمعنوية، وفئة السوقة من الباعة وأصحاب الصنائع والحرف تدهورت أحوالهم .

عبد الرحمن الجبرتي نشأته وثقافته :

هو عبد الرحمن بن أبي التداني حسن بن برهان الدين الجبرتي[١] والنسبة الملحقة باسمه تعود إلى جبرت الموطن الأصلي لأجداده القدامى، وهو إقليم ساحلي يقع إلى الغرب من ميناء زيلع، على البحر الأحمر بالحبشة[٢] وكان جده الأعلى قد ارتحل إلى هذا الإقليم في القرن العاشر الهجري، لكنه لم يمكث طويلاً إذ لم يلبث أن هاجر إلى جدة ثم إلى مكة، وأخيراً استقر بالمدينة المنورة، التي مكث بها سنتين قضاهما في الدراسة والالتقاء بالشيوخ من العلماء، ومن المدينة ارتحل إلى مصر التي استقر بها فتزوج وكبر شأنه[٣].

وبشأن والده الشيخ حسن، فالمصادر تذكر أنه كان ذا ثراء عريض، بفضل وراثته لنسائه، وتعاطيه للتجارة في البيع والشراء والمشاركة والمضاربة، ويمكن تقدير ثرائه من خلال المساكن التي تركها، وما كان يقتنيه من العبيد والجواري[٤] وإلى جانب ثرائه كان الشيخ حسن عالماً من علماء عصره، في العلوم الشرعية

---

(١) عاصي، حسين، عبد الرحمن الجبرتي مؤرخ الصراع الحضاري الأول بين الشرق والغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣، وسيشار إليه عاصي، عبد الرحمن الجبرتي.

(٢) الصياد، محمد محمود، جبرة وجبرت، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي، دراسات وبحوث، بحوث ألقيت في ندوة أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، وسيشار إليه الصياد، جبرة وجبرت، أحمد، يوسف، الإسلام في الحبشة، القاهرة، ١٩٣٨، ص٦٨، قاسم، جمال زكريا، عبد الرحمن الجبرتي، دراسات وبحوث، بحوث ألقيت في ندوة أقامتها الجمعية المصرية للدراسات والبحوث، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

(٣) الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م)، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي، طبعه وصححه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ٣ح، منشورات أحمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ج١، ص٤٤٠- ٤٦٦، وسيشار إليه الجبرتي، عجائب الآثار.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٥٨.

والرياضية سيما الفلك والحساب والهندسة والمساحة والجغرافية[١] ولسمعته الحسنة وثقافته العالية أقبل الكثير من أهل الشام والروم والمغرب والحجاز إلى حلقاته لتلقي العلم[٢] إضافة إلى ذلك فالشيخ حسن كان ذا نشاط سياسي، إذ تميز بالعلاقة الحسنة مع السلطة المملوكية في مصر، وكمؤشر على ذلك، تلك المنزلة التي كان يحتلها في قلوب الأكابر من الأمراء، والوزراء، والأعيان[٣].

وفي مثل هذه البيئة العلمية، ولد مؤرخنا عام ١١٦٧ هـ / ١٧٥٤ م من إحدى السراري في مدينة القاهرة، دون أن نعرف شيئاً عن هذه الجارية[٤] وهناك في القاهرة التحق بالكتاتيب المنتشرة في حي الأزهر، فتعلم اللغة وحفظ القرآن[٥] ثم انتقل إلى المدرسة، وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره[٦] وأخيراً التحق برواق الشوام أحد أروقة الجامع الأزهر، حيث تلقى المذهب الحنفي[٧] كما التقى العديد من العلماء الذين كانوا ذا صلة بوالده، أمثال محمد مرتضى الزبيدي الذي تعلم على يديه فقه اللغة للثعالبي وأدب الكاتب لابن قتيبة[٨] هذه الثقافة الواسعة أتاحت له في مرحلة الشباب إلقاء الدروس في الجامع الأزهر في الفقه وغيره من

(١) عاصي، عبد الرحمن الجبرتي، ص٤٠- ٤١.

(٢) عاصي، المرجع نفسه، ص٤١.

(٣) شيوب، خليل، عبد الرحمن الجبرتي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨، ص٣٤- ٣٥، وسيشار إليه شيوب، عبد الرحمن الجبرتي.

(٤) قاسم، عبد الرحمن الجبرتي، ص٤٨.

(٥) قاسم، المرجع نفسه، ص٤٨، عاصي، عبد الرحمن الجبرتي، ص٤٣.

(٦) عاصي، الجبرتي، ص٤٣.

(٧) عاصي، المرجع نفسه، ص٤٣، قاسم، عبد الرحمن الجبرتي، ص٤٨، عنان، محمد عبد الله، مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٧٨، وسيشار إليه عنان، مؤرخو مصر الإسلامية.

(٨) عاصي، عبد الرحمن الجبرتي، ص٤٨.

العلوم الشرعية، وأثناء الغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨م عُين عضواً في الديوان الثالث، الذي شكله الجنرال مينو عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠ م لضبط الأمن[١] ولا شك أن هذا التعيين قد أتاح للجبرتي الاتصال بسلطات الاحتلال، مما كان له أكبر الأثر عليه في الوقوف على الأحداث، والاطلاع على كثير من الوثائق والبيانات والإحصاءات الرسمية، لدعم مجهوده التاريخي سيما فيما يتعلق بتاريخ الاحتلال الفرنسي لمصر.[٢] وفي المرحلة الأخيرة من حياته أصيب الجبرتي بمحنة قاسية، تمثلت في قتل ولده خليل عام ١٢٣٧ هـ/ ١٨٢١ الذي كان يعمل مؤقتاً للصلاة في بلاط محمد علي باشا وقد كان لهذه الحادثة تأثيرها القوي عليه مع ما كان يعانيه من الكبر والضعف والمرض، لذلك هجر الكتابة والتأليف، وبقي حبيس الدار مريضاً حزيناً أعمى حتى توفي عام ١٢٤١ هـ/١٨٥٢[٣].

كان ظهور الجبرتي كمؤرخ ظاهرة فريدة من نوعها، في فترة شهد فيها العالم العربي والإسلامي حالة من الركود والاضمحلال، بسبب الظروف التاريخية والاقتصادية والسياسية[٤] بحيث أصبح مستكيناً لحالة من التبلد مقروناً بالغيبيات الباعثة على السلبية، ورغم الوضع الاجتماعي والثقافي لمؤرخنا، الذي كان أكبر معين له في تسجيل تاريخه عجائب الآثار في التراجم والأخبار، فإن مهمته لم تكن باليسيرة، وذلك لافتقاده للمصادر التاريخية التي ذهب القسم الأعظم منها بسبب كثرة الفتن بين المماليك، أو بينهم وبين العثمانيين، أو التسرب من البلاد بعد مجيء

(١) عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص١٧٨، قاسم، عبد الرحمن الجبرتي، ص٤٨، عاصي، عبد الرحمن الجبرتي، ص٤٩.

(٢) عاصي، المرجع نفسه، ص٥١.

(٣) عنان، مؤرخ مصر الإسلامية، ص١٨٩.

(٤) مصطفى، أحمد عبد الرحيم، الجبرتي... مؤرخاً، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي، دراسات وبحوث، بحوث ألقيت في الندوة التي أقامتها الجمعية المصرية للدراسات والبحوث، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٣١.

الفرنسيين إلى مصر[١] إضافة إلى قلة المصادر، فإن الكتابة التاريخية لم تكن تحظى بالاحترام من قبل الخاصة، سيما وأنها اعتبرت من أساطير الأولين وأفعال الدجالين[٢] لهذا السبب قام الجبرتي ببدء كتابه بوضع تمهيد تحدث فيه عن التاريخ وفائدته، باعتباره فناً تندرج فيه علوم كثيرة[٣] وتوجيه النصح إلى الحكام بمراعاة العدل وحسن السياسة.

وبعد التمهيد والمقدمة يلم إلمامة سريعة بتاريخ مصر حتى الفتح العثماني، وذلك بالحديث عن تمادي الفرق العثمانية وتصارع الأمراء المماليك، وعن الفترة القاتمة لحكم إبراهيم ومراد باشا، بما فيهما من مظالم، والتي اعتبرت الحملة الفرنسية ما هي إلا عقاب لأهل مصر، التي خصص لها الجزء الثالث، بدأ بدخول الحملة الفرنسية إلى مصر وما نتج عن هذا الدخول من انفلات المجتمع، وتحلله من المثل الأخلاقية ممثلة بالبغاء العلني وسفور النساء، والاختلاط بالرجال، ناهيك عما أصاب بعض الفئات الاجتماعية الأخرى من الارتداد عن القيم الإسلامية، بتعاطي المسكر والأكل والشرب علانية في رمضان[٤]ورغم مشاركة الجبرتي لمعاصريه برفض الفرنسيين .إلا أن ذلك لم يجعله يغض الطرف عن بعض الخصائص الحسنة التي يتميزون بها ،من حب العلم والاطلاع على العلوم والاحترام الزائد للقانون[٥] إضافة إلى ذلك فقد اهتم بتدوين كل ما قام به المحتل من أعمال عسكرية وسياسية وإدارية واجتماعية، ذلك بإثبات معظم الوثائق التي صدرت في صورة أوامر وبيانات ورسائل، وحركات المقاومة التي قام

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١ ، ص٤ ، مصطفى، الجبرتي، ص٣٢، قاسم، عبد الرحمن الجبرتي، ص٥١.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١ ، ص٤ ، مصطفى، الجبرتي، ص٣٢، قاسم، عبد الرحمن الجبرتي، ص٥١.

(٣) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١ ، ص٥ ، قاسم، عبد الرحمن الجبرتي، ص٥١.

(٤)عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص١٨٣ ، مصطفى، الجبرتي، ص٣٤- ٣٦.

(٥) عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص١٨٣.

بها الأمراء المماليك والعامة ممثلة بالكثير من الثورات الشعبية[1] كما اهتم بعودة الحكم العثماني لمصر، وبروز محمد علي باشا وما كانت تتسم به شخصيته من القسوة في تحصيل المال وقطع الأرزاق والاحتكار لجميع الأسباب[2] ورغم ما كان يتسم به الجبرتي من دقة في الملاحظة، والوضوح في العرض، والبساطة في التعبير، والأمانة في النقل والنزاهة في التقدير[3] بحيث أظهر الصورة النابضة للمجتمع المصري، إلا أنه يبقى في عداد المؤرخين التقليدين الذين ألفوا طريقة الحوليات واتقنوا فن التراجم، والاعتماد الكبير على الغيبيات في تفسير الأحداث، دون محاولة مسايرة النهضة العلمية التي شهدتها أوروبا، والتي آمن بها أحد معاصري الجبرتي وهو حسن العطار ورغم ذلك كله يبقى لمؤرخنا تلك المكانة السامية، باعتباره الوحيد الذي خلف لنا صورة فريدة لأحوال مصر في أيامه، لا يستغني عن كتابه كل من يتصدى للكتابة عن ناحية أو أخرى من تاريخ مصر في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

إن المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي قاهرياً يسكن القاهرة، ويعد من أبرز علمائها ووجهائها لذلك عرف مجتمع القاهرة أو بتعبير آخر مجتمع المدينة معرفة معايشة ومشاركة، إضافة إلى إلمامه بأحوال الريف، أتاحت له تلك المعايشة وذلك الإلمام، القيام بدراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمجتمع، ممثلة بضعف وسائل الضبط الاجتماعي، وزيادة حجم المشكلات الاقتصادية والتموينية، وتدهور الشؤون الصحية، وزيادة حجم الأمراض الاجتماعية[4] كما

---

(١) مصطفى، الجبرتي، ص٣٨.

(٢) عنان، مؤرخو مصر الإسلامية، ص١٨٣.

(٣)الشرقاوي، محمود، مصر في القرن الثاني عشر، القاهرة، ١٩٥٥، ج١، ص٢١.

(٤) أبو زيد، حكمت، المجتمع القاهري على الحملة الفرنسية كما صوره الجبرتي، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث، بحوث ألقيت في ندوة أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٣٤٤.

أتاحت له دراسة البناء الطبقي للمجتمع من حيث انتظامه في فئات وطوائف، كل فئة لها أطراها وأيديولوجيتها وأهدافها[1] ويمكن تلخيص البناء الهرمي لفئات العامة إلى: طائفة التجار: الموسرون منهم ومتوسطو الحال وطائفة الحرفيين والصناع، وطائفة أهل الفلح، وطائفة العوام، وطائفة أهل الذمة من أقباط ويهود وقد كانت الأحوال الاقتصادية لتلك الفئات على درجة من السوء، بفعل العديد من العوامل أهمها:

١-العوامل الطبيعية:

ممثلة بانخفاض منسوب مياه نهر النيل، وما نتج عن ذلك من تدهور في الزراعة، التي تعتمد على الري بالدرجة الأولى.

وقد تكرر هذا الانخفاض كما يذكر الجبرتي في العديد من السنوات، إذ كان ذلك في عام ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م[2] وعام ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م[3] وعام ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢م[4] وعام ١١٩٧ هـ / ١٧٨٢م[5] وعام ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣م[6] وعام ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١م[7] وعام ١٢٠٧ هـ / ١٧٩٢م[8] وعام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م[9].

والنتيجة الطبيعية لذلك الانخفاض هو تشريق الأراضي[10] واشتداد الكرب

---

(١) أبو زيد، المرجع نفسه، ص٣٤٤.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص٣٦.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٠.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص١٠٦.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٢.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٩

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٩٥.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٠١.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٦.

(١٠) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٢، ١٠٦، ج٢، ص٩٥، تشريق الأرض: الأرض التي تبقى دون زراعة.

وانعدام الغلال وارتفاع الأسعار[١] دون أي تدخل من قبل السلطة للتخفيف من وطأة تلك المشكلة، في حين كانت العامة تلجأ لمواجهة الموقف بالاجتماع في الأماكن العامة كجبل الجيوشي[٢] والقيام بصلاة الاستسقاء.

ورغم أن الغلال كانت أحياناً ترد من البلاد الشامية والرومية، إلا أن الأحوال لا تتحسن إلا بوفاء النيل في السنوات المقبلة، والذي تكرر مثلاً في عام ١١٩٣ هـ / ١٧٧٩م[٣] وعام ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م[٤] إذ ازداد وفاء النيل الذي علا على السدود وسقى غالب الأراضي بعد الاهتمام بسد المجاري وحفر الترع وإصلاح الجسور[٥] لذلك زادت الغلال حتى زكي الفدان بمقدار خمسة أفدنة[٦] كما كان للأوبئة تأثيرها، سواء الأوبئة التي تصيب الإنسان كما حصل عام ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م بحيث كان الناس يتساقطون في الشوارع والطرقات[٧] أو الأوبئة التي تصيب الحيوان والتي كانت تتساقط عام ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م بسائر الأقاليم البحرية، في الطرقات وغيطان المراعي، حتى قيل إنه مات لأحد الفلاحين مائة وستون ثوراً[٨] ناهيك عن سلاطة الفئران على المقاثي وغيطان الغلة[٩] ولا شك أن تلك العوامل كانت لها الفلاح، تعتمد على ما ينتجه الفلاح في الريف.

---

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص٣٩٢، ٣٦، ٣٩٩، ج٢، ص٩٥، ١٠١، ٢١٦.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٠.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٧١.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١١٢.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١١٢.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٢.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٧.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٣.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٥.

٢- الضرائب:

* الضرائب المفروضة على الفلاحين:

وقد شملت كافة الفلاحين، الذين كانوا أكثر من غيرهم معاناة، إذ يذكر الجبرتي أنه رغم بقاء نظام حيازة الأرض الزراعية على ما كان عليه عند الفتح العثماني، بعد قيام السلطان سليم الأول بإقرار نظام الالتزام، والاشتراط على الملتزمين دفع المال (الميري) المقرر على الأطيان التي بحوزتهم، إلا أن ذلك النظام كان يحمل في طياته الإجحاف، إذ لم يكن ذلك النظام يسمح للفلاح التصرف في أرضه سواء بالبيع أو الشراء، سوى زراعتها والانتفاع بها مع دفع المال المقرر عليه للملتزم الذي أقامه السلطان نائباً عنه، وإذا لم يدفع الفلاح مال الأرض أو قصر في واجبه سحب الملتزم الأرض منه وأعطاها لمن يشاء[١] وبما أن نظام الالتزام كان يمنح الملتزم مساحات واسعة فقد ابتدع الملتزمون أساليب متقدمة لضمان سير الأمور في الالتزام على خير ما يرام إذ اعتاد الملتزمون تنصيب وكيل قبطي مباشر أو كاشف يعاونه عدد من الكتبة الأقباط في كل المناطق التي تحت التزامه[٢] إضافة إلى الوكيل، اعتاد الملتزمون تقسيم الالتزام إلى حصص على كل منها شيخ، لذي بدوره يتلقى الأوامر من الملتزم وينقلها إلى الفلاحين، بمعنى أن الشيوخ كانوا بمثابة أدوات للملتزم يستخدمون لضمان استمرار زراعة الأرض وسداد الضرائب الأصلية والإضافية[٣] كما كان في كل قرية صراف قبطي، يعينه المباشر أو الملتزم،

---

(١) حامد، رءوف عباس، تصوير الجبرتي للمجتمع الريفي، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث، بحوث ألقيت في الندوة التي أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٤١٦، ٤١٧.

(٢) حامد، المرجع نفسه، ص٤٢.

(٣) رفلن، هيلين، آن، الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، تعريب أحمد عبد الرحيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص٤٨- ٤٩.

والذي كان يختص باستلام الدخل الذي يحصله المشايخ من الفلاحين[١].

ورغم أن نظام الالتزام قد تعرض للإصلاحات في أيام الفرنسيين و أيام محمد علي باشا، إلا أن تلك الإصلاحات كانت صورية، إذ بقي نظام الالتزام يحمل الكثير من مظاهر الغبن تجاه الفلاحين سيما بالأساليب التي كانت تتبع في الجباية، إذ إنه تم المطالبة بالمال الخراجي عام ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨م، قبل أوانه[٢] كما فتح المطالبة بالمال الميري عن سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م معجلة في سنة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥م، على أن يؤدي النصف حالا والنصف الآخر بعد أربعة أشهر[٣] وكان يرافق عملية المطالبة بالمال الكثير من القسوة، إذ أن العسكر كانوا يقتحمون المنازل وفي أيديهم البنادق والأسلحة، وفي حالة عدم وجود صاحب المنزل كانوا يدخلون على النساء، ويحصل ما لا خير فيه من الهجوم عليهن[٤] وفي الأحيان التي يعجز الملتزمون عن تأدية المال المقرر إلى الدولة، كانت الدولة تضطر إلى الإعلان عن بيع القرى بالمزاد العلني، كما حصل عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م إذ نجح محمد البارودي من شراء سبعين بلداً بالمزاد من الملتزمين[٥].

ولا نلمس هناك مراعاة لأحوال الفلاحين أو الملتزمين إلا في سنوات محدودة، كما حصل عام ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م التي وافقت السلطة بها على وقف المطالبة بالمال الميري من الفلاحين، بسبب نقص الري وتشريق الأراضي[٦] وتأخير غلال

(١) حامد، تصوير الجبرتي للمجتمع، ص٤٢٧.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص٥٨.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٦٨.

(٤) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص٥٨.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٩.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٦.

البلاد الشرقية إلى العام التالي بسبب تدهور أحوالها[١] وعام ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م التي تقرر فيها، عدم مطالبة الملتزمين بالأموال الميرية والفلاحين بالخراج[٢] بل وحرصاً على الفلاحين وخشيةً من تعدي الملتزمين صدر منشور بعدم دفع المال الميري إلى الملتزمين[٣] إلا أن تلك الحالات كانت حالات استثنائية.

إذ يورد المصدر أن الملتزمين لم يكونوا يكتفون بالمال الميري المقرر على الفلاحين، بل أوجدوا العديد من الضرائب الإضافية التي عرفت بالبراني أو المضاف، والتي يسميها الجبرتي بالمغارم، والتي وصل مقدارها إضافة إلى الضريبة الأصلية ثلاثة وثلاثين ضعفاً، وأشهر تلك الضرائب هي حق الطريق.[٤] وأوراق البشارة[٥] وأوراق تقبيل اليد[٦] وأوراق لبس القفطان[٧] ومصلحة القبودان[٨] وخدمة الكشوفية[٩].

والحلوان[١٠]. إضافة إلى ذلك هناك العديد من الضرائب التي فرضت سواء لمصلحة الأوقاف والأرزاق المرصدة على المساجد[١١] أو لتلبية احتياجات رجال

---

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٧٦.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٤١.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣٦.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٣١.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٦٨، ضريبة تفرض أثناء تقلد السلطة العثمانية سلطان جديد.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٦٨.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٦٨.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٩، ويظهر أنها ضريبة تجبى لمصلحة الأسطول العثماني.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٣.

(١٠) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص٥٨، وهي مبلغ من المال يدفعة الملتزم مقابل الحصول على الإلتزام.

(١١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٦.

الإدارة من المال[١] أو لترحيل الفرنسيين عن مصر[٢] أو لنفقة طوائف العسكر الموجودة في القطر المصري[٣] أو لنفقة العسكر القادم لمصر من الأستانة [٤].

وكانت تلك الفِرَد تفرض بمقادير مختلفة، تختلف من سنة إلى أخرى، إذ في عام ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م فرضت على كل بلدة كبيرة ثلاثة الآف نصف فضة، والصغيرة ألف وخمسمائة نصف فضة[٥] وفي عام ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦م فرضت تفريدة على الأرياف الأعلى خمسة وعشرون ألف نصف فضة، والأوسط سبعة عشر ألفاً، والأدنى تسعة آلاف نصف فضة[٦] وفي عام ١٢٠٢ / ١٧٨٧م فرضت تفريدة على كل بلد مائة وعشرة ريالات[٧] كما فرضت تفريدة أخرى في العام ذاته مقدارها، تسعة آلاف وأربعمائة كيس وعشرة آلاف وخمسة وأربعون نصف فضة، قسمت على القرى بحسب المساحة الأعلى أربعمائة ريال والأوسط ثلثمائة ريال والدون مائة وخمسون ريالاً[٨] وفي عام ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠م فرضت تفريدة على القرى بحسب المساحة أيضاً، فالتي مساحتها ألف فدان وأكثر خمسمائة ريال والأوسط ما كانت مساحتها خمسمائة فدان عليها ثلثمائة ريال والأدنى مائة وخمسون ريالاً[٩] وفي عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢م فرضوا تفريدة على البلاد أعلى

---

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١١٣.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٨.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢٨.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٣١.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص١١٠، الفرد: مفهوم يقصد به الضريبة المفروضة على السكان.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٨.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ٣٠.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١١٢- ١١٣.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٧.

الأعلى خمسمائة ريال، والأوسط ثلثمائة ريال، والأدنى مائة وخمسون ريالاً[١] وفي عام ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣م فرضوا تفريدة على بلاد المنوفية والغربية على كل بلد ألف ريال[٢] كما فرضوا على إقليم القليوبية على كل بلد ألف ريال، ومن كل صنف من الأصناف سبعون كسبعين خروفاً وسبعين رطل سمن وسبعين رطل بن[٣] كما فرضوا في العام ذاته تفريدة ثانية على البلاد أعلى وأوسط وأدنى الأعلى سبعون ألفاً والأوسط عشرون ألفاً وعشرة آلاف[٤] وفي عام ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م فرضوا تفريدة غلال على البلاد من قمح وشعير وتبن، أعلى وأوسط وأدنى، الأعلى خمسة عشر أردب قمح وخمسة عشر حمل تبن والأوسط عشرة أرادب قمح وعشرة أحمال تبن، والأدنى خمسة أرادب قمح وخمسة أحمال تبن[٥] كما فرضوا تفريدة ثالثة في العام ذاته على كل بلد، الأعلى مائة ألف نصف والدون ستون ألفاً[٦] وفي عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥م فرضت تفريدة مقدارها اثنا عشر ألف نصف فضة، إضافة إلى عشرين أردب فول وعشرين خروفاً وعشرين رطل سمن وعشرين رطل بُن وعشرين أردب أرز أبيض وعشرين أردب برغل[٧].

وفي عام ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ فرضت تفريدة مقدارها ثلاثة آلاف كيس[٨] كما فرضت تفريدة ثانية في العام ذاته على كل بلد من البلاد عشرون كيساً، إضافة إلى

---

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص٣٨٥.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٠٥.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٠٦.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢٨.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٣١.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٨٠.

غلال من القمح والفول والشعير بمقدار عشرين إردباً[1] كما فرضت تفريدة ثالثة أعلى وأوسط وأدني، الأعلى ثلاثون أردب قمح وثلاثون رأساً من الغنم وثلاثون رطل جبن والأوسط عشرون أردباً مع ما يتبعها، والأدنى اثنا عشر أردباً[2] وفي عام ١٢٢٥هـ /١٨١٠م فرضت تفريده على البلاد أعلاها ثمانون كيساً، والأدنى خمسة عشر كيساً[3].

بل الأدهى أن السلطة السياسية بدأت تمارس سياسة الاحتكار الزراعي، إذ يذكر أنه في عام ١٢٢٧هـ /١٨١٢ قام الباشا بحجز غلال الوجه القبلي كجزء من المال المطالب به الفلاح، ومن ثم شحنها بالمراكب وبيعها بأغلى الأثمان[4] أو الاستيلاء على الجزء الأكبر من أراضي الغربية، والقيام بحرثها وريها ومن ثم زراعتها بواسطة المرابعين والمزارعين، والقيام ببيعها إلى المتسببين بأغلى الأثمان حتى أصبح الكثير من أصناف الخضر تنسب إليه، فيقال لفت الباشا وملوخية الباشا وفجل الباشا وقرنبيط الباشا[5].

* الضرائب المفروضه على التجار:

كما كان التجار مصدراً آخر من مصادر تمويل السلطة الحاكمة، إذ تعرضت هذه الفئة لأنواع مختلفة من الضغوط المادية أيضاً ولأسباب متعددة، سواء للقيام بنفقة العساكر[6] أو للقضاء على حركات الخارجين، أو لترحيل الفرنسيين إذ في

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٨٣.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص٩٠.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٣.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ، ج٣، ص٢٥٠.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٦٠.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٢، ٤٥٧.

عام ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧م فرضت مبالغ كبيرة على تجار البن والبهار والقطن والقماش[١] كما فرضت فردة على تجار الغورية وطيلون وخان الخليلي عام ١٢٠٦هـ/١٧٩١م والتي كانت على درجة من الضخامة، بحيث وزعت على التجار صغارهم وكبارهم في قوائم[٢] وفرضت فردة أخرى على التجار عام ١٢١٤ هـ/ ١٧٩٩م الأولى مقدارها مائة كيس والثانية ثلاثة الآف كيس[٣] وفردة أخرى عام ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠م مقدارها مائتا ألف ريال[٤] وفردة أخرى١٢١٩هـ / ١٨٠٤ م على تجار البهار[٥] إضافة إلى هذه الفرد التي قاسى منها التجار ابتدعت السلطة وسائل أخرى لابتزاز الأموال من هذه الفئة، إذ في عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م رتب على الوكائل والخانات والحوانيت دراهم، تراوحت ما بين الثلاثين والأربعين درهماً، بحسب الرواج والاتساع[٦] ورتبت عليهم أيضاً عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م دراهم إضافية تؤخذ منهم كل يوم[٧] وأجبر التجار على ختم الأرطال بالدمغة السلطانية ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م، مع فرض مبالغ على كل دمغة مقدارها نصف فضة[٨] وحوسب تجار القهوة مرابحة عام ١١٢٠هـ / ١٧٠٨ م[٩]

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٨.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٩٥.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٢، ٢٣٤، ٢٢٣٠.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٤.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٥٧.

(٦) الجبرتي، عجائب الآثار، ، ج٢، ص٣٨٣.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ، ج٢، ص١١٨.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٤١.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٨.

وختمت الخانات والوكائل وحواصل التجار عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٦ م، وما أعيد فتحها إلا بعد دفع مبلغ من المال[١] كما فرضت مبالغ على السلع عند بيعها، كما حصل عام ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م على اللبان والحناء[٢] والأرز والكتان والحرير والحطب والملح[٣] ولضخامة تلك الفرد فقد تعاونت فئة التجار كبارها وصغارها في توزيع ما خصها من الفرد، أو الاستعانة بالسادات والعلماء[٤] أو الحماية بإحدى الفرق العسكرية [٥].

ورغم أن هناك محاولات للتخفيف من هذا المظالم، كما حدث عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م[٦] وعام ١٢٠٩ هـ/ ١٧٩٤م[٧] ومنع الأفراد من ممارسة تجارة بعينها أو صناعة بعينها، إلا بعد أخذ الجدك وهو ورقة امتياز[٨] إلا أن تلك الحالات كانت حالات استثنائية ووقيتة، إذ لم تلبث الضرائب العظيمة أن تعود وبقوة، كما حدث عام ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤م[٩] بل و الأدهى أن السلطة السياسية بدأت تمارس سياسة الاحتكار التجاري، كما حدث عام ١٢٢٤ هـ/ ١٨١٢م حين قام الباشا بالاستيلاء على الكثير من المراكب التي تحمل البن الإفرنجي ذا الحبة

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٨٢.
(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص١٧٥.
(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢١.
(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٣١.
(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٥.
(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٨.
(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١١٨.
(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٣١.
(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١١٨.

الخضراء والأكبر حجماً، ورميها على التجار كل قنطار بثلاثة وعشرين ريالاً فرنسية[١]، أضافة إلى استيلائه على قافلة لتجار البن، وإعطاء أصحابها وثائق بالثمن، ومن ثم القيام ببيعها لحسابه بأسعار مرتفعة حتى بلغ ما جباه تسعمائة كيس[٢].

* الضرائب المفروضة على أرباب الحرف:

كما أصيب بهذه الآفة أيضاً فئة الصناع وأرباب الحرف، التي كانت تحتل المركز المرموق في السلم الاجتماعي والاقتصادي، وتخضع لنظام النقابات المنظم لأمورها، وقد تعرضت لهذه الآفة بأساليب متعددة، إذ فرضت عليهم فردة مقدارها ثلاثة آلاف كيس عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م[٣]وفردة ثانية مقدارها مائة كيس في العام ذاته[٤] لكن بانتهاء الحرب لصالح الفرنسيين دفع السلطة الفرنسية لتعويض خسائرها بفرض الفرد على هذه الفئة، إذ فرضت فردة عليها عام ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩م مقدارها عشرة الآف فرنك، شملت الخياطين والنحاسين والقبانية والعطارين والزياتين والخبازين[٥].

كما فرضت فردة ثانية عام ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م، مقدارها ستون ألف ريال فرنسي[٦] وفردة ثالثة في العام ذاته، مقدارها مائة وستة وثمانون ألف ريال،

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ، ج٣، ص٢٤٦.
(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ، ج٣، ص١٩.
(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٣.
(٤) الجبرتي، المرجع نفسه، ج٢، ص٢٣٤.
(٥) الجبرتي، المرجع نفسه، ج٢، ص٢٤٣.
(٦) الجبرتي، المرجع نفسه، ج١، ص٢٧٤.

ولضخامتها قسمت على دفعات كل دفعة مقدارها اثنان وستون ألف ريال[١] وليس من شك أن هذه الفئة تعرضت لأساليب ابتزاز أخرى إضافة إلى هذه الفرد، والتي تمثلت بفرض مبالغ من ثلاثين إلى أربعين ريالاً عن كل حانوت من المعاصر والسيارج عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م[٢] ودفع أجرة سنة كاملة عن كل حانوت أو دار عام ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠م[٣] وإرسال التنابيه إلى الأفراد بدفع المقرر على الدور والعقار[٤] وإحضار أوراق الأملاك للديوان للتثبت منها[٥] والقيام بتحرير الموازين والتأكد من خلوها من الزيادة والنقصان، والقيام بختمها مع أخذ أجرة على كل ختم، وإتلاف المكاييل غير الصحيحة وإعطاء مكاييل جديدة مقابل مبالغ مرتفعة،[٦] بل والقيام بترخيص أسعار المبيعات، بحجة الرأفة بالرعية، ورغم محاولة أصحاب الحرف إقناع السلطة بالتراجع عن قرارها ببيان رأس مال كل صنعة وما تم دفعه من ضرائب ومكوس عليها، إلا أن حجتهم لم تقبل حتى تم دفع مبلغ من المال وزع على أفرادهم[٧] وتجاوز الأمر بطلب خيول الطواحين، لجر المدافع والعربات[٨] وفرض عدد من البغال على أهل كل حرفة بمقدار بغلة أو بغلتين أو ثلاثة، والذي لا يملك تلك البغال يقوم بشرائها أو دفع ثمنها[٩] كما

(١) الجبرتي، المرجع نفسه، ج٢، ص٢٤٥.

(٢) الجبرتي، المرجع نفسه، ج١، ص١٤٧.

(٣) الجبرتي، المرجع نفسه، ج١، ص١٤٧.

(٤) الجبرتي، عجائب الآثار، ، ج٣، ص٣.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٥١.

(٦) الجبرتي، المرجع نفسه، ، ج٢، ص٢٨١، ج١، ص٤١

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣٢.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص١٤٦.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣٣.

تعرض العوام أو العامة في القاهرة[١] والذين يسميهم الجبرتي بالزعر، للكثير من الضرائب وبأساليب متنوعة، نذكر من تلك الضرائب أنه في عام ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠م تم تقسيم القاهرة إلى مجموعة من الخطط، قدرت بثماني خطط مع الفرض على كل خطة بما تحويه من الدور والمساكن خمسة وعشرين ألف ريال، بمستويات مختلفة العالي ستون ريالا والوسط أربعون والأدنى عشرة[٢] وأخذت أجرة ثلاث سنوات عن الدور والمساكن عام ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣م[٣] وضريبة ثانية في العام ذاته على الأملاك والعقار، يتقاسمها المالك مع المستأجر.[٤] لكن الملفت للنظر تلك المبالغ التي فرضت على أهل الذمة من نصارى القبط والشوام والروم، والتي شكلت أقلية ذات نفوذ كبير، إذ فرض عليها عام ١١٤٦ هـ / ١٧٣٣ م ضريبة شملت القرى التي تحوي اليهود والنصارى، بمستويات العالي أربعمائة وعشرون نصف فضة والوسط مائتان وسبعون نصف فضة والدون مائة نصف فضة[٥] ومنع نصارى الشوام من دخول كنائس الإفرنج عام ١١٦٦ هـ/ ١٧٥٢م إلا بعد دفع ألف كيس من النقد[٦].

وطلب مائة ألف ريال من النصارى، وأربعون ألف ريال من اليهود عام ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م[٧] وفرض خمسمائة كيس على بيوتهم، وما هو جاري في أملاكهم عام ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥م[٨].

---

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٥.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٦.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٩٧.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص١٠.

(٥) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص١٢٦.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص١٥٦.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٤.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٣٩.

مما سبق نلمس مدى تعدد الضرائب، التي فرضت على العامة بكافة فئاتها خلال هذه الفترة، مما يشير إلى طبيعة السلطة القائمة وأعوانها في مصر، والتي كانت تسعى لتلبية احتياجاتها من المال دون النظر لمصالح العامة، رغم قسوة ظروفهم وشدتها.

٣- المصادرات:

أ- مصادرات الأفراد: لم تسلم فئات العامة أيضاً من المصادرات، التي كانت وسيلة أخرى من وسائل ابتزاز الأموال، ورغم أن السلطة القائمة قد بدأت بالعناصر الخارجة عن السلطة، أو العناصر المشكوك في ولائها، كما حصل عام ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤م إذ ضبطت أموال إسماعيل أغا وممتلكاته التي قدرت خلاف الجواهر والذخائر بألف وأربعمائة كيس[١] وأموال علي باشا وموجوداته عام ١١١٨ هـ / ١٧٠٦ م[٢] وأموال عبد الرحمن بك وذخائره عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م، حتى ما كان يملك من الحريم[٣] وأموال محمد بك جركس عام ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤م، وما يملك من الحديد والمواشي والأمتعة[٤] والمعلم إسحاق اليهودي عام ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨م، وما يملك من الأموال[٥] والوكيل علي بك عثمان الذي كان ذا ثراء زائد عام ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩م[٦] والمعلم إبراهيم

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٦.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٤٢.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص١١٨.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص١٣٨.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٣.

(٦) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص٢٦٠.

اليهودي، وما يملك من الفرش والمصاغ والأواني[١] وكاشف المنوفية عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م، وما يملك من الأموال والغلال والمواشي[٢] إضافة إلى الكثير من الأعيان والأفندية والكتبة والملتزمين[٣].

ب- مصادرات التجار: ولم تلبث المصادرات أن شملت فئة التجار سواء الميسور منهم أو متوسط الحال، بدفع تجهيز الحملات العسكرية[٤] ولوازم الحج[٥] وعلى أساس ذلك صودر التجار عام ١١٧٤ هـ /١٧٦٠م[٦] وعام ١١٨١ هـ / ١٧٦٧م[٧] وعام ١١٩٤ هـ / ١٧٨٠م[٨] وعام ١١٩٧ هـ / ١٧٨٢ م.[٩]

كما تعرض التجار للمصادرة من قبل الفرنسيين أثناء التواجد بالقطر المصري، إذ قام الفرنسيون بفتح دكاكين باب زويلة عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م[١٠] والقيام بختم جميع الوكائل والخانات عام ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠م، وأخذ جميع ما بها من بضائع وعطور ودخان[١١] إضافة إلى المصادرة المباشرة، تعرض التجار لطلب السلف المتكررة، والتي لم تكن ترد إليهم بشكل مباشر بل

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١ ص٤٤٤.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٥٨.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٨٣.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٤- ٢٢٥.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٩١.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص١٨٣- ٢٦٩.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ٢٢٤- ٢٢٥.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٨.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٠- ٣٩١.

(١٠) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ١٦١.

(١١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٤- ٢٧٦.

تحسب ضمن الضرائب والمكوس التي كانت تفرض عليهم، وعلى أساس ذلك أخذت سلفة من تجار البهار عام ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨م[١]. وسلفة من تجار البن والبهار عام ١١٩٨ هـ ١٧٨٣م[٢]. وسلفة من التجار المسلمين والإفرنج والأقباط عام ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م.[٣] سلفة عام ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦م، و التي لضخامتها أغلق الكثير من التجار حوانيتهم[٤]. وسلفة ثانية في العام ذاته على تجار البن على أن تعتبر من باقي الحساب[٥]. وسلفة من التجار المسلمين والنصارى والقبط والشوام والإفرنج عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م، مقدارها خمسمائة ألف ريال[٦]. وسلفة ثانية في العام ذاته من التجار وأهل الأسواق[٧]. وسلفة من التجار وأرباب الحرف عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م[٨]. وسلفة ثانية في العام ذاته مقدارها ثلاثة الآف كيس[٩]. وسلفة أخرى من تجار البن وتجار وكالة الصابون والتفاح عام ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م وتاكيداً في المطالبة أجلست العساكر على الحواصل والوكائل، ومنع إخراج أي شيء منها حتى تدفع تلك السلف[١٠].

---

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٥٧.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٩٩.

(٣) الجبرتي، عجائب الآثار، ، ج١، ص ٤٣٦.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٥.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٦.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٨.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٩.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٨٣.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨٥.

(١٠) الجبرتي، الصدر نفسه، ج٣، ص ١٤٥.

جـ- مصادرات العامة: كما شملت المصادرات أيضاً الفئات المستورة من العامة، إذ صودر العامة والمستورون عام ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠ م[١]. وخطف مالهم من بغال وجمال وحمير عام ١١٩٣ هـ / ١٧٧٩م[٢]. وعام ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠.[٣] والقبض على المكارة عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م. وأخذ ما بحوزتهم من الحمير[٤] والتعرض للمارة بالأسواق عام ١٢١٦هـ/ ١٩١٠م ونهب ما بحوزتهم من دراهم[٥] وأمتعة[٦] وثياب وفرش[٧] وغلة وتبن وسمن[٨].

٤- تعديات طوائف العسكر والعربان.

كذلك عانت العامة بفئاتها المتعددة، من التعديات التي كانت تقوم بها طوائف العسكر والعربان، والتي زادت من أحوالها سوءاً، وجعلت الأعباء الواقعة على كاهلها ثقيلة.

أ - التعديات على الفلاحين:

إذ يذكر أن محمد بك الصعيدي، وصل أخميم عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م فنهب البلاد وقتل الرجال[٩]. كما وصل إلى فرشوط عام ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩م وأخذ ما

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٢١٩.
(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٧١.
(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٢.
(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٧٦.
(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٥٣.
(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٣٠.
(٧) الجبرتي، عجائب الآثار، ، ج٣، ص ١٥٧.
(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٢٣.
(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ، ج١، ص ٦٢.

بها من أموال وذخائر وغلال[١]. وعاد إبراهيم جاويش من رجوة عام ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩ م وصحبته الكثير من السكر والعسل والأخشاب[٢]. وأخذ عثمان بك من البلاد عام ١١٨٤ هـ/ ١٧٧٠م ثلاثمائة ريال [٣]. وإسماعيل بك ثلاثمائة ريال [٤] ومراد بك من أقاليم البحرية والشرقية، المقادير العظيمة عام ١١٩٦ هـ/ ١٧٨١م [٥] وسليمان بك من أقاليم الغربية والمنوفية [٦] كما مارس هؤلاء الأمراء أعمال النهب إذ نهب مراد بك بر الجيزة عام ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م[٧] وطملوها عام ١٢٠٠ هـ /١٧٨٥ م[٨]. وكذلك رضوان بك الذي نهب المنوفية عام ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م[٩] وأحمد أغا الذي نهب الحسينية[١٠]. ومراد بك الذي نهب الجيزة عام ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م[١١]. إضافة إلى النهب، كان يتم سبي النساء والأولاد وهدم البيوت كما حصل لكفر دلوق وجميجون[١٢]. وقد استمرت تلك الأعمال ، إذ نهب كتخذا بك بلاد المنوفية التي كانت تزيد عن ستين بلداً عام ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥م.[١٣] وإسماعيل الكاشف الذي نهب البلاد وما بها من جمال وأبقار عام

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٦٣.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧٤.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ٢٧٨.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ٣٥٠.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٨٨.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٩٠.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٩٦.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٤١٧- ٤١٨.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٨.

(١٠) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٤.

(١١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ١١٦.

(١٢) الجبرتي، ،المصدر نفسه ج١، ص ٤١٧- ٤١٨، ج٢، ص ١٥.

(١٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٦١.

١٢٢٢هـ / ١٨٠٧ م[١] وواسين بك الذي نهب ناحية التين وما بها من غلال وأتبان ومواشي عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م [٢] ومحمد علي باشا الذي نهب ناحية بحري عام ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م[٣]. مما سبق يلاحظ القارئ عظم التكاليف التي كانت تقع على عاتق الفلاح من قبل هؤلاء الأمراء، دون أي تدخل من قبل السلطة القائمة، مما كان له أعظم الأثر على الفلاح، بحيث هلك الكثير بعد القيام ببيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم، والخروج بنسائهم وأولادهم إلى المدينة، هرباً من تلك الكلف الخارجة عن المعقول. إضافة إلى أولئك الأمراء الذين مارسوا السلب والنهب، يرد ذكر عدد من الطوائف العسكرية التي مارست تلك الأعمال، إذ يذكر أن تلك الطوائف ضربت قبيلة الكوامل عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨ م وعادت وهي تحمل الكثير من الغنم والماعز والدجاج والإوز[٤]. وضربت قبيلة العبابدة أيضاً وعادت وهي تحمل الكثير من المنهوبات حتى أصبحوا يبيعون البقرة بريالين والنعجة وابنها بريال[٥]. كما كثر تعدي تلك الطوائف على القرى، في الكلف وخطف الأغنام والنساء [٦]. وكمثال على ذلك عربدة أمراء القبالي في القرى عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م [٧]. وفي بلاد الفيوم[٨].

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٢٧.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٤١.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٦٩.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٧٢.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٧٣.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤٧.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ٣٧٠.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٧٩.

وعربدتهم في إقليم الشرقية والقليوبية عام ١٢١٩ هـ/١٨٨٤ م والقيام بحرق المدروس ونهب المتاع وذبح المواشي[١]. وكذلك عمل العسكر عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥م على أكل الزروع ونهب القرى وما وجد بها من الأولاد والبنات[٢]. والنزول إلى بولاق وناحية المنيا وشبراء والحمراء (١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧) والقيام بأكل الغلال[٣]. وخطف الحمير وافتضاض الأبكار والفجور بالنساء إلى غيرها من الأعمال.

كما تعرض الفلاح أيضاً إلى عربدة العربان الذين نزلوا أخميم عام ١١١٣هـ /١٧٠١ فنهبوا البلاد وقتلوا الرجال[٤]. إلى غيرها من الأفعال القبيحة [٥]. وازدادت السلاطة على القرى والفلاحين بنهب المواشي وإفساد المزارع ١٦١٣هـ /١٨٠١[٦]. وطلب السلف والفسق والفجور والقتل والحرق عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م[٧].

ب- التعديات على التجار:

كما تعرض التجار لتأثير تلك الطوائف، إذ نتيجة الصراع بين الطوائف العسكرية اعتادت الأسواق على الإغلاق، كما حصل عام ١١٢٠هـ

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٤٥٦.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٠- ٤٤.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣٣.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٦٢.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٠.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٤٦.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٧٠.

/١٧٠٨م[١]. وعام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨[٢]. كما مارست أعمال النهب تجاه هذه الفئة، إذ نهبت الحوانيت عام ١١١٤ هـ /١٧٠[٣]. والأتبان عام ١١٤٧ هـ ١٧٣٣م[٤]. والمراكب الصاعدة والهابطة في بني سويف عام ١١٩٧هـ / ١٧٨٢م[٥].والخانات والوكائل وجميع أسباب التجار عام ١٢٠٨هـ /١٧٩٣ والتي كانت من الكثرة بحيث بيع أردب الأرز بثلاثة عشر نصفا بعد أن كانت قيمته ألف نصف [٦]. ونتيجة لتلك الأعمال الشنيعة كان التجار أحياناً يضطرون إلى الاشتباك مع تلك الطوائف[٧]. أو نقل البضائع من تلك الحوانيت، إلى أماكن تكون بها أكثر أمناً[٨]. لكن الخطر الأعظم كان من قبل قبائل العربان الذين كانوا يتعرضون لقوافل التجار والقيام بنهبها، كما حصل عام ١٢١٩هـ/١٨٠٤ حين نهبوا قافلة للتجار تقدر بأربعة آلاف جمل[٩]. وعام١٢٢٠هـ ١٨٠٥ م حيث نهبوا القوافل وما بها من قماش وبهار وبن[١٠]. مما كان له أعظم الأثر في تعطيل الحركة التجارية، حتى إن الكثير من التجار قد أصيبوا بالفقر بعد خسارة جميع أموالهم في تلك القوافل.

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٥.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٥٤.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٢، ١٣٧.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٢٥٠.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٩٢.

(٦) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٤١٤.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٨٥.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٦.

(١٠) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٩.

جـ- التعديات على أرباب الحرف:

كما تعرض أهل الحرف والصنائع أيضاً لأنواع مختلفة من الضغوط المادية والمعنوية من قبل تلك الطوائف، إذ يذكر أنه بعد نجاح العثمانيين والإنجليز في هزيمة الفرنسيين عام ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م، أخذت الينكجرية الطواف في الأسواق، ووضع نشاناتهم على القهاوي والحوانيت[١] وتعليق الأسلحة على الحوانيت، كمؤشر أن العسكري أصبح شريكاً لصاحب الحانوت فيما يكسبه[٢] ورغم مقاومة السلطة العثمانية لتلك الظاهرة، بالمناداة في الأسواق بمنع العسكري من الجلوس في حوانيت الباعة وأرباب الحرف، أو مشاركتهم في أرباحهم[٣]. ومسك وضرب كل من وجد في تلك الحوانيت من العسكر[٤] إلا أن تلك الإجراءات لم تحد من تلك الظاهرة من قبل تلك الطوائف، بل الأدهى أن العسكر أخذت تفرض على الأسواق وأرباب الحرف، دراهم يتم أخذها كل يوم كضريبة، ناهيك عن أعمال السلب والنهب التي يقومون بها من المخابز والقهاوي[٥]. بل والقيام بممارسة البيع والشراء بسائر أصناف المأكولات والخضراوات وبيعها بما أحبوا من الأسعار، دون تدخل من قبل المحتسب[٦]. وبلغ التسلط من العسكر أن ترأس الكثير منهم مشيخة الحرف، والقيام بفرض ضرائب

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٣٣.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٣٤.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٣٦.

(٤) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٣٥.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٣٩.

(٦) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٣٤٧- ٣٤٨. ٣٣٩.

تلبية لاحتياجاتهم المادية[1] ولا شك أن تلك الممارسات كانت تدفع الكثير من أرباب الحرف إلى الاشتباك مع تلك الطوائف، كما حصل عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م بعد أعمالهم المشينة في خطف الأشياء والفسق بالنساء[2].

٥- التلاعب في النقود المتداولة:

يعد الجبرتي من المؤرخين القلائل الذين أدركوا أهمية العملة، واستقرارها في استقرار أحوال المجتمع، لذلك أورد الكثير عن النقود بأنواعها، سواء النقود الرئيسية أو النقود المساعدة، والعملة الجيدة أو العملة الردئية، كما شرح الاضطراب الخطير في أسعارها، وما يحل نتيجة ذلك بالبلاد من أزمات.

وبداية يجب التأكيد على حالة الاضطراب النقدي، التي كانت سائدة في مصر قبيل الحكم العثماني، والتي كانت بها العملة النحاسية تشكل النقد الرئيسي السائد في البلاد[3]. ورغم ذلك فإن الدولة العثمانية، لم تأت بإصلاحات نقدية جديرة بالاهتمام، بل الغالب أن قيم النقد في مصر كما يذكر الجبرتي، أصبحت عرضة للتغير المتتابع[4] بفعل رغبة السلطة القائمة سواء السلطة المركزية في اسطنبول، أو السلطة الفرعية ممثلة بالولاة في القاهرة، في الاستفادة من الفرق بين قيم النقد الاسمية وقيمها الحقيقية[5] ويبدو من الإشارات التي يوردها الجبرتي للنقود المتداولة في مصر، أنها لم تقتصر على ما كان يأمر به العثمانيون بسكه في

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤٧- ٣٤٨.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤.

(٣) فهمي، عبد الرحمن، النقود المتداولة أيام الجبرتي، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي بحوث ودراسات، بحوث ألقيت في الندوة التي أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٥٥٤.

(٤) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ١٤٧، ١٥٥، ج٢، ص ٥٦.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٧، فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٥٦.

الضربخانه المصرية، بل غمرت الأسواق المصرية مجموعة كبير من النقود الأوروبية سواء الذهبية أو الفضية[١] والتي أطلق عليها العامة أسماء ارتبط أكثرها بالنسبة المكانية أو الزخارف المنقوشة عليها[٢] وهكذا فإن النقود التي تعامل بها المصريون خلال الفترة، كانت نقوداً أجنبية أو نقوداً عثمانية، والتي في الغالب كانت في غاية الغش والفساد[٣] كانت أولى النقود التي ضربها العثمانيون في مصر هي الطرلي، والتي يطلق عليها الجبرتي اسم الطرة كون اسم السلطان كان ينقش على وجه النقد في هيئة طغراء عثمانية[٤] وأحياناً سميت الجنزرلي[٥] نسبة إلى الحافة المشرشرة لهذا النقد، وهي أشبة بالإطار أو الجنزير كما أطلق عليها اسم المحبوب أو زر محبوب[٦] وزر لفظ فارسي يعني الذهب، وهكذا فإن النقد يعني الذهب المحبوب، وذلك نسبة إلى ارتفاع عيار الذهب فيه حتى كانت النساء تتزين به[٧] وقد ورد الأمر بسك دينار الطرة في مصر عام ١١٠٧ هـ/١٦٩٥ م، إذ جعل عياره اثنين وعشرين قيرطـاً، وسعره بمائة وخمسة عشر نصفاً[٨] لكن لم تثبت قيمة هذه العملة، إذ أصبحت عرضة للتغير المتتابع، إذ في عام ١١١٤هـ / ١٧٠٢ م سعر بمائة نصف فضة[٩] وفي عام ١١١٨هـ /١٧٠٦م ورد الأمر بتحرير عياره على اثنين

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ١٤٨، ج٢، ص ٢٢، ٥٧- ٥٨.

(٢) فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٥٨.

(٣) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٧٢.

(٤) فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٥٨.

(٥) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ١٤٧.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٥.

(٧) فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٥٨.

(٨) الجبرتي، عجائب الآثار، ص٣٨.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٢٠.

وعشرين قيراطاً، بعد أن كان يحرر على ستة عشر قيراطاً[١] ثم ورد الأمر ثانية في العام ذاته، بتحرير عيارة على ثلاثة وعشرين قيراطاً[٢] وأخيراً المنع بضربه عام ١١٣٧هـ / ١٧٢٤ م [٣] لكن مع مهابة الناس للفندقلي، وتعطل قدوم الذهب، وتقديم الرشا، سمح للقائم على الضربخانه بسكه، والذي تمكن خلال ستين يوماً من سك تسعمائة وثمانين ألف جنزرلي، لكن السكة الجديدة لم تكن بتلك الجودة سيما وأن العيار قد أنقص قيراطاً لتسديد ثمن الفضة والذهب وديون الكشوفية لدار الضرب، مما دفع الصيارف في التوقف عن صرفه[٤] وحفاظاً على قيمته، ورد الأمر بتسعيره بخمسة وخمسين نصفاً[٥] لكنه استمر يتعرض لعمليات التلاعب بخلطه بالمعادن الرخيصة، مما دفع السلطة للتدخل والمناداة بعدم التعامل بكل دينار ينقص عياره عن ثلاثة قراريط. لكن العامة لم تلتزم بذلك لما يتسبب لها من خسارة تصل إلى النصف[٦] ومع استمرار عمليات الغش به، سعر عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م بمائتين وعشرين نصف فضة[٧] وعام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨ م بمائتين وخمسين نصفاً [٨] وعام ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م بمائتين وثلاثة وخمسين نصفاً[٩] وعام ١٢٢٦ هـ / ١٨١١م بمائتين وثمانين نصفاً[١٠].

---

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢.

(٢) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢.

(٣) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٧.

(٤) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ١٧٤.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٥.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٦.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٤٣.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٧٠.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٢٢.

(١٠) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٣٩.

وهناك الزلاطة العثمانية والتي ورد الأمر بضربها بمصر عام ١١٢٢هـ/١٧١٠م وهي نقد من الفضة عرف باسم آقجة، ونطقها المصريون وكتبوها كما فعل الجبرتي بـ (أخشاءة)[١] ورغم المعارضة التي أبداها المصريون تجاهها، إلا أنها ضربت، ويبدو أن قيمتها قد انخفضت لاحقاً، حتى سعرت عام ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م بستة عشر جديداً أي ستة عشر فلساً نحاسياً[٢].

وهناك الفضة (نصف فضة) وهي نقد تركي ترجع أقدم إشارة إليه إلى سنة٩٩١هـ / ١٥٨٣م، وقدرت قيمته بأربع أقجات (أخشاءة)[٣] وقد أطلق عليها الأتراك اسم البارة الفارسية، والمصريون اسم نصف فضة[٤] ويظهر أن الفضة المصرية كانت زائدة في الوزن عن فضة اسطنبول، مما دفع الدولة العثمانية للتدخل وإصدار الأمر عام ١١٢٢ هـ / ١٧١٠ م بقطع الزائد[٥] ويظهر إنها تعرضت مثل بقية العملات إلى عمليات القص، مما دفع الوالي إلى إصدار الأمر بإبطال المقاصيص، واستبدالها بالوزن من الصيارفة[٦] ورغم ذلك فإن الأسواق المصرية شهدت امتصاصاً لهذه العملة من أيدي الناس والصيارف، لبيعها إلى تجار الشام بسعر أعلى مما كانت عليه في مصر[٧].

---

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٣- ٤٤.

(٢)الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٧.

(٣) فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٧٣.

(٤) فهمي، النقود المتداوله، ص ٥٧٣.

(٥) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ٥٠.

(٦) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٨.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٧٠.

وهناك القرش وهو في الأصل تعريب لكلمة (Groschen) الألمانية، وقد وردت الإشارات بضربه في مصر في ولاية علي بك الكبير عام ١١٨٣ هـ / ١٧٦٩م، لكن لم يلبث أن أبطل التعامل به عام ١١٨٦هـ / ١٧٧٢ م وبقي الحال كذلك، حتى جاء الفرنسيون إلى مصر حيث أعادوا ضربه[١] هذا وقد حدث التلاعب به عام ١٢٢٦هـ / ١٨١١ م وذلك بإنقاص وزنه وخلطه بالمعادن الرخيصة، حتى لم يكن به مقدار الربع من الفضة الخالصة، ونتيجة لذلك سعر بأربعين نصف فضة[٢].

وهناك الجدد وهي عملة نحاسية أصغر من النصف فضة، وتمثل أدنى وحدات العملة المصرية، وقد كان النصف فضة يساوي عشرة أو اثنى عشر من الجدد، وأحياناً عشرين[٣] وقد وردت أول إشارة إلى ضربه عام ١١١٤ هـ / ١٧٠٢ م، بعد شيوع الفضة المقصوصة[٤] وقد أجبر الناس على اقتنائه، وكل من وجد حانوتة خالياً منه قتل[٥].

وهناك الفندقلي وهو نقد ذهب تركي أطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى زخرفة الحبيبات التي تشبه البندق أو الفندق في أطرافه[٦] وأول ضرب له في مصر كان عام ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤م، إذ في ذلك العام حضر من الديار الرومية الضربخانة وصاحب العيار والصناع، وصحبتهم سكة الفندقلي والنصف فندقلي، وحدد سعره بمائة وأربعة وثلاثين نصف فضة[٧] وقد عانى هذا النقد منذ البداية للمهابة

(١) فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٧٤- ٥٧٥.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٢٣٩.

(٣) فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٧٦.

(٤) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ١١٨.

(٥) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٩.

(٦) فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٧٤.

(٧) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ١٤٧.

في التعامل به[1] لذلك تعرض ضربه للمنع والإطلاق وخضع سعره للزيادة والنقصان، إذ صدر الأمر بإبطاله عام ١١٤٦هـ/١٧٣٣م[2] لكن لم يلبث أن أعيد سكه عام ١١٤٧هـ/١٧٣٤م وحدد سعره بثلثمائة نصف فضة[3] وعام ١٢٠٣هـ / ١٧٨٨م حدد سعره بمائة وخمسة وتسعين نصفاً[4] وكان آخر ضرب له عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م، لكن ذلك التوقف كان مقتصراً على تركيا إذ من الثابت أنه بقى يتعامل به في السوق المصرية بعد هذا التاريخ، بدليل إشارة الجبرتي إلى سعره وهو ستمائة وثمانون نصفاً في أحداث سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م[5].

كما غمرت الأسواق المصرية مجموعة كبيرة من النقود الأوربية الذهبية والفضية، والتي أشار الجبرتي إليها في كثير من الإشارات، وكان أهمها البندقي وهو نقد ذهبي ينسب إلى مدينة البندقية التي بدأت بضربه عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦ م[6] ومن الثابت أن سعره قد خضع للزيادة في الفترات التالية، إذ في عام ١١١٤هـ/ ١٧٠٢ م سعر بمائة وخمسة عشر نصف فضة[7] وعام ١٢٠٣ هـ/ ١٧٨٨م بمائتين وعشرة أنصاف فضة[8] وعام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م بأربعمائة وأربعين نصف فضة[9].

---

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٧.

(٢)الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٥.

(٣)الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ١٥٧.

(٤)الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٧- ٥٨.

(٥)الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٣٥.

(٦) فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٧٧.

(٧) الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ١٢٠.

(٨) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٧- ٥٨.

(٩) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٤٣.

وبما أنه كان أحسن الذهب الذي يجتهد الأفراد في اقتنائه، فقد أخذ يختفي من الأسواق، حتى وصل سعره ١٢٣٣هـ /١٨١٧م بتسعمائة نصف فضة[١].

وهناك الريال وهو لفظ مقتبس من Real بمعنى ملكي، ويظهر أن الإسبان كانوا أول من تداول هذا النقد في الأسواق التجارية، وانتقل هذا اللفظ إلى العالم العربي منذ القرن السابع عشر الميلادي، وأطلق على مجموعة كبيرة من النقود الفضية سواء كانت فرنسية أو إسبانية أو ألمانية أو هولندية أو نمساوية، فالريال النمساوي عرف في مصر باسم ريال أبو طاقة، نسبة إلى النافذة، أو الطاقة المرسومة في صدر النسر المصور على أحد وجهي الريال[٢] والريال الهولندي عرف باسم الريال أبو كلب، نسبة لصورة الأسد القريب من الكلب[٣] والذي صرف عام ١١١٤هـ / ١٧٠٢ م بثلاثة وأربعين نصفاً، ثم صُرف في أواخر العام ذاته بخمسة وأربعين نصفاً[٤] والريال الإسباني المعروف بريال أبو مدفع، نسبة إلى المدفع المنقوش على أحد وجهيه[٥] وكان يصرف بخمسة وتسعين نصف فضة[٦] وأحياناً كان يسمى بالريال المغربي، لارتباط هذا النقد بجماعات التجار المغاربة الذين كانوا يجلبونه من المغرب وإسبانيا[٧] والريال الفرنسي الذي كان سعره في ارتفاع مستمر طيلة العصر العثماني، إذ صرف عام ١١١٤ هـ / ١٧٠٢ م

(١) فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٧٧.

(٢) فهمي النقود المتداولة، ، ص ٥٧٨.

(٣)فهمي، المرجع نفسه، ص ٥٥٨.

(٤)الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ١١٨- ١٢٠.

(٥)فهمي، النقود المتداولة، ص ٥٥٨.

(٦)الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٥٧- ٥٨.

(٧)الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٥٨.

بخمسين نصف فضة، وفي أواخر العام صرف بستين نصف فضة[١] وعام ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م صرف بمائة نصف فضة، بعد أن وصل إلى مائة وعشرة أنصاف فضة[٢] وعام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧ م صرف بمائتين وعشرة أنصاف فضة[٣] وكان نتيجة الارتفاع الكبير السبب في دفع السلطة للتدخل والمطالبة بصرفه بمائتي نصف فضة فقط[٤] وعام١٢٢٣ هـ/ ١٨٠٨م صرف بمائتين وعشرين نصفاً، بعد أن وصل إلى مائتين وأربعين[٥] وعام١٢٢٦هـ/١٨١١م صرف بمائتين وخمسين نصف فضة[٦] ولا شك أن الارتفاع المستمر في سعر صرفه ناتج عن نقائه، مقابل العديد من العملات التي كانت تتعرض لعمليات إنقاص الوزن وخلطها بالمعادن الرخيصة[٧].

جدول العملات وأسعارها

السنة	السعر	العيار	العملة
١٦٩٥	١١٥ نصف فضة	٢٢ قيراط	الطرلى (الجنزرلي، محبوب)
١٧٠٢	١٠٠ نصف فضة		-
١٧٠٦		٢٢ قيراط	-
١٧٠٧		٢٣ قيراط	-
١٧٣٣	١١٠ نصف فضة		-
١٨٠٧	١٢٠ نصف فضة		-
١٨٠٨	٢٥٠ نصف فضة		-

(١)الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٨، ١٢٠.

(٢)الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٢.

(٣)الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٤٣.

(٤)الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٤٣.

(٥)الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٧٠.

(٦) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٢٣٩.

(٧) الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٩.

١٧٣٤	٢٦ فلس		الزلاطة (أخشاءة)
١٥٨٣	٤ أقجات		نصف فضة
١٧٦٩			القرش
١٨١١	٤٠ نصف فضة		-
١٧٠٢			الجدد
١٧٢٤	١٣٤ نصف فضة		الفندقلي
١٧٣٤	٣٠٠ نصف فضة		-
١٧٨٨	١٩٥ نصف فضة		-
١٨١٩	٦٨٠ نصف فضة		-
١٧٠٢	١١٥ نصف فضة		البندقي
١٧٨٨	٢١٠ نصف فضة		-
١٨٠٧	٤٤٠ نصف فضة		-
١٨١٧	٩٠٠ نصف فضة		-
			الريال (أبو طاقة)
١٧٠٢	٤٣ نصف فضة		الريال أبو كلب
١٧٠٢	٩٥ نصف فضة		الريال أبو مدفع
١٧٠٢	٥٠ نصف فضة		الريال الفرنسي
١٧٨٦	١٠٠ نصف فضة		-
١٨٠٧	٢١٠ نصف فضة		-
١٨٠٨	٢٢٠ نصف فضة		-
١٨١١	٢٥٠ نصف فضة		-

ولقد كان للعوامل السابقة نتائجها السلبية على أحوال المجتمع بكافة فئاته، إلا أن الأكثر ضرراً كانت فئات العامة، التي كانت أكثر فقراً من غيرها.، ويمكن ملاحظة تلك النتائج من خلال الاضطراب المستمر في أسعار المواد الغذائية الضرورية إلى الأفراد، والتي زودنا الجبرتي بها في كثير من الإشارات وإليك تلك الأسعار:

السنة	وحدة الوزن	المحصول	السعر	نوع العملة	المصدر
١١٠٦هـ / ١٦٩٤م	إردب	القمح	٦٠٠	نصف فضة	الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٧.
١١٠٦هـ / ١٦٩٤م	إردب	الشعير	٣٠٠	نصف فضة	
١١٠٦هـ / ١٦٩٤م	إردب	الفول	٤٠٠	نصف فضة	
١١٠٦هـ / ١٦٩٤م	إردب	الأرز	٨٠٠	نصف فضة	
١١١٦هـ/ ١٧٠٤م	إردب	القمح	٢٤٠	نصف فضة	الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص٤
١١١٦هـ/ ١٧٠٤م	إردب	الفول	٢٤٠	نصف فضة	
١١١٦هـ/ ١٧٠٤م	إردب	العدس	٢٠٠	نصف فضة	
١١١٦هـ/ ١٧٠٤م	إردب	الأرز	٤٠٠	نصف فضة	
١١٩٧هـ/١٧٨٢م	إردب	القمح	١٠	ريال	الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٩٢.
١١٩٨هـ/١٧٨٣م	إردب	القمح	١٣٠٠	نصف فضة	الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٠٠- ٤٠١
١١٩٨هـ/١٧٨٣م	إردب	الشعير	١٢٥٠	نصف فضة	
١٢٠٠هـ/١٧٨٥م	إردب	القمح وباقي الحبوب	ضعف الثمن	نصف فضة	الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢٢.
١٢٠١هـ/١٧٨٦م	إردب	القمح	٢- ٦	ريال	الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٦.
١٢٠٧هـ/١٧٩٢ك	إردب	القمح	١٨	ريال	الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠١
	إردب	الشعير	١٥	ريال	
	إردب	الفول	١٣	ريال	
١٢١٥هـ/١٨٠٠م	إردب	القمح وباقي الحبوب	عشرة أضعاف الثمن	ريال	الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٧١
١٢١٩هـ/١٨٠٤م	إردب	القمح	١٦	ريال	الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٦.
	إردب	الشعير	١٨	ريال	
١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م	إردب	القمح	١٦٠٠	نصف فضة	الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨١.

أسعار الزيوت والسكر والفاكهة.

	العملة	نوع المنتج	وحده الوزن	العدد	السنة
الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص١١٩.	٢ نصف ٦ جدد	الزيت الطيب	الرطل	١	١١١٣هـ/١٧٠١م
	٢ نصف	الزيت الشيرج	الرطل	١	-
	٢ نصف ٦ جدد	الزيت الحار	الرطل	١	-
	٥ نصف	السكر الخام	الرطل	١	-
	١٢ نصف	السكر النباتي	الرطل	١	-
	٨ نصف	السكر الشفاف	الرطل	١	-
					-
					-
					-
الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٦-٣٢٧.	٢٠ نصف	الزيت الشيرج	الرطل	١	١٢١٦هـ/ ١٨٠١م
	٥ نصف	السكر الأسود	الرطل	١	١٢١٩هـ/١٨٠٤م
	١٢ نصف	القياثي	الرطل	١	-
	٥ نصف	الخيار	الرطل	١	-
	١٥ نصف	الخوخ	الرطل	١	-
	٢٠ نصف	البطيخة		١	-
الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٦.	١٤ نصف	العنب	الرطل	١	١٢١٩هـ/١٨٠٤م
	٧ نصف	التين	الرطل	١	-
					-

أسعار اللحوم والمنتجات الحيوانية

السنة	العدد	وحدة الوزن	نوع المنتج	العملة	
١١١٣هـ/١٧٠١م	١	الرطل	اللحم البقري	٣ نصف	الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٩.
-	١	-	اللحم الجاموسي	نصف وجديرين	
-	١	-	الجبن الكشكبان	٣ نصف	
-	١	-	الجبن الوادي	٢ نصف و ٤ جدد	
-	١	-	الجبن - المنصوري	١ نصف ٦ جدد	

-	١	-	الجبن الشلفوصي	٦ جدد	
-		-			
١١١٦هـ/	١	الرطل	اللحم الرخاني	٣ نصف	الجبرتي، المصدر نفسه،
١٧٠٤م	٣	الرطل	بيضة	نصف فضة	ج١، ص٤.
-					
-	١	الرطل	اللحم الجاموس	٢ نصف	الجبرتي، المصدر نفسه،
-	١	قنطار	والبقري	٦٠٠ نصف	ج١، ص٤.
-	١		السمن	٨ نصف	
-			الدجاجة		
١٢٠١هـ/	١	الرطل	اللحم الضاني	١٣ نصف	الجبرتي، المصدر السابق،
١٧٨٦م	١	-	اللحم الجاموسي	٨ نصف	ج٢، ص ٦.
-	١	-	السمن	٣٥ نصف	
-					
١٢١٨هـ/١٨٠٣م	١	الرطل	السمن	٣٦ نصف	الجبرتي، المصدر نفسه،
-	١	القنطار	السمن	٤ ريال	ج٢، ص ٤٢٣- ٢٢٥،
-	١٠	الرطل	السمن	٣٥٠ نصف	٤٣٠.
١٢١٩هـ/١٨٠٤م	١	الرطل	اللحم الضاني	٩ نصف	الجبرتي، المصدر نفسه،
١٢١٩هـ/١٨٠٤م		-	اللحم الجاموسي	٧ نصف	ج٣، ص ٦.
١٢١٩هـ/١٨٠٤م		-	الجبن	١٨ نصف	
١٢١٩هـ/١٨٠٤م		قنطار	السمن	٤٠٠ نصف	
١٢٢٤هـ/١٨٠٩م	١	الرطل	اللحم الضاني	٢٥ نصف	الجبرتي، المصدر نفسه،
-	١	-	اللحم الجاموسي	١٢ نصف	ج٣، ص٦٥- ٦٦.
-	١	-	السمك الطري	١٦نصف	
-	١	-	السمك القديد	١٠ نصف	
-	١٠	-	السمن	٦٠٠ نصف	
-	١	-	دجاجه	٤٠ نصف	
	١٠	-	بيضة	١٥ نصف	
١٢٢٧هـ/١٨١٢	١	الرطل	اللحم الضاني	١٨ نصف	الجبرتي، الصدر نفسه،
-	١	-	اللحم الجاموسي	١٤ نصف	ج٣، ص٢٥١.

أسعار البن والصابون

الجبرتي، المصدر	العملة	نوع المنتج	وحدة الوزن	العدد	السنة
الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص١١٩	١٢ نصف	البن	الرطل	١	١١١٣هـ/١٧٠١م
	٣ نصف	الصابون	الرطل	١	
الجبرتي، المصدر نصفه، ج٣، ص٦.	٢٤ نصف	الصابون	قنطار	١	١٢١٩هـ/١٨٠٤م
	٨٠ نصف	الصابون	قنطار	١	١٢١٩هـ/١٨٠٤م
	٧٠ نصف	البن	قنطار		
الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٦٥-٦٦.	٦٠ نصف	الصابون	الرطل	١	١٢٢٤هـ/١٨٠٩م

أسعار التبن والحطب ورواية الماء

الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٣٠.	العملة	نوع المنتج	وحدة الوزن	السنة
الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص٤٣.	١٠٠٠ نصف	التبن	حمل	١٢١٨هـ/١٨٠٣م
	٣٠٠ نصف	الحطب	حمل	-
الجبرتي، المصدر نصفه، ج٣، ص٦.	١٢٠ نصف	الحطب الرومي	حمل	١٢١٩هـ/١٨٠٤م
	٣٠ نصف	راوية الماء	حمل	-

الأسعار التي وضعتها السلطة القائمة

السنة	العدد	وحده الوزن	نوع المنخ	العملة	
١١١٣هـ/١٧٠١م	١	الرطل	البن	١٢ نصف	الجبرتي، المصدر نفسه، ج١، ص١١٩.
-	١	الرطل	الصابون	٣ نصف	
-	١	الرطل	السكر النباتي	١٢ نصف	
-	١	الرطل	السكر الشفاف	٨ نصف	
-	١	الرطل	الشمع الكندري	١٤ نصف	
-	١	الرطل	العسل الشهد	٦ نصف	
-	١	الرطل	السمن البقري	٣ نصف	
-	١	الرطل	السمن	نصف وجديدين	

-	١	الرطل	الجاموسي	٢ نصف ٦ جدد	
-	١	الرطل	الزيت الصلب	٢ نصف	
-	١	الرطل	الزيت السيرج	نصف و٦ جدد	
-	١	الرطل	الزيت الحار	٣ نصف	
-	١	الرطل	الجبن الكشكبات	نصف ٤ جدد	
-	١	الرطل	الجبن المعلوق	٦ جدد	
			الجبن الشلفوصي		
١٢٠١هـ/١٧٨٦م	١	الرطل	اللحم الضاني	٨ نصف	الجبرتي، المصدر نفسه، ج٣، ص١٠.
-	١	الرطل	اللحم الجاموسي	٧ نصف	
-	١	الرطل	السمن المسلي	١٨ نصف	
	١	الرطل	الزبده	١٤ نصف	
أواخر	١	الرطل	اللحم الضاني	٦ نصف	الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص٥٦.
٢٠٠١هـ/١٨٠١م	١	الرطل	اللحم الجاموسي	٥ نصف	
أواخر	١	الرطل	اللحم الجاموسي	٦ نصف	
٢٠٠١هـ/١٨٠١م	١٠	الرطل	السمن المسلي	١٨٠ نصف	
أواخر	١	الرطل	الفجل والليمون	٣ نصف	
٢٠٠١هـ/١٨٠١م	١	-	الخبز	نصف	
أواخر					

ويمكن القول بأن الارتفاع كان مستمراً في أسعار السلع والمواد الغذائية، مما كان له أثر على مستوى معيشة الفرد في المجتمع، بحيث بدا الفرد عاجزاً عن تلبية احتياجاته اليومية، لذا كانت السلطة تتدخل أحياناً بين الفترة والأخرى للحد من ذلك الارتفاع، كما يظهر ذلك جلياً في عام ١١١٣هـ/ ١٧٠١م[1] وعام

(١)الجبرتي، عجائب الآثار، ج١، ص ١١٩.

مطبوقة، والأرزاق معطلة، والمطالب عظيمة، والمصائب عميمة، والشفاعات مردودة).[1] وبالتالي نلمس مما سبق عظم المصائب التي حلت بفئات العامة، خلال تلك الفترة المظلمة من التاريخ المصري، في ظل دولة الخلافة ممثلة بالدولة العثمانية.

* * *

(١) الجبرتي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٤٦.

الخلاصة :

كان البحث محاولة للكشف عن الأحوال الاقتصادية لفئات العامة في المجتمع المصري في ظل السلطنة العثمانية، التي كانت مصر من أهم ولاياتها، معتمداً في ذلك على مؤلف معاصر عايش الفترة وشهد تقلباتها، مما كان له أعظم الأثر في كشف تلك الأحوال ونتائجها على المجتمع.

- يلاحظ أن المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي كانت له المكانة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مصر خلال الفترة، وقد كان لذلك أثره في تمكينه من تقديم الصورة الأوضح لأحوال المجتمع المصري من جوانبه المتعددة، سيما الجوانب الاقتصادية.

- تكشف الدراسة أن العامة بفئاتها، قد وقعت تحت أعباء اقتصادية متعددة. من قبل تلك الفئات المتنفذة في الولاية، سواء من قبل الطبقة البيروقراطية الحاكمة أو من قبل طوائف العسكر وقبائل العربان.

- تكشف الدراسة أن الفئات المتنفذة، قد ابتدعت أساليب شتى لتلبية احتياجاتها المالية، سواء بفرض الضرائب أو بممارسة المصادرة وأعمال النهب تجاه فئات العامة.

- توضح الدراسة أن طوائف العسكر وقبائل العربان، كانت أشد وطأة على تلك الفئات البسيطة من العامة، في ظل غياب السلطة المركزية، وقد مارست تلك الطوائف والقبائل من الأعمال القبيحة، ما جعل العامة تتمنى عودة أحكام الفرنساوية.

- توضح الدراسة أن القطر المصري خلال هذه الفترة، قد شهد أنواعاً متعددة من النقود الذهبية والفضية، سواء كانت نقوداً عثمانية أو أوروبية، وقد

تعرضت تلك النقود سيما النقود العثمانية التي كانت تضرب بالضربخانة المصرية، للكثير من عمليات الغش سواء الخلط بالمعادن الرخيصة أو بإنقاص الوزن مما كان له أثر في انخفاض قيمتها الشرائية أمام العملات الأوروبية.

- تبين الدراسة أخيراً أن الاضطراب المستمر في أسعار البضائع والمواد الغذائية، كان له أعظم الأثر في انتشار ظاهرة الفقر في المجتمع، بحيث بدت هناك جموع غفيرة من العامة تعاني من الجوع وتنتشر في الشوارع والطرقات، لالتقاط القشور، وأكل الميتات دون أي رحمة من قبل الطبقة الحاكمة وأعوانها.

* * *

قائمة المصادر والمراجع :

أ- المصدر المعتمد :

١- **الجبرتي**، عبد الرحمن بن حسن (١٢٤١ هـ /١٨٥٢م) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي، طبعه وصححه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ٣ح ، منشورات أحمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

ب- المراجع الحديثة .

٢- **أبو زيد، حكمت**، المجتمع القاهري على عهد الحملة الفرنسية كما صوره الجبرتي، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي، دراسات وبحوث، بحوث ألقيت في الندوة التي أقامتها الجمعية المصرية للدارسات التاريخية، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة ١٩٧٦ .

٣- **أحمد، يوسف**، الإسلام في الحبشة، القاهرة، ١٩٣٨.

٤- **حامد، رؤوف عباس**، تصوير الجبرتي للمجتمع الريفي، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي. دراسات وبحوث، بحوث ألقيت في الندوه التي أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة ، ١٩٧٦ .

٥- **رفلن، هيلين أن**، الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، تعريب **أحمد عبد الرحيم وآخرون**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨ .

٦- **الشرقاوي، محمود**، مصر في القرن الثاني عشر ، ٢ ح، القاهرة، ١٩٥٥.

٧- **شيوب، خليل**، عبد الرحمن الجبرتي ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨ .

٨- **الصياد، محمد محمود**، جبرة وجبرت، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث، بحوث ألقيت في الندوة التي أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

٩- **عاصي، حسين**، عبد الرحمن الجبرتي، مؤرخ الصدام الحضاري الأول بين الشرق والغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.

١٠- **عنان، محمد عبد الله**، مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩.

١١- **فهمي، عبد الرحمن**، النقود المتداوله أيام الجبرتي، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي، دراسات وبحوث، بحوث ألقيت في الندوة التي أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

١٢- **قاسم، جمال زكريا**، عبد الرحمن الجبرتي، سيرة وتقييم، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي، دراسات وبحوث ، بحوث ألقيت في الندوة التي أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

١٣- **مصطفى، أحمد عبد الرحيم**، الجبرتي ..... مؤرخاً، من كتاب عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث، بحوث ألقيت في الندوة التي أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، بإشراف أحمد عزت عبد الكريم، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

* * *

سلوك المستفيدين في البحث عن المعلومات
دراسة لاستخدام الطلاب في مرحلة البكالوريوس بجامعة الملك سعود

د. عبدالوهاب بن محمد أبا الخيل
قسم المكتبات - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

ملخص البحث :

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في معالجة ظاهرة سلوك طلاب مرحلة البكالوريوس بجامعة الملك سعود في البحث عن المعلومات، إذ تعد مهارات المستفيدين في البحث عن المعلومات عنصراً أساسياً في العملية البحثية وكذلك تعد دراسة سلوكيات المستفيدين مهمة وضرورية للمكتبات التى تسعى للنهوض بأداتها .

وقد هدفت الدراسة إلى جانب التعرف على سلوكيات طلاب مرحلة البكالوريوس في البحث عن المعلومات إلى التعرف على دوافع الطلاب نحو البحث عن المعلومات والتعرف على الأدوات الوسائل المستخدمة في البحث عن المعلومات، كما هدفت إلى التعرف على نوعية مصادر المعلومات التي يعتمد عليها الطلاب والصعوبات التي يواجهونها أثناء البحث، ومعرفة أثر التخصص على سلوك الطلاب وذلك بغرض تحفيز الطلاب على استخدامها بشكل أفضل يحقق لهم الفائده المرجوة .

وقد طرحت الدراسة عدة تساؤلات حاولت الإجابة عنها وانتهت إلى عدة نتائج يتعلق بعضها بدوافع البحث عن المعلومات عند الطلاب، وبعضها بمصادر المعلومات المستخدمة وبعضها بالأدوات المستخدمة للوصول إلى المعلومات، وبعضها الآخر يتعلق بصعوبات البحث وطرق التغلب عليها.

مقدمة:

تقوم العملية التعليمية في المرحلة الجامعية على ثلاثة أركان أساسية هي الطالب، وعضو هيئة التدريس، والمكتبة. ولإنجاح العملية التعليمية فلابد أن يتحقق التفاعل الإيجابي بين هذه الأركان الثلاثة. فللمكتبة الجامعية أثر مهم في العملية التعليمية للمرحلة الجامعية، فهي المصدر الرئيس للمعلومات التي ينشدها الطالب والباحث، وهي بذلك تعد القلب النابض في المؤسسة التعليمية، ومركز البحث عن المعلومات والاطلاع عليها. وكما أن الأهداف الرئيسة للمكتبة الجامعية هي دعم برامج التدريس والبحث من خلال تنمية مجموعاتها، وتنظيمها، وتهيئتها للطلاب والباحثين وأعضاء هيئة التدريس، فإن للمكتبة الجامعية وظيفة مهمة ينبغي أن تضطلع بها وهي تعريف الطلاب بالتقنيات الحديثة والأدوات المختلفة الأخرى المساعدة في البحث عن المعلومات. وكذلك فإنه من الضروري أن تهتم بتقريب الصلة بين الطالب وموظف المكتبة وتوثيقها بشكل يتيح للطالب الإفادة مما يقدمه الموظف من خدمات إرشادية وتمكن الطالب من استخدام مصادر المكتبة بيسر وسهولة والوصول إلى مبتغاه.

ولكي ترقى العملية التعليمية، إلى المستوى المأمول فإن مهارات المستفيدين في البحث عن المعلومات تعد عنصراً أساسياً في العملية البحثية. واكتساب الطالب الجامعي مهارات البحث عن المعلومات أمر في غاية الأهمية. فهذه المهارات تعني قدرة الطالب على استخدام مصادر المعلومات المختلفة التقليدية منها والإلكترونية التي توفرها المكتبة، وبالتالي الوصول إلى المعلومات التي يريدها، بل إن هناك من يرى أن نجاح الطالب الجامعي في اكتساب مهارات البحث عن المعلومات تعادل نجاحه في تخصصه العلمي، لأن ذلك سيجعل منه باحثاً مؤهلاً يعرف كيف يتوصل

إلى المعلومات الضرورية التي يفيد منها في حياته العلمية، وكذلك العملية حتى بعد تخرجه من الجامعة [١].

مشكلة الدراسة :

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في معالجة ظاهرة سلوك طلاب مرحلة البكالوريوس بجامعة الملك سعود في البحث عن المعلومات، حيث لاحظ الباحث بحكم عمله وخبرته في التدريس أن فئة من الطلاب يعانون صعوبة الوصول إلى المعلومات التي يبحثون عنها. فهم يواجهون بعض الصعوبات عند البحث عن المعلومات، ويظهر هذا عندما يوجه أستاذ المقرر طلابه لأداء الواجبات وكتابة البحوث والتقارير التي تستلزم استخدام مصادر المعلومات حيث يعود الطالب بأقل قدر من المعلومات مما يضعف من بحثه، أو قد يعود دون الوصول إلى أي معلومة في الموضوع. وهذا لا يخدم العملية التعليمية والأهداف المرسومة لرفع مستوى تحصيل الطلاب العلمي من خلال الاطلاع على وجهات النظر المتعددة، وممارسة الطرق العلمية المختلفة التي تسهم في رفع قدرات الطالب وتعزيز إمكاناته الإبداعية. فمشكلة الدراسة تتمثل في السؤال التالي: ما السلوكيات التي ينتهجها طلاب مرحلة البكالوريوس في البحث عن المعلومات ؟

أهمية الدراسة :

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية المكتبات الجامعية وما لها من أثر في خدمة التعليم والبحث العلمي بما توفره من خدمات معلوماتية وتسهيلات تساعد الطلاب في الوصول إلى مصادر المعلومات وتلبية احتياجاتهم المعلوماتية. كما تبرز

---

(١) Bunge, Charles "Reference Services" ALA World Encyclopedia of Library and Information Sclence. Chicago: ALA, 1980, p. 470.

أهمية الدراسة من خلال ما قد تبين من أمور ربما تساعد المخططين ومتخذي القرار في رسم السياسات الكفيلة بتقليص الهوة بين طلاب الجامعة والإفادة من المكتبة وذلك بالتعرف على الوضع الراهن فيما يتعلق بسلوك الطلاب في البحث عن المعلومات، والأدوات و الوسائل المستخدمة في الوصول إلى مصادر المعلومات، حيث يمكن تحديد نقاط القوة ومواطن الضعف مما قد يسهم في تنظيم البرامج التدريبية المناسبة للطلاب التي قد تمكنهم من الإفادة من المكتبة والتعامل مع الأدوات والوسائل والتقنيات الحديثة بشكل أفضل يحقق الهدف من العملية التعليمية.

وتعد دراسات سلوكيات المستفيدين مهمة وضرورية للمكتبات التي تسعى للنهوض بأدائها، فلا يمكن لأي مكتبة أن تحقيق تقدماً إذا لم تقدم خدمات تلائم حاجات مجتمع المستفيدين التي يمكن معرفتها من خلال دراسة سلوكهم في البحث عن المعلومات[1].

أهداف الدراسة :

هدف الدراسة الرئيس هو التعرف على سلوكيات طلاب مرحلة البكالوريوس بجامعة الملك سعود في البحث عن المعلومات. ويتضمن هذا عدداً من الأهداف الأخرى يتناول كل منها جانباً من جوانب القضية المطروحة، وهذه الأهداف هي :

١- التعرف على دوافع الطلاب للبحث عن المعلومات.

٢- التعرف على الأدوات والوسائل المستخدمة في البحث عن المعلومات.

٣- التعرف على مصادر المعلومات التقليدية وغير التقليدية التي يعتمد عليها الطلاب.

---

(١) بو عزة، عبدالمجيد وقدورة، وحيد (يوليو – أغسطس ١٩٩٣) "سلوك الباحثين التونسيين الجامعيين في العلوم الإنسانية والتطبيقية اتجاه المعلومات"، عالم الكتب: مج١٤، ع٤ ، ص ٣٨٩ – ٤١٢.

٤- التعرف على استخدام الطلاب مصادر المعلومات الإلكترونية.

٥- التعرف على سلوكيات الطلاب في مواجهة صعوبات البحث عن المعلومات.

٦- معرفة أثر التخصص الأكاديمي في سلوك الطلاب في البحث عن المعلومات.

٧- التعرف على الصعوبات التي يواجهها الطلاب أثناء البحث عن المعلومات.

٨- تقديم توصيات ومقترحات قد تساعد في تحسين الخدمات التي تقدمها مكتبات جامعة الملك سعود والمكتبات الأخرى التي تعيش ظروفاً مشابهة لها، وكذلك تحفيز الطلاب على استخدامها بشكل أفضل يحقق لهم الفائدة.

تساؤلات الدراسة :

ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية :

١- ما دوافع طلاب البكالوريوس بجامعة الملك سعود من البحث عن المعلومات ؟

٢- ما الأدوات والوسائل الأكثر استخداماً في البحث عن المعلومات ؟

٣- ما مصادر المعلومات التقليدية وغير التقليدية التي يعتمد عليها طلاب البكالوريوس بالجامعة ؟

٤- ما مدى لجوء الطلاب لاستخدام مصادر المعلومات الإلكترونية ؟

٥- ما أثر التخصص الأكاديمي في سلوك بحث الطلاب عن المعلومات ؟

٦- ما الصعوبات التي يواجهها الطلاب عند البحث عن المعلومات ؟

٧- ما الطرق التي يستخدمها الطلاب لمواجهة تلك الصعوبات ؟

حدود الدراسة :

تقتصر الدراسة على طلاب المرحلة الجامعية الذكور المنتظمين في جامعة الملك سعود في مدينة الرياض. وبذلك تستثنى الطالبات، وفروع الجامعة خارج مدينة الرياض من الدراسة. وقد جاء اختيار طلاب مرحلة البكالوريوس بجامعة الملك سعود بوصفهم المجتمع الذي أجريت عليه الدراسة بحكم عمل الباحث وقربه إلى هذا المجتمع.

تعريفات إجرائية للمصطلحات :

نورد فيما يلي بعض المصطلحات التي تكرر استخدامها في الدراسة مع تبيان للمقصود منها في محاولة لإيجاد تعريفات إجرائية وذلك زيادة في توضيح المشكلة المدروسة.

مكتبة الجامعة : المقصود بها مكتبة الأمير سلمان المركزية في حرم جامعة الملك سعود الرئيس، والمكتبات الفرعية الأخرى التابعة لكلية الطب (في الحرم الجامعي)، ومستشفى الملك عبد العزيز، وكلية العلوم الطبية التطبيقية.

الطلاب : هم أفراد العينة المشاركين في الدراسة الممثلين لكليات علوم الأغذية والزراعة، والآداب، والعلوم الطبية التطبيقية.

منهجية الدراسة :

استخدم الباحث المنهج الوصفي المسحي لأن الظاهرة المدروسة معاصرة و هذا المنهج هو الأنسب لدراسة مثل هذه الظاهرة ذلك أنه يمكن الوصول إلى الواقع الحقيقي والكشف عن مسبباته.

ورغم أن مجتمع الدراسة مقتصر على مؤسسة واحدة إلا أنه يمكن تعميم نتائجها على بقية الجامعات السعودية الأخرى حيث إنها تعيش في ظروف متشابهة إلى حد كبير.

جمع البيانات :

ولجمع البيانات التي تجيب عن أسئلة الدراسة استخدم الباحث الاستبانة أداة لجمع البيانات. وقد صممت الاستبانة اعتماداً على دراسات سابقة في الموضوع وبوجه الخصوص تلك التي طبقت على بيئات مشابهة للمكتبات الجامعية في المملكة العربية السعودية، وحكمت من قبل بعض ذوي الاختصاص في مجال المكتبات والمعلومات من أساتذة الجامعات وذلك للتأكد من صدقها وثباتها في قياس الظاهرة المدروسة. وقد تكونت من ستة محاور روعي في أسئلتها أن تكون مغلقة ودقيقة مع الأخذ في الحسبان أن أسئلة الاستبانة ليست حصريّة Inclusive بمعنى أن أمام المجيب فرصة الأخذ بأكثر من خيار، فجاءت على النحو التالي:

- معلومات عامة عن المشاركين (اسم الكلية والتخصص والمستوى الدراسي).
- دوافع البحث عن المعلومات.
- الأدوات والوسائل المستخدمة في البحث عن المعلومات.
- مصادر المعلومات التقليدية وغير التقليدية التي يعتمد عليها الطلاب.
- مدى استخدام مصادر المعلومات الإلكترونية من قبل الطلاب.
- الصعوبات التي يواجهها الطلاب أثناء البحث عن المعلومات.

عينة الدراسة وطريقة اختيارها :

نظراً لكبر مجتمع الدراسة رئي تطبيق هذه الدراسة على عينة حصية لعدم تجانس أفراد مجتمع الدراسة. فالعينة الحصية تضمن موضوعية الدراسة وحيادها من

خلال تمثيلها لنسب محددة من الفئات الفرعية التي يتكون منها مجتمع الدراسة [٣].

فجاءت الخطوات المتبعة على النحو التالي:

١- اختيار الكليات المشاركة اعتماداً على التصنيف الوارد في خريطة الهيكل التنظيمي لجامعة الملك سعود الذي صنفت فيه الكليات في ثلاث فئات (الكليات التطبيقية، والكليات النظرية الإنسانية، والكليات الطبية)، حيث اختيرت كلية واحدة عشوائياً من كل فئة من الفئات الثلاث، فجاءت على النحو التالي: كلية علوم الأغذية والزراعة ممثلة للكليات التطبيقية، وكلية الآداب ممثلة للكليات النظرية الإنسانية، وكلية العلوم الطبية التطبيقية ممثلة للكليات الطبية.

٢- اختيار ثلاثة أقسام أكاديمية عشوائياً من بين أقسام الكليات الثلاث.

٣- نتج عن ذلك ظهور الأقسام الآتية: قسم علوم صحة المجتمع من كلية العلوم الطبية، وقسم الدراسات الاجتماعية من كلية الآداب، وقسم علوم الأغذية والتغذية من كلية علوم الأغذية والزراعة.

٤- الحصول على قوائم بأسماء الطلاب المسجلين في هذه الأقسام.

٥- بلغ عدد الطلاب المسجلين في هذه الأقسام مايلي:

- قسم علوم صحة المجتمع (٧٨) طالباً.
- قسم الدراسات الاجتماعية (٢٦١) طالباً.
- قسم علوم الأغذية والتغذية (١٤٧) طالباً.

٦- رئي أن تكون العينة خمسة وعشرين في المائة من مجموع الطلاب تحسب حصياً (الجدول رقم ١).

٧- اختير أفراد العينة من كل مجموعة باستخدام أسلوب المعاينة العشوائية البسيطة.

٨- أرسلت (١٢٣) استبانة في ٨ / ٨ / ١٤٢٥هـ بخطابات موجهة إلى الطلاب الذين ظهرت أسماؤهم نتيجة لاستخدام أسلوب المعاينة المشار إليها.

٩- عاد (١١٥) استبانة بنسبة ٩٣,٥في المئة من مجموع ما أرسل؛ وكان المفقود منها ثماني استبانات.

١٠- تابع الباحث العائد من الاستبانات لضمان مشاركة أكبر نسبة ممكنة.

١١- أعيد إرسال الاستبانات للأشخاص الذين لم يتجاوبوا في المرة الأولى مصحوبة بخطابات، وقد وصلت إليهم مناولة بالتعاون مع سكرتارية الأقسام الذين أبدوا تعاوناً كبيراً.

١٢- بلغ العائد النهائي من الاستبانات (١٢١) استبانة تمثل ٩٨,٤ في المئة من مجموع ما أرسل.

الجدول رقم (١) توزيع مجتمع الدراسة، والعينة المختارة، والاستبانات المرسلة والعائدة

الأقسام / الكليات المشاركة	مجموع الطلاب الملتحقين	عينة الدراسة (٢٥٪)	الاستبانات المرسلة	الاستبانات العائدة	نسبة العائد إلى المرسل
علوم صحة المجتمع / العلوم الطبية	٧٨	٢٠	٢٠	٢٠	١٠٠٪
الدراسات الاجتماعية / الآداب	٢٦١	٦٦	٦٦	٦٤	٩٧٪
علوم الأغذية والتغذية / الزراعة	١٤٧	٣٧	٣٧	٣٧	١٠٠٪
المجموع	٤٨٦	١٢٣	١٢٣	١٢١	٩٨,٤٪

تحليل البيانات :

وبعد جمع البيانات التي تم استقصاؤها عن طريق الاستبانة، لجأ الباحث إلى استخدام الإحصاء الوصفي المتمثل في تحديد التكرار والنسبة المئوية، وقد استخدم برنامج الإحصاء الحاسوبي إكسل Excel.

مفهوم سلوك البحث عن المعلومات :

يجد المتتبع لمفهوم سلوك البحث عن المعلومات أنه كان غامضاً في أذهان الباحثين أو ما يزال كذلك، سواء الأوائل منهم أو المتأخرون. وقد عزى السالم هذا الغموض إلى كون البحث عن المعلومات عملية سلوكية معقدة تتم في بيئات متباينة بواسطة أفراد ينتمون لأوساط متنافرة [1]، لذلك يصعب تحديد تعريف جامع مانع لمفهوم "البحث عن المعلومات" يتفق عليه الباحثون.

ولقد حاول العديد من الباحثين منذ الستينيات الميلادية للقرن الماضي تعريف هذا المفهوم من خلال الدراسات التي أجروها، ولكن يظل كل معرف ينظر من منظور يتفق وطبيعة دراسته وأهدافها، وبالتالي فالدراسات التي أجريت في هذا المجال اقترحت تعريفات مختلفة لا يمكن لأحدها أن يصدق على كل الدراسات أو يعد تعريفاً فاصلاً.

وعلى الرغم من صعوبة التوصل إلى تعريف موحد شامل لمفهوم سلوك البحث عن المعلومات إلاّ أن هناك محاولات تمت في هذا الصدد. فقد عرفه عليان (Elayyan) بأنه عملية أو نشاط يتصل بالجانب النفسي لاسترجاع المعلومات، وأن هذه العملية تعد واحدة من أكثر الجوانب تعقيداً في التفاعل بين المستفيد وبين

---

(١)السالم، محمد "ظاهرة البحث عن المعلومات: دراسة في مفهوم الظاهرة وتطورها"، عالم الكتب: مج١٢، ع٤ (ربيع الآخر ١٤١٢هـ) ص٥١٢.

بيئة المعلومات، ويحاول الباحث في إطار هذه العملية أن يبحث عن شيء قد لا يعرف أين يجده [١].

كما عرفه كريكلاس (Krikelas) بأنه: أي نشاط يقوم به فرد للحصول على وعاء المعلومات الذي يلبي حاجته [٢]. و رغم أن هذه إحدى المحاولات الجيدة للوصول إلى تعريف محدد لمفهوم سلوك البحث عن المعلومات، من وجهة نظر تخدم أهداف الدراسة الحالية، إلاّ أنه لا يمكن عده التعريف الوحيد الجامع المانع.

وقد أوضح السالم أنه عندما يشعر الباحث أن هناك حاجة إلى معلومات إضافية تمكنه من التعامل مع المشكلة التي تواجهه فإنه بالطبع يقوم بعملية البحث عن المعلومات المناسبة. والباحثون بذلك يستخدمون طرقاً متعددة للحصول على مصادر المعلومات نظراً إلى أن الأهداف والمشكلات تختلف من شخص لآخر، ولذا فطبيعي كذلك أن يختلف سلوك الأفراد في ظاهرة البحث عن المعلومات [٣]

وعد ثابت سلوك البحث عن المعلومات واحداً من أربعة أنواع رئيسة لدراسات الاستخدام، هي:

- دراسات سلوك البحث عن المعلومات Information Seeking Behavior.
- دراسات العوامل المؤثرة في استخدام المكتبات.
- دراسات الاحتياجات المعلوماتية Information Needs.

---

(١) Elayyan, Ribhi (1980) "An investigation into the information – Seeking behaviour of Education with Special reference to the faculty of Education in the University of Jordan. Unpublished Master thesis: University of Wales, Aberys with.

(٢) Krikelas, J (1983) "Information Seeking Behavior: patterns and Concepts", Drexel Library Quarterly, 19, pp. 5 – 20.

(٣)السالم، محمد "ظاهرة البحث ..." مصدر سابق: ص ٥٢٠.

- دراسات الاتجاهات والمشكلات [1].

الدراسات السابقة :

لقد تمكن الباحث من جمع عدد لا بأس به من الدراسات الميدانية والبحوث النظرية العربية والأجنبية ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية ؛ ولو أخذنا العربية منها مع استثناء البحوث والمقالات النظرية وركزنا على الدراسات الميدانية فإنها لا تزال إلى حد ما قليلة مقارنة بالدراسات الأجنبية. وعلى الرغم من هذا النقص في الدراسات العربية لاسيما في بيئة المملكة العربية السعودية وهي بيئة الدراسة الحالية فقد تمكن الباحث من إجراء مراجعة لبعض الدراسات في موضوع ظاهرة البحث عن المعلومات. وفيما يلي بعض أبرز ما توصل إليه الباحث من نماذج لدراسات ذات علاقة بالموضوع مبتدءا بالدراسات الأجنبية ثم العربية فالسعودية وهي بيئة الدراسة الحالية.

ففي دراسة ميدانية مسحية أجراها ليو و ريد فيرن Liu & Redfern على طلاب مختلفي الثقافات واللغات الدراسين في حدود الحرم الجامعي لجامعة سان هوزيه الحكومية San Jose State University في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة بهدف التعرف على سلوك المستفيدين في البحث عن المعلومات. ولقد مثل طلاب الجنسيات غير الأمريكية، الذين أطلق عليهم "الأقليات minorities " وأغلبهم من الجنسيات الأسيوية، ٥٠,٧ في المئة من المجموع الكلي للمشاركين في الدراسة. وأظهرت الدراسة أن الطلاب الذين لغتهم الأولى أو اللغة الأصلية الإنجليزية هم الذين يستطيعون - في الغالب - استخدام المكتبة ومجموعاتها

(١)ثابت، حسان "استخدام المعلومات والحاجة المعلوماتية: عرض للأدب المنشور" ، مجلة المكتبات والمعلومات العربية: ١٩٨٩، ع٤، ص ٢١ – ٤١ .

وأدواتها بشكل ناجح أكثر من أولئك الذين تعد اللغة الإنجليزية بالنسبة لهم اللغة الثانية. كما أظهرت أن مدّة مكث الطالب الأسيوي في الولايات المتحدة يعد عاملاً مؤثراً في استخدام المكتبة، فكلما طالت المدّة استطاع الطالب استخدام المكتبة والوصول إلى حاجته من المعلومات ومصادر المعلومات بشكل أفضل، وأصبح أكثر جرأة وخبرة في التعامل مع موظف المكتبة وتوجيه الأسئلة إلى مكتبي المراجع. كما أبانت الدراسة عن أن الطلبة الأسيويين لم يألفوا التعامل مع موظف خدمة الإرشاد المرجعي Reference Desk وربما تجنبوا ذلك عمداً بسبب حاجز اللغة الذي يقف عائقاً دون الإفادة من هذه الخدمة المهمة التي يلجأ إليها الطلاب في البحث عن المعلومات [1].

ودرس بيلزر و ويزي و ويلسن Pelzer , Wiese & Leysen في عام ١٩٩٧م كيفية استخدام طلاب دراسات الطب البيطري في جامعة آيوا الحكومية الأمريكية Iowa State University المكتبة وسلوكهم في البحث عن المعلومات في البيئة الإلكترونية. وقد استخدما المنهج المسحي إطاراً لدراستهما، والاستبانة أداة لجمع البيانات. وقارنا ما توصلت إليه دراستهما بدراسة استخدام أخرى سابقة لهما أنجزت في عام ١٩٨٧م فوجدا أن هناك نماذج أساسية وطرقاً من الأنشطة الموجودة في المكتبة قد تغيرت إلى حد ما. ففي دراسة الاستخدام الأولى (١٩٨٧م) كان الطلاب يستخدمون المكتبة من أجل أمور محددة في الغالب مثل التصوير، ولمراجعة ودراسة المادة المقررة، وكذلك فإنهم يفضلون الكتب الدراسية Text Books والمذكرات والملازم التي يصورونها Handouts. غير أن التحول

(١) Liu, M & Redfern, B (1997) "Information-seeking behavior of multicultural students: a case study at San Jose State University", College and Research Libraries, http://legend.kacst.edu.sa/cgi-bin/webspirs.cgi58 (4), p. 348 – 54.

الكبير في الاستخدام هو أن الطلاب في دراسة عام ١٩٩٧م يلجأون إلى مصادر المعلومات الإلكترونية بدلاً من المطبوعة التي استخدمها طلاب الدراسة السابقة (١٩٨٧م)، حيث كانت تستخدم الكشافات والمستخلصات المطبوعة في حين تبدل استخدامها بالكشافات والمستخلصات والمصادر المسترجعة آلياً. كما أفاد ستون في المئة من الطلاب الذين شملتهم الدراسة بأنهم يستخدمون شبكة الإنترنت في البحث عن المعلومات، غير أنهم اعترفوا بالصعوبات التي تواجههم فيما يتعلق بتعليمات طرق الاستخدام. كما أظهرت الدراسة أن معظم المشاركين في دراسة ١٩٩٧م أشاروا إلى أهمية مصادر المعلومات الإلكترونية خصوصاً لأغراض التعليم في المستقبل [١].

ودرس ستيفن أوسيوبي Stephen Osiobi في عام ١٩٨٨م عينة من (٥٠٢) من طلاب مرحلة البكالوريوس في جامعة بورت هاركورت University of Port Harcourt في نيجيريا، وتوصل إلى أن استعراض الرفوف يعد من أبرز الوسائل التي يستخدمها الطلاب ، يتبعها استشارة أعضاء هيئة التدريس، والفهارس. كما أظهرت أن الطلبة في المستويين الأول والثاني يلجأون إلى استعراض الرفوف أكثر من أولئك الذين يدرسون في المستويين الثالث والرابع، وأن العلاقة بين التخصصات الموضوعية للطلاب واستخدام المصادر المختلفة ضعيفة جداً [٢].

ودرس عليان Elayyan سلوك التربويين في البحث عن المعلومات بهدف تقديم رؤية شاملة لسلوكهم في البحث عن المعلومات بشكل عام، وسلوك

---

(١) Pelzer, N & others (1998) "Library use and information seeking behavior of veterinary medical students revisited in the electronic environment", Bulletin of the http://legend.kacst.edu.sa/cgi-bin/webspirs.cgi

(٢) Osiobe, Stephen (1988) "Information Seeking Behaviour" International Library Review, V. 20, pp. 337 – 46.

التربويين في الجامعة الأردنية بشكل خاص. وتوصل لنتائج عديدة من أبرزها أن أهم الصعوبات التي تواجه الطلبة وأعضاء هيئة التدريس في استخدام مكتبة الجامعة الأردنية تمثلت في الأمور التالية:

- عدم توفر مصادر المعلومات بشكل كاف وصعوبة الحصول عليها.
- صعوبة استخدام المواد المكتبية باللغات الأجنبية.
- النقص في خدمات المعلومات المتطورة.
- وجود نظام الحجز للمواد المكتبية.
- غياب برامج تعليم استخدام المكتبة [1].

ودرس بقلة سلوكيات طلاب الدراسات العليا في كليتي الآداب والاقتصاد في جامعة دمشق في الحصول على المعلومات التي تلبي احتياجاتهم. وحاول الباحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما الأسباب التي تدفع الطالب للبحث عن المعلومات ؟
٢- ما الوسائل التي يلجأ إليها الطالب للحصول على المعلومات ؟
٣- ما المصادر التي يستخدمها الطالب للحصول على المعلومات ؟
٤- ما الصعوبات التي يواجهها الطالب أثناء البحث عن المعلومات ؟

وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها:

- يبحث طلاب الدراسات العليا في كليتي الآداب والاقتصاد عن المعلومات بدافع متطلبات البحث العلمي في الدرجة الأولى، وذلك بقصد استخدامها في رسائلهم الجامعية (ماجستير ودكتوراه).

---

(١) Elayyan, Ribhi (1980) "An investigation ...."

- اعتمد قرابة نصف الطلاب المدروسين على الكتاب مادة ومصدراً أساس للمعلومات.
- يلجأ تقريباً نصف الطلاب المدروسين في حال مواجهتهم صعوبات في البحث عن المعلومات إلى سؤال أمين المكتبة.

وركز الباحث في توصياته على ضرورة إعداد برامج تدريبية للمستفيدين من المكتبة عموماً سواء كانوا طلاب جامعيين حديثي العهد بالجامعة أو باحثين من طلبة الدراسات العليا تؤهلهم وتثقفهم على كيفية استخدام الأدوات والوسائل الموصلة إلى مصادر المعلومات والاستفادة منها بالشكل الصحيح [1] .

ودرس حافظ سلوك البحث عن المعلومات لدى طلاب مرحلة البكالوريوس في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، لقياس مدى الاستعانة بالأدوات والوسائل المتعددة للتوصل إلى المادة العلمية في مكتبة الجامعة المركزية. وقد وضعت الدراسة أهدافاً أخرى تمثلت في التعرف على الأدوات المرجعية التي يستخدمها طلاب مرحلة البكالوريوس للإفادة من مصادر المكتبة الجامعية، وعلاقة المستوى الدراسي والتخصص الأكاديمي لطلاب مرحلة البكالوريوس في استخدام الأدوات المرجعية للبحث عن المعلومات. وحاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما هي الأدوات المرجعية التي يستعين بها طلاب مرحلة البكالوريوس للوصول إلى مصادر المكتبة الجامعية ؟

٢- هل هناك علاقة بين استخدام الأدوات المرجعية والمستوى الدراسي لطلاب مرحلة البكالوريوس ؟

---

(١) بقلة، محمد "سلوك طلاب الدراسات العليا في الحصول على المعلومات"، المجلة العربية للمعلومات: ٢٠٠٢، مج٢٣، ع١، ص ٧ – ٣٠.

٣- هل يؤثر التخصص الموضوعي لطلاب مرحلة البكالوريوس في اختيار الأدوات المرجعية ؟

ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي :

- استعانة غالبية الطلاب في مرحلة البكالوريوس بفهارس المكتبة أداة رئيسة للبحث عن المعلومات التي يحتاجونها.
- يأتي استخدام الفهرس الآلي الذي وفرته المكتبة حديثاً (في الوقت الذي نفذت فيه الدراسة) يمثل نسبة ضعيفة جداً تمثلت بنسبة (٠,٠٦٪).
- أن استخدام المستخلصات والكشافات والببليوجرافيات محدود للغاية بالرغم من كونها أدوات مهمة في البحث عن المعلومات.

وانتهى الباحث إلى توصيات، منها ضرورة إيجاد الوسائل العلمية التي تكفل الاتصال الفعَّال بين أعضاء هيئة التدريس وأمناء المكتبة لتنظيم استخدام طلاب مرحلة البكالوريوس المكتبة، وأن تقدم الجامعة مادة "استخدام المكتبة" بالاتفاق والتنسيق مع قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بحيث يسجل في هذه المادة جميع الطلاب في السنة الأولى من التحاقهم بالجامعة [١].

ومن خلال الاستعراض السابق للدراسات ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية يلاحظ أنها لا تتفق في كثير من الأحيان على مفهوم " البحث عن المعلومات "، فمنها ما يعتمد المفهوم الواسع بحيث يشمل البحث عن الأدوات والوسائل المستخدمة في الوصول إلى مصادر المعلومات مثل الببليوجرافيات بأنواعها (الكشافات والمستخلصات وفهارس المكتبات وغير ذلك)، إضافة إلى

(١) حافظ، عبدالرشيد "سلوك البحث عن المعلومات لدى طلاب مرحلة البكالوريوس"، عالم الكتب: مج١٢، ع٤ ربيع الآخر ١٤١٢هـ، ص ٤٩٠ – ٤٩٨.

الكتب والمراجع بأنواعها، ومنها ما يعتمد المفهوم المحدود فيركز على مصدر واحد من مصادر المعلومات. كما أن الملاحظ في تلك الدراسات أنها تلجأ في جمع بياناتها إلى الاستبانات أو المقابلات الشخصية، وقد يكون هذا الأسلوب الأمثل في كثير من الدراسات التي تتمحور حول ظواهر معاصرة كما هو في دراستنا الحالية.

عرض النتائج وتحليلها :

نتناول فيما يلي بالعرض والتحليل النتائج التي توصل إليها الباحث على أثر دراسة إجابات المشاركين عن أسئلة الاستبانة المتمثلة في المحاور الأربعة الرئيسة.

أولاً – دوافع البحث عن المعلومات :

جاء هذا المحور كأحد المحاور الرئيسة التي تضمنتها الاستبانة وذلك للتعرف على دوافع طلاب مرحلة البكالوريوس بجامعة الملك سعود للبحث عن المعلومات. وقد أدرج تحت هذا السؤال عدد من الدوافع التي غالباً ما تمثل الأسباب وراء بحث طلاب مراحل البكالوريوس عن المعلومات (إعداد ورقة بحث كمتطلب لمقرر دراسي، والبحث عن مواد متعلقة بالمقررات الدراسية، وللاطلاع والثقافة، ودوافع أخرى). فجاءت الإجابات على النحو الموضح في الجدول رقم (٢).

الجدول رقم (٢) دوافع البحث عن المعلومات

الدوافع	التكرار	النسبة المئوية
إعداد ورقة بحث (متطلبات مقرر)	٥٨	٪٣٩
البحث عن مواد متعلقة بالمقررات الدراسية	٤٧	٪٣١,٥
الإطلاع والثقافة	٤٢	٪٢٨,٢
دوافع أخرى	٢	٪١,٣
المجموع	١٤٩	٪١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن معظم الطلاب يبحثون عن المعلومات بدافع إعداد ورقة بحث (متطلبات مقرر)، وجاء هذا الدافع ليحتل المرتبة الأولى بتكرار ٥٨ مرة، وبنسبة ٣٩٪ من مجموع التكرارات البالغ ١٤٩ مرة؛ في حين جاءت بقية الدوافع في المرتبة الثانية فكانت الإجابات بنسبة ٣١,٥٪ لدوافع البحث عن مواد متعلقة بالمقررات، و٢٨,٢٪ لدوافع الاطلاع والثقافة، ثم جاءت دوافع أخرى حيث تكررت مرتين بنسبة ١,٣٪ وكان الدافع هو إجبار الطالب من قبل أستاذ المادة.

الجدول رقم (٢- أ) دوافع البحث عن المعلومات وفقاً للكليات

الدوافع	الآداب		العلوم الطبية		الزراعة	
	التكرار	٪	التكرار	٪	التكرار	٪
إعداد ورقة بحث (متطلبات مقرر)	٢٢	٣٠,٥	١٨	٨١,٨	١٨	٣٢,٧
البحث عن مواد متعلقة بالمقررات الدراسية	٢٨	٣٩	٣	١٣,٦	١٦	٢٩,١
الاطلاع والثقافة	٢٢	٣٠,٥	١	٤,٦	١٩	٣٤,٦
دوافع أخرى	-	-	-	-	٢	٣,٦
المجموع	٧٢	١٠٠	٢٢	١٠٠	٥٥	١٠٠

بينما يلاحظ في الجدول رقم (٢ – أ) أن هناك تبايناً فيما يتعلق بدوافع البحث عن المعلومات بين طلاب الكليات الثلاث. ففي حين أن الغالبية العظمى من طلاب كلية العلوم الطبية تبحث عن المعلومات بدافع إعداد ورقة بحث (متطلبات مقرر)؛ نجد أن الأغلبية من طلاب كلية الآداب يبحثون عن المعلومات بدافع الوصول إلى مواد متعلقة بالمقررات الدراسية؛ أمّا طلاب كلية الزراعة فكان الدافع الأول وراء بحثهم عن المعلومات هو الإطلاع والثقافة.

جاءت النتائج بشكل غير متوقع حيث ينظر، في الغالب، إلى طلاب كلية الآداب - أو ينتظر - منهم بأن يكونوا هم الأكثر اطلاعاً وثقافة نسبة إلى تخصصاتهم النظرية، ولكن النتائج تشير عكس ذلك حيث تسعى الأغلبية منهم

للبحث عن مواد متعلقة بالمقررات الدراسية. أمّا طلاب كلية العلوم الطبية فهناك نسبة قليلة جداً تقوم بالبحث من أجل الاطلاع والثقافة، أو من أجل مواد متعلقة بالمقررات الدراسية؛ فالأغلبية العظمى منهم (٨١,٨٪) يهدفون من بحثهم عن المعلومات إعداد ورقة بحث (متطلبات مقرر). وفي المقابل يمثل دافع الاطلاع والثقافة بالنسبة لطلاب كلية الزراعة السبب الأول في البحث عن المعلومات.

ثانياً – مصادر المعلومات المستخدمة:

يتمحور هذا السؤال من أسئلة الاستبانة والموجه إلى الطلاب المشاركين حول معرفة مصادر المعلومات الأكثر استخداماً في البحث عن المعلومات، وقد طلب منهم تحديد تلك المصادر من بين تسعة مصادر أدرجت في الاستبانة، أو تحديد مصادر معلومات أخرى غير تلك المدرجة. وقد جاءت نتائج الاستطلاع كما يعرضها الجدول رقم (٣).

الجدول رقم (٣) مصادر المعلومات المستخدمة من قبل المستفيدين

مصادر المعلومات	التكرار	النسبة المئوية
كتب	١٠١	٤٣٪
مصادر إلكترونية	٤٣	١٨,٣٪
مجلات علمية (دوريات)	٣٤	١٤,٥٪
صحف	٢٤	١٠,٢٪
وقائع ندوات ومؤتمرات	٧	٣٪
وثائق حكومية	٥	٢,١٪
تقارير	٥	٢,١٪
مخطوطات	٣	١,٣٪
أشرطة فيديو	٢	٠,٨٪
مصادر أخرى	١١	٤,٧٪
المجموع	٢٣٥	١٠٠٪

وبإلقاء نظرة على البيانات الواردة في الجدول السابق يتبين أن الكتب تعد الأكثر استخداماً من قبل الطلاب المشاركين حيث تكرر ١٠١ مرة بنسبة ٤٣٪ من مجموع التكرارات البالغ ٢٣٥ تكراراً. بينما تأتي بقية المواد تبعاً، فكانت الإجابات بنسبة ١٨.٣٪ للمصادر الإلكترونية، و ١٤.٥٪ للمجلات العلمية (الدوريات)، و١٠.٢٪ للصحف، و ٣٪ لوقائع الندوات والمؤتمرات، و٢.١٪ للوثائق الحكومية، و٢.١٪ للتقارير، و١.٣٪ للمخطوطات، و٠.٨٪ لأشرطة الفيديو، أما المصادر الأخرى غير تلك التي أدرجت في السؤال فقد بلغ مجموع التكرار ١١ مرة بنسبة ٤.٧٪، وقد تمثلت في الآتي: الأستاذ الجامعي (الدكاترة)، برامج علمية تلفزيونية عبر الفضائيات، مصادر مباشرة شفهية من أشخاص مثقفين وكبار السن، بحوث طلاب سابقة؛ ولربما في هذه الطريق سهولة في الحصول على المعلومات.

يلاحظ من النتائج السابقة أنه، بشكل عام، لايزال هناك اعتماد كبير على الكتاب كمصدر للمعلومات رغم ما يثار حوله من تقادم معلوماته بحكم الوقت الطويل الذي يستغرقه في التأليف والطباعة والنشر والتوزيع ...وغيره، وفي المقابل يوجد ضعف في التوجه نحو استخدام مصادر معلومات مهمة وحديثة ربما تميزت عن غيرها من مصادر المعلومات الأخرى من حيث حداثة المعلومات وسرعة وسهولة الوصول إليها. فكان من المتوقع أن تحظى الدوريات العلمية بإقبال أكبر مما أظهرته الدراسة الحالية، وكذلك الحال فيما يتعلق بالمصادر الأخرى مثل وقائع الندوات والمؤتمرات، والوثائق الحكومية، والتقارير، لذلك هناك يظل سؤال مطروح حول أسباب عزوف الطلاب عن استخدام بعض مصادر المعلومات المهمة.

الجدول رقم (٣- أ) مصادر المعلومات المستخدمة وفقاً للكليات

مصادر المعلومات	الآداب		العلوم الطبية		الزراعة	
	التكرار	٪	التكرار	٪	التكرار	٪
كتب	٥٦	٤٩,١	١٧	٤٨,٦	٢٨	٣٢,٥
مصادر إلكترونية	١٩	١٦,٧	٧	٢٠	١٧	١٩,٧
مجلات علمية (دوريات)	١٢	١٠,٥	٧	٢٠	١٥	١٧,٤
صحف	١٠	٨,٨	١	٢,٨	١٣	١٥,١
وقائع ندوات ومؤتمرات	٣	٢,٦	١	٢,٨	٣	٣,٥
وثائق حكومية	٤	٣,٥	-	-	١	١,٢
تقارير	٤	٣,٥	-	-	١	١,٢
مخطوطات	٢	١,٨	-	-	١	١,٢
أشرطة فيديو	١	٠,٩	-	-	١	١,٢
مصادر أخرى	٣	٢,٦	٢	٥,٨	٦	٧
المجموع	١١٤	١٠٠	٣٥	١٠٠	٨٦	١٠٠

ولو نظرنا إلى الجدول رقم (٣ – أ) نجد أن الكتاب يعد مصدر المعلومات الأول والأكثر استخداماً لدى طلاب الكليات الثلاث، والمثير للانتباه هنا هي البيانات الخاصة بطلاب كلية العلوم الطبية حيث ترتفع نسبة الاعتماد على الكتاب إلى ٤٨,٦٪، بينما يقل اعتمادهم على الدوريات الذي وصل إلى ٢٠٪ فقط علماً بأنه الأغلبية الغالبة من مقتنيات المكتبات الطبية دوريات (أو يفترض أن يكون كذلك). فهل هناك ما يمنع من استخدام طلاب العلوم الطبية لهذا المصدر المهم ويحد منه ؟ ولربما عبرت هذه النسبة المنخفضة عن صعوبات وأسباب عديدة محتملة يمكن تحديدها والكشف عنها من خلال دراسات تبحث في الأسباب وتفسر مثل هذه الظاهرة المتمثلة في الاتجاه بقوة نحو استخدام الكتاب والابتعاد عن الدوريات العلمية.

ثالثاً – الأدوات المستخدمة للوصول إلى مصادر المعلومات:

وللتعرف على الأدوات الأكثر استخداماً من قبل الطلاب للوصول إلى مصادر المعلومات فقد تضمنت الاستبانة سؤالاً موجهاً بهذا الخصوص حيث طلب منهم تحديد تلك الأدوات من بين الأدوات المدرجة بالاستبانة فكانت الإجابات على النحو الموضح في الجدول رقم (٤).

الجدول رقم (٤) الأدوات المستخدمة للوصول إلى مصادر المعلومات

الأدوات	التكرار	النسبة المئوية
فهرس المكتبة الآلي	٥٩	٢٣.١٪
الاستعانة بمحركات البحث في الإنترنت	٥٥	٢١.٦٪
تصفح بعض المواقع على الإنترنت بانتظام	٤٣	١٦.٩٪
استعراض الرفوف	٤٢	١٦.٥٪
الاتصالات الشخصية	٢٣	٩٪
قائمة المراجع المذكورة في كتاب أو مقالة	٢١	٨.٢٪
قواعد المعلومات الببليوجرافية الإلكترونية	٥	٢٪
القوائم الببليوجرافية المطبوعة	١	٠.٤٪
أدوات أخرى	٦	٢.٣٪
المجموع	٢٥٥	١٠٠٪

يتضح أن أكثر الأدوات التي يستخدمها الطلاب للوصول إلى مصادر المعلومات هو فهرس المكتبة الآلي حيث تكرر ٥٩ مرة بما يمثل نسبة ٢٣.١٪ من مجموع التكرارات البالغة ٢٥٥ تكراراً. وبعد ذلك جاءت بقية الأدوات بنسبة ٢١.٦٪ للاستعانة بمحركات البحث في الإنترنت، و١٦.٩٪ لتصفح بعض المواقع على الإنترنت بانتظام، و١٦.٥٪ لاستعراض الرفوف، و٩٪ للاتصالات الشخصية، و٨.٢٪ لقائمة المراجع المذكورة في كتاب أو مقالة، و٢٪ لقواعد

المعلومات الببليوجرافية الإلكترونية، و٠,٤٪ للقوائم الببليوجرافية المطبوعة؛ أما الأدوات الأخرى غير المدرجة في الاستبانة فقد تكررت ست مرات وشكلت نسبة ٢,٣٪ متضمنة الأدوات التالية: أستاذ المقرر، من أشخاص آخرين مثل زملاء دراسة سابقين، كتب دراسية لمستويات أعلى.

إن من أكثر ما يثير التساؤل في النتائج السابقة ليس الاعتماد الأكبر على فهرس المكتبة الآلي أداة للوصول إلى مصادر المعلومات ولكن قلة الاعتماد على قواعد المعلومات الببليوجرافية الإلكترونية، وهي الأداة التي تعد الأشهر والأكثر استخداماً بين الباحثين والدارسين عموماً في الوصول إلى المعلومات رغم أن مكتبة الجامعة توفر هذه الخدمات البحثية التي تمكن المستفيد من الوصول إلكترونياً إلى قواعد معلومات ببليوجرافية عالمية. وقد لا يمكن الإجابة بشكل دقيق عن سبب ذلك فليس من بين أهداف هذه الدراسة التحقق من الأسباب CAUSATION بقدر ما هو معرفة سلوك المستفيدين في البحث عن المعلومات بما في ذلك استخدام الأدوات الببليوجرافية.

الجدول رقم (٤- أ) الأدوات المستخدمة للوصول إلى مصادر المعلومات وفقاً للكليات

الأدوات	الآداب		العلوم الطبية		الزراعة	
	التكرار	٪	التكرار	٪	التكرار	٪
فهرس المكتبة الآلي	٣٢	٢٧,٦	١٢	٢٢,٦	١٥	١٧,٥
الاستعانة بمحركات البحث في الإنترنت	٢٢	١٨,٩	١٠	١٨,٩	٢٣	٢٦,٧
تصفح بعض المواقع على الإنترنت بانتظام	٢٢	١٨,٩	٨	١٥,١	١٣	١٥,١
استعراض الرفوف	٢٣	١٩,٨	٩	١٧	١٠	١١,٦
الاتصالات الشخصية	٦	٥,٢	٤	٧,٥	١٣	١٥,١
قائمة المراجع المذكورة في كتاب أو مقالة	٧	٦,١	٦	١١,٣	٨	٩,٣
قواعد المعلومات الببليوجرافية الإلكترونية	١	٠,٩	٣	٥,٧	١	١,٢

القوائم الببليوجرافية المطبوعة	١	٠,٩	-	-	-	-
أدوات أخرى	٢	١,٧	١	١,٩	٣	٣,٥
المجموع	١١٦	١٠٠	٥٣	١٠٠	٨٦	١٠٠

وبالنظر إلى الجدول رقم (٤ – أ) الذي يمكن من مقارنة استخدام طلاب الكليات الثلاثة لأدوات الوصول إلى مصادر المعلومات يتبين أن قواعد المعلومات الببليوجرافية الإلكترونية، رغم أهميتها، هي من أقل الأدوات استخداماً. فلا يستخدم هذه الأداة سوى ٠,٩٪ من طلاب كلية الآداب، و١,٢٪ من طلاب كلية الزراعة، و٥,٧٪ من طلاب كلية العلوم الطبية. وهذه نسبة متدنية تلفت الانتباه وتثير التساؤلات حول الأسباب المحتملة لعزوف الطلاب عن استخدام قواعد المعلومات الببليوجرافية الإلكترونية.

رابعاً – صعوبات البحث عن المعلومات:

وللتعرف على الصعوبات التي تواجه الطلاب المدروسين عند البحث عن المعلومات في مكتبات الجامعة فقد طلب منهم تحديد آرائهم من تلك الصعوبات الست التي أدرجت في السؤال الموجه لهم في الاستبانة، فكانت الإجابات كما هي موضحة في الجدول رقم (٥).

الجدول رقم (٥) صعوبات البحث عن المعلومات

الصعوبات	التكرار	النسبة المئوية
ضعف الخدمات الإرشادية	٥٣	٢٧,٥٪
ليس لدي الخبرة الكافية لاستخدام المكتبة	٤٦	٢٣,٨٪
عدم قدرتي على قراءة مصادر باللغة الأجنبية	٢٧	١٤٪
عدم توفر المواد المناسبة في المكتبة	٢١	١٠,٩٪
قلة المصادر المتوفرة باللغة العربية	١٦	٨,٣٪

عدم وجود تنظيم جيد لمواد المكتبة	١٦	٨.٣٪
صعوبات أخرى	١٤	٧.٢٪
المجموع	١٩٣	١٠٠٪

وبالنظر إلى نتائج الاستطلاع في الجدول السابق يتبين أن ضعف الخدمات الإرشادية يأتي في مقدمة الصعوبات التي تواجه الطلاب عند مباشرة البحث عن المعلومات حيث تكرر ذلك ٥٣ مرة بنسبة ٢٧.٥٪ من مجموع التكرارات البالغ ١٩٣ مرة؛ يلي ذلك بقية الصعوبات بنسبة ٢٣.٨٪ لعدم وجود الخبرة الكافية لاستخدام المكتبة، و١٤٪ لعدم القدرة على قراءة مصادر بلغة أجنبية، و١٠.٩٪ لعدم توافر المواد المناسبة، و٨.٣٪ لقلة المصادر المتوفرة باللغة العربية، و٨.٣٪ لعدم وجود تنظيم جيد لمواد المكتبة. أمّا الصعوبات الأخرى غير تلك التي أدرجت في الاستبانة فقد بلغ تكرارها ١٤ مرة بنسبة ٧.٢٪ وقد تمثلت تلك الصعوبات في تضجر موظف المكتبة عند طلب المساعدة منه، وعدم كفاية الوقت المخصص لرواد المكتبات، وكثرة تعطل أجهزة الحاسبات الآلية في المكتبة، وعدم توفر مواد حديثة، وعدم توفر نسخ كافية من الكتب.

ويتضح من ردود من شملتهم الدراسة أن من أكثر الصعوبات التي تواجههم ويعانون منها عند البحث عن المعلومات "ضعف الخدمات الإرشادية" و "عدم وجود الخبرة الكافية –لدى الطالب- لاستخدام المكتبة". وفي ذلك تفسير لما تمخض من نتائج مصادر المعلومات المستخدمة ... حيث يظهر اعتماد الطلاب بشكل كبير على الكتاب مصدراً أول للمعلومات، في حين أنهم أظهروا ضعفاً في التوجه نحو استخدام مصادر معلومات مهمة وحديثة تتميز بسرعة الوصول إلى محتوياتها وبسهولة. فالبيانات هنا تظهر أن معظم الطلاب تواجههم صعوبات من ناحية ضعف الخدمات الإرشادية المقدمة لهم والتي ربما ساعدتهم في التعامل مع بعض المواد ومصادر المعلومات الحديثة، خصوصاً أنهم يفتقدون الخبرة الكافية في

استخدام المكتبة، وهذه أيضاً تعد إحدى الصعوبات التي يعانون منها لدى بحثهم عن المعلومات. كما أن ذلك قد يكون أحد أسباب قلة اعتمادهم على قواعد المعلومات الببليوجرافية الإلكترونية أداة موصلة إلى مصادر المعلومات بأشكالها وأنواعها المتعددة رغم ما ذكر من أن المكتبة توفر هذه الخدمة الإلكترونية باشتراكها في قواعد المعلومات الببليوجرافية العالمية.

كما يمكن استنتاج صعوبات أخرى ذات تأثير تواجه الطلاب عند البحث عن المعلومات، فهناك مشكلتان هما: "عدم القدرة على قراءة مصادر باللغة الأجنبية" و"قلة المصادر المتوفرة باللغة العربية". فالحقيقة أنه إذا التقت مشكلة عجز الطلاب (أو أغلبهم) عن قراءة مصادر بلغات أجنبية، وفي الوقت نفسه قلة مصادر المعلومات باللغة العربية فإن ذلك يزيد من حجم المشكلة ويجعل بحث الطلاب عن المعلومات والوصول إليها أمراً عسيراً.

وفيما يتعلق بمشكلة قلة المصادر بالعربية فهي مشكلة كبيرة بل أنها قضية عربية، ولا يستحسن الخوض فيها لأنها في الواقع أكبر من أن تناقش في فقرة من فقرات هذه الدراسة ذات الأهداف المحدودة، ولكن ما يمكن ذكره هنا هو أن مشكلة مصادر المعلومات العربية ذات شقين: الأول هو قلة الإنتاج العلمي بالعربية بشكل عام؛ والآخر عدم وجود قواعد معلومات بنوعيها الببليوجرافية والنصوص الكاملة على مستوى عال. ومما يعزز هذا القول ما أثبتته نتائج دراسة سابقة للباحث عن عدم وجود قواعد معلومات عربية يمكن الوصول إليها واسترجاعها إلكترونياً والاشتراك بها سواء من قبل مكتبات جامعة الملك سعود أو غيرها من المكتبات [1].

(١) أبا الخيل، عبدالوهاب "توظيف تقنيات المعلومات في قطاع المكتبات: دراسة حالة لمكتبة الأمير سلمان المركزية"، عالم الكتب: مج٢٤، ع٥- ٦ (الربيعان – الجماديان ١٤٢٤هـ) ص ٤٤٧ – ٤٧٨.

الجدول رقم (٥- أ) الصعوبات التي تواجه الطلاب عند البحث عن المعلومات وفقاً للكليات

الصعوبات	الآداب		العلوم الطبية		الزراعة	
	التكرار	٪	التكرار	٪	التكرار	٪
ضعف الخدمات الإرشادية	٢٩	٣١.٥	١٣	٣٧.١	١١	١٦.٧
ليس لدي الخبرة الكافية لاستخدام المكتبة	٢٦	٢٨.٣	١	٢.٩	١٩	٢٨.٨
عدم قدرتي على قراءة مصادر باللغة الأجنبية	١٣	١٤.١	١	٢.٩	١٣	١٩.٧
عدم توفر المواد المناسبة في المكتبة	٧	٧.٦	١٠	٢٨.٦	٤	٦
قلة المصادر المتوفرة باللغة العربية	٤	٤.٤	٢	٥.٧	١٠	١٥.٢
عدم وجود تنظيم جيد لمواد المكتبة	٨	٨.٧	٤	١١.٤	٤	٦
صعوبات أخرى	٥	٥.٤	٤	١١.٤	٥	٧.٦
المجموع	٩٢	١٠٠	٣٥	١٠٠	٦٦	١٠٠

وفي الجدول رقم (٥ – أ) يتفق طلاب كليتي الآداب والعلوم الطبية على أن ضعف الخدمات الإرشادية التي تقدمها المكتبة تشكل أولى الصعوبات التي تواجههم عند البحث عن المعلومات؛ وفي المقابل لا تعد تلك صعوبة أولى لدى طلاب كلية الزراعة حيث تفيد الأغلبية منهم أن الصعوبة الأولى تكمن في عدم تمتعهم بالخبرة الكافية لاستخدام المكتبة. فما يمكن إثارته هنا هو اختلاف الصعوبات التي تواجه طلاب كلية الزراعة عنها لدى الطلاب الآخرين في الكليتين الأخريين خصوصاً كلية الآداب فيما يتعلق بضعف الخدمات الإرشادية رغم أن مكتبة الأمير سلمان المركزية والمكتبات الأخرى الفرعية تتبع لجامعة الملك سعود، وطاقم الموظفين نفسه، وهي نفسها التي يرتادها الطلاب ممن شملتهم الدراسة فيما عدا طلاب كلية العلوم الطبية الذين يمكنهم الإفادة من مكتبة كلية الطب في

حرم الجامعة بالدرعية، ومكتبة مستشفى الملك عبد العزيز (تابعة لجامعة الملك سعود)، ومكتبة كلية العلوم الطبية التطبيقية، بالإضافة إلى مكتبة الأمير سلمان المركزية. فقد يعود السبب في ذلك إلى عوامل يمكن أن نتوقعها، وأخرى قد لا نحيط بها إلا من خلال بحث وتقص. فمن العوامل المحتملة أن طلاب كلية الزراعة يحرصون على حضور الجولات التعريفية التي تقيمها مكتبة الجامعة في بداية الفصول الدراسية، لذا فهم يتمتعون بشيء من الخبرة أو المعرفة التي تساعدهم في استخدام المكتبة وتغنيهم - إلى حد ما - عن اللجوء إلى الخدمات الإرشادية بشكل متكرر.

وتبين أن قراءة مصادر المعلومات باللغة الأجنبية لا يمثل الصعوبة الأولى لطلاب كليتي الآداب والزراعة التي تواجههم عند البحث عن المعلومات حيث شكلت نسبة ١٤.١٪ من مجموع إجابات طلاب كلية الآداب، و١٩.٧٪ من مجموع إجابات طلاب كلية الزراعة. وهذه النتيجة غير متوقعة نظراً لطبيعة التخصصات الأكاديمية في كلا الكليتين المذكورتين اللتان تعتمدان بشكل أساس على العربية ومهاراتها. وإن عرفنا هذا في حالة كلية الآداب فإننا لا نعرفه على التحقيق في كلية الزراعة.

ومن المعطيات الأخرى المثيرة ما يشير إليه الجدول السابق فيما يتعلق بطلاب كلية العلوم الطبية، فمن أكبر الصعوبات التي تواجههم لدى بحثهم عن المعلومات هو عدم توفر المواد المناسبة في المكتبة حيث يشكل ذلك نسبة ٢٨.٦٪ من مجموع إجاباتهم، واحتل المرتبة الثانية بعد ضعف الخدمات الإرشادية من حيث الصعوبة. فإذا ما عدنا إلى نتائج سابقة لطلاب كلية العلوم الطبية، وربط المعطيات الحالية ومقارنة (صعوبة ضعف الخدمات الإرشادية) بمعطيات الجدول رقم (٤ – أ) المتعلقة باعتمادهم على الكتاب كمصدر أول للحصول على المعلومات المطلوبة

دون غيره من مصادر المعلومات الأخرى المهمة، رغم القدرات اللغوية والمهارات التقنية المفترضة بحقهم فقد يكون هنالك علاقة محتملة عندما لا يجد الطالب الخدمة الإرشادية المرضية فيكتفي باستخدام الكتاب.

خامساً – طرق التغلب على الصعوبات:

خصص هذا المحور للتعرف على الطرق التي يسلكها طلاب مرحلة البكالوريوس بجامعة الملك سعود للتغلب على الصعوبات التي تواجههم عند البحث عن المعلومات. لذلك طرحت الدراسة سؤالا من خلال هذا المحور في الاستبانة طلب فيه من الطلاب المشاركين توضيح الطرق التي يلجأون إليها في حال تعرضهم لصعوبات تعيق سير عملية بحثهم عن المعلومات، وقد أدرج في السؤال مجموعة من الطرق إضافة إلى طرق أخرى غير مدرجة يوضحها المشارك، فجاءت نتائج الاستطلاع على النحو الذي يعرضه الجدول رقم (٦).

الجدول رقم (٦) طرق المستفيدين (طلاب البكالوريوس بجامعة الملك سعود) في التغلب على الصعوبات التي تواجههم

طرق التغلب على الصعوبات	التكرار	النسبة المئوية
سؤال موظف المكتبة المختص	٨١	٤٩.١٪
اللجوء إلى مكتبة أخرى	٣٨	٢٣.١٪
شراء مصدر المعلومات الذي أبحث عنه	٢٣	١٣.٩٪
التوقف عن البحث	٦	٣.٦٪
طرق أخرى	١٧	١٠.٣٪
المجموع	١٦٥	١٠٠٪

وقد تبين أن سؤال موظف المكتبة المختص هو الأكثر اتباعاً لدى الطلاب في حال تعرضهم لصعوبات تعيق بحثهم عن المعلومات حيث تكررت الإجابة ٨١ مرة

بنسبة ٤٩,١٪ من مجموع ١٦٥ تكراراً؛ يلي ذلك بقية الطريق بنسبة ٢٣,١٪ اللجوء إلى مكتبة أخرى، وبنسبة ١٣,٩٪ لطريقة شراء مصدر المعلومات الذي يبحث عنه، وبنسبة ٣,٦٪ للتوقف عن البحث؛ أمّا الطرق الأخرى غير تلك التي أدرجت في السؤال فقد شكلت نسبة ١٠,٣٪ بتكرار قدره ١٧ مرة، وقد تفاوتت طرقهم فهناك من يلجأ إلى مكتبات خاصة للأصدقاء والأقارب، وهناك من يلجأ إلى استشارة أساتذته أو سؤال زملاء الدراسة، وأخيراً هناك من ذكر أنه ينشد عون غيره.

الجدول رقم (٦- أ) طرق المستفيدين في التغلب على صعوبات البحث عن المعلومات وفقاً للكليات

طرق التغلب على الصعوبات	الآداب		العلوم الطبية		الزراعة	
	التكرار	٪	التكرار	٪	التكرار	٪
سؤال موظف المكتبة المختص	٤٣	٥٠	١٥	٤٨,٤	٢٣	٤٧,٩
اللجوء إلى مكتبة أخرى	٢٠	٢٣,٣	٩	٢٩	٩	١٨,٨
شراء مصدر المعلومات الذي أبحث عنه	١٢	١٤	٢	٦,٥	٩	١٨,٨
التوقف عن البحث	٤	٤,٦	١	٣,٢	١	٢
طرق أخرى	٧	٨,١	٤	١٢,٩	٦	١٢,٥
المجموع	٨٦	١٠٠	٣١	١٠٠	٤٨	١٠٠

وعند مناقشة ذلك على ضوء المعطيات في الجدولين (٦) و (٦ – أ) يبرز سؤال مهم هو: هل يجد هؤلاء الطلاب المساعدة والحلول المناسبة لمشكلات البحث عن المعلومات التي يواجهونها عندما يلجأون إلى موظف المكتبة المختص ؟ وهل لضعف الخدمات الإرشادية التي ذكرها الطلاب في الاستطلاع حول الصعوبات التي يواجهونها عند البحث عن المعلومات علاقة مباشرة بالإفادة المثلى من

المساعدات المقدمة من الموظف المختص ؟ ففي رأي الباحث أن الطلاب الذين يلجأون إلى سؤال موظف المكتبة المختص لابد وأن يجدوا حلولا أو إجابة شافية، أو على أقل تقدير توجيه مفيد وإلاّ لما وصلت نسبة الذين يستعينون بالموظف إلى نصف الإجابات تقريباً.

أمّا السلوك الثاني الذي يلجأ إليه الطلاب للتغلب على صعوبات البحث عن المعلومات فهو اللجوء إلى مكتبة أخرى. فكون الطالب يرتاد مكتبة أخرى فهذا لا بأس فيه لأنه لا يتوقع من أي مكتبة أن تلبي جميع الاحتياجات المعلوماتية لمرتاديها، ولكن ما ينبغي النظر فيه هو سبب ذهابه إلى مكتبات أخرى في الوقت الذي يتوافر في المكتبة المصدر الذي يبحث عنه الطالب. هل يعود هذا إلى عدم وجود من يرشده ؟ أو وجود نقص في الأدوات المساعدة كالفهارس والببليوجرافيات التقليدية والإلكترونية ؟ أو إلى غير هذه من الأسباب ؟

كما أن لجوء الطلاب إلى سلوك آخر للتغلب على الصعوبات التي تواجههم مثل شراء مصدر المعلومات الذي يبحث عنه فهذا يحتاج إلى دراسة. فهل حرموا الإفادة من مجموعات المكتبة وقواعد المعلومات المشتركة بها لسبب أو لآخر مثل عدم قدرتهم على الوصول إليها لأنهم لا يملكون الخبرة الكافية للوصول إلى مقتنياتها، أم إلى صعوبات في البحث عن المعلومات حيث كان هذا ثاني أكبر مشكلة تواجههم عند بحثهم عن المعلومات. وكذلك فهناك تساؤلات تثار حول لجوء الطلاب إلى شراء مصادر المعلومات التي يبحثون عنها، فهل هذه المراجع أو الكتب هي مقررات دراسية.. وهي كل ما يحتاج إليه الطالب ؟ هذه قضية أخرى لها علاقة بمناهج وطرق التدريس الجامعي المتبع.

أمّا الذين يتوقفون عن البحث بشكل نهائي فهذه كذلك من القضايا التي تحتاج إلى المزيد من البحث في أسبابها وجوانبها المتعددة. فهل التوقف عن البحث يعني اليأس ونهاية العملية التعليمية بالنسبة لمن يلجأ إليه من الطلاب ؟ أم أن هناك طرقاً وأساليب أخرى يسلكونها لمواصلة مسيرتهم التعليمية والبحث عن المعلومات ؟

* * *

النتائج :

النتائج المتعلقة بدوافع البحث عن المعلومات :

١- معظم طلاب الكليات التي شملتهم الدراسة يبحثون عن المعلومات بدافع إعداد ورقة بحث (متطلبات مقرر) بنسبة ٣٩٪ من المجموع الكلي ؛ في حين يأتي دافع الاطلاع والثقافة أقلها بنسبة ٢٨,٢٪.

٢- تباينت دوافع البحث عن المعلومات بين طلاب الكليات الثلاث. فالغالبية العظمى من طلاب كلية العلوم الطبية تبحث بدافع إعداد ورقة بحث، بينما الأغلبية من طلاب كلية الآداب تبحث بدافع الوصول إلى مواد متعلقة بالمقررات الدراسية، أمّا طلاب كلية الزراعة فدافعهم الأول من البحث عن المعلومات هو الاطلاع والثقافة.

النتائج المتعلقة بمصادر المعلومات المستخدمة :

٣- يعد الكتاب المصدر الأول، والأكثر استخداماً في الحصول على المعلومات من قبل الطلاب المشاركين بنسبة ٤٣٪ من المجموع الكلي ؛ وفي المقابل يوجد ضعف في التوجه نحو استخدام مصادر معلومات مهمة وربما حديثة مثل المصادر الإلكترونية، والمجلات العلمية (الدوريات)، ووقائع الندوات والمؤتمرات، والتقارير، وأشرطة الفيديو.

٤- ارتفعت نسبة الاعتماد على الكتاب إلى ٤٨,٦٪ لدى طلاب كلية العلوم الطبية ؛ في حين قل اعتمادهم على المجلات العلمية (الدوريات) ليصل إلى ٢٠٪ فقط، وكذلك المصادر الأخرى بنسبة ٢,٨٪ لوقائع الندوات والمؤتمرات، ولا يلجأون نهائياً إلى الوثائق الحكومية، والتقارير، وأشرطة الفيديو (المواد السمعية البصرية).

النتائج المتعلقة بالأدوات المستخدمة للوصول إلى مصادر المعلومات :

٥- يعد فهرس المكتبة الآلي أكثر الأدوات التي يستخدمها الطلاب للوصول إلى مصادر المعلومات، وقد شكل نسبة ٢٣,١٪ من المجموع الكلي للمشاركين في الدراسة.

٦- تعد قواعد المعلومات الببليوجرافية الإلكترونية أقل الأدوات المساعدة في الوصول إلى مصادر المعلومات استخداماً لدى الطلاب، فلا يستخدمها سوى ٠,٩٪ من طلاب كلية الآداب، و١,٢٪ من طلاب كلية الزراعة، و٥,٧٪ من طلاب كلية العلوم الطبية.

النتائج المتعلقة بصعوبات البحث عن المعلومات :

٧- شكل ضعف الخدمات الإرشادية، وعدم وجود الخبرة الكافية أبرز الصعوبات التي تواجه الطلاب عموماً عند مباشرة البحث عن المعلومات.

٨- اتفق طلاب كليتي الآداب والعلوم الطبية على أن ضعف الخدمات الإرشادية التي تقدمها المكتبة تشكل بالنسبة لهم أولى الصعوبات التي تواجههم عند بحثهم عن المعلومات، بينما لا تعد كذلك لدى طلاب كلية الزراعة حيث تكمن صعوبة بحثهم عن المعلومات في عدم تمتعهم بالخبرة الكافية لاستخدام المكتبة.

٩- أبدى كثير من طلاب كلية العلوم الطبية ممن شملتهم الدراسة صعوبات تتعلق في عدم توفر المواد المناسبة في مكتبات الجامعة (٢٨,٦٪)، ويأتي ذلك في المرتبة الثانية من الصعوبات، بعد ضعف الخدمات الإرشادية المقدمة.

النتائج المتعلقة بطرق التغلب على الصعوبات :

١٠- كان سؤال موظف المكتبة المختص السلوك الأكثر اتباعاً لدى الطلاب - عموماً - في حل ما يعترضهم من صعوبات تعيق بحثهم عن المعلومات.

التوصيات :

١- استحداث مقرر إجباري (متطلبات عامة) في "استخدام المكتبة"، يدرس للطلاب في الفصل الدراسي الأول من المرحلة الجامعية، ويتولى تدريسه قسم علوم المكتبات والمعلومات، يتعلم الطالب من خلاله أساليب البحث عن المعلومات، ويكتسب مهارات استخدام التقنيات الحديثة التي توفرها المكتبة أداة للبحث عن المعلومات.

٢- تخصيص ميزانية كافية ومعروفة تمكن المكتبة من الالتزام بمواصلة تنمية وتطوير مجموعاتها بأشكالها المختلفة، والاشتراك في قواعد معلومات إلكترونية، مع الاهتمام بشكل أكبر بتوفير مصادر معلومات حديثة باللغة العربية.

٣- ينبغي على أساتذة الجامعة حث طلابهم وترغيبهم على ارتياد المكتبة لدوافع عديدة مثل الاطلاع العام والثقافة، والاستزادة في المواضيع المتعلقة بالمقررات الدراسية، وإعداد أوراق بحث وذلك بإعطائهم التكاليف وتخصيص درجات لذلك حيث سيضطرهم إلى استخدام المكتبة والبحث عن المعلومات.

٤- ينبغي على المكتبة وضع البرامج والخطط الإستراتيجية الخاصة بالتسويق للمكتبة وخدماتها المعلوماتية داخل المجتمع الجامعي. ومن ذلك إنشاء

مركز بحثي تسويقي يهتم بدراسة احتياجات المستفيدين وطرق تحقيق رضاهم عن الخدمات المعلوماتية المقدمة، وما يتصل بها من أمور مادية مساندة.

٥- تفعيل أكبر لدور الخدمات الإرشادية، التي من شأنها تعريف الطلاب بمصادر المعلومات المتنوعة خصوصاً المعتمدة على التقنيات الحديثة بحيث يتم توجيههم وتدريبهم على طرق استخدامها والإفادة منها بالشكل الصحيح.

٦- الاهتمام بتنظيم جولات تعريفية إلى المكتبة والإعلان عنها في وقت مبكر مع بداية كل فصل دراسي خصوصاً للطلاب المستجدين ليتعرفوا من خلالها على مختلف النشاطات والخدمات التي تقدمها المكتبة، إضافة إلى التعرف على الأقسام الداخلية للمكتبة. كما ينبغي أن تكون هذه الجولات عملية بحيث توزع الكتيبات والأدلة التي تساعد الطلاب على التعرف بشكل أقرب على المكتبة، كما ينبغي أن يصطحب الطلاب في جولاتهم اختصاصيون بالمكتبة والمعلومات لشرح كل ما هو مفيد.

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

1-Bunge, Charles "Reference Services" ALA World Encyclopedia of Library and Information Sclence. Chicago: ALA, 1980, p. 470.

٢- **بو عزة**، عبدالمجيد وقدورة، وحيد (يوليو – أغسطس ١٩٩٣) "سلوك الباحثين التونسيين الجامعيين في العلوم الإنسانية والتطبيقية تجاه المعلومات"، عالم الكتب: مج١٤، ع٤ ، ص ٣٨٩ – ٤١٢.

٣- **مغاوري**، علاء "المكتبات والمعلومات: دراسات نظرية وبحوث تطبيقية". المنصورة : عامر للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م، ص١٧٥.

٤- **السالم**، محمد "ظاهرة البحث عن المعلومات: دراسة في مفهوم الظاهرة وتطورها"، عالم الكتب: مج١٢ ، ع٤ (ربيع الآخر ١٤١٢هـ) ص٥١٢.

5- Elayyan, Ribhi (1980) "An investigation into the information – Seeking behaviour of Education with Special reference to the faculty of Education in the University of Jordan. Unpublished Master thesis: University of Wales, Aberys with.

6- Krikelas, J (1983) "Information Seeking Behavior: patterns and Concepts", Drexel Library Quarterly, 19, pp. 5 – 20.

٧- **السالم**، محمد "ظاهرة البحث ..." مصدر سابق: ص ٥٢٠.

٨- **ثابت**، حسان "استخدام المعلومات والحاجة المعلوماتية: عرض للأدب المنشور" ، مجلة المكتبات والمعلومات العربية: ١٩٨٩ ، ع٤ ، ص ٢١ – ٤١ .

9- Liu, M & Redfern, B (1997) "Information-seeking behavior of multicultural students: a case study at San Jose State University", College and Research Libraries, http://legend.kacst.edu.sa/cgi-bin/webspirs.cgi58 (4), p. 348 – 54.

10- Pelzer, N & others (1998) "Library use and information seeking behavior of veterinary medical students revisited in the electronic environment", Bulletin of the http://legend.kacst.edu.sa/cgi-bin/webspirs.cgi

11- Osiobe, Stephen (1988) "Information Seeking Behaviour" International Library Review, V. 20, pp. 337 – 46.

12- Elayyan, Ribhi (1980) "An investigation ...."

١٣- **بقلة**، محمد "سلوك طلاب الدراسات العليا في الحصول على المعلومات"، المجلة العربية للمعلومات: ٢٠٠٢، مج٢٣، ع١ ، ص ٧ – ٣٠ .

١٤- **حافظ**، عبدالرشيد "سلوك البحث عن المعلومات لدى طلاب مرحلة البكالوريوس"، عالم الكتب: مج١٢ ، ع٤ ربيع الآخر ١٤١٢هـ، ص ٤٩٠ – ٤٩٨.

١٥- **أباالخيل**، عبدالوهاب "توظيف تقنيات المعلومات في قطاع المكتبات: دراسة حالة لمكتبة الأمير سلمان المركزية"، عالم الكتب: مج٢٤، ع٥- ٦ (الربيعان – الجماديان ١٤٢٤هـ) ص ٤٤٧ – ٤٧٨.

١٦- **قمصاني**، نبيل "الاتجاهات السلوكية لمستخدمي قواعد المعلومات والمنتجين لها"، عالم الكتب: مج٢١ ، ع٦ (أغسطس – سبتمبر ٢٠٠٠) ص ٥٥٤ – ٥٧١.

17- Rowley, J (August 2000) "JISC user behavior monitoring and evaluation frame work" http :// www .jisc .ac .uk :8080/ pub00 /m&e _rep1.html

18- Fidzani, B (1998) "Information needs and Information seeking behavior of graduate students at University of Botswana" http://www.rosina.anbar.com/v1=42205309/nw=1/rpsw/ew/mcb/0 0242535/v4n7/sI/p329.html

* * *

قادة الرأي في المجتمع السعودي
دراسة وصفية استقرائية في ضوء نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين

د . محمد بن سعود البشر
قسم الإعلام - كلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

تتناول هذه الدراسة موضوع قادة الرأي في المجتمع السعودي، و تحاول اكتشاف سماتهم و خصائصهم في ضوء التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي في النظر إلى التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين واستخلاص الحقائق المتعلقة بالسمات العامة لقادة الرأي المؤثرين و من ثم محاولة تطبيقها على ما يمكن وصفهم بقادة الرأي في المجتمع السعودي . وقد توصل الباحث إلى سمات ثلاث تستند إلى حقائق علمية وشواهد من الواقع المعاش يمكن أن تكون من أهم سمات قادة الرأي المؤثرين في المجتمع السعودي :

الصفة الأولى: هي الصفة الدينية وهي أبرز سمات قادة الرأي في المجتمع السعودي .

الصفة الثانية :هي الثقة والقبول الاجتماعي .

الصفة الثالثة : هي التعرض لوسائل الاتصال المختلفة من أجل الحصول على المعلومات الضرورية التي يقومون بصياغتها وتفسيرها ومن ثم نقلها إلى الجمهور المراد التأثير فيه .

تمهيد :

يشهد المجتمع السعودي تغيرين أساسين: الأول مرتبط بالانفتاح الإعلامي، والآخر بتوجه القيادة السياسية نحو الإصلاح في كل مجالات الحياة المجتمعية، و منها حرية الرأي و التعبير و المشاركة السياسية للمواطن. فالأول قاسم مشترك بين المجتمعات المعاصرة، إذ أصبحت وسائل الإعلام عاملاً رئيساً في صياغة الرأي و التوجهات العامة بعد الذي حققته من نقلة كبيرة في صناعة المعلومة، و تخطيها لحواجز السياسة و الجغرافيا، و تعدد قنوات الاتصال و المعلومة. و التغيير الثاني مرتبط بالحراك السياسي و الاجتماعي في المجتمع السعودي، إذ صاحب الانفتاح الإعلامي العالمي توجه محلي حقيقي ملموس نحو الإصلاح السياسي، و من ذلك إعادة النظر في طبيعة عمل المؤسسات الإعلامية، و منحها المزيد من حرية الرأي و التعبير، و الرفع الجزئي للرقابة الحكومية على المضامين الإعلامية، و توسيع دائرة المشاركة السياسية للمواطن – بصفة مرحلية.

هذان التغيران يفرضان حقيقة جديدة على صناعة الرأي العام في المملكة، ويفتحان المجال للمتخصصين لدراسة العوامل المؤثرة على صياغة الرأي العام، واكتشاف فئة المؤثرين على هذا الرأي، و معرفة سماتهم وخصائصهم، والشروع في إجراء الدراسات العلمية التطورية التي تؤسس لتراكم علمي معرفي متخصص عن هذه الظاهرة الاجتماعية التي أصبحت واقعاً ملموساً يعيشه السعوديون بكل فئاتهم الاجتماعية.

هذه الدراسة تتناول موضوع قادة الرأي في المجتمع السعودي، و تحاول اكتشاف سماتهم و خصائصهم في ضوء التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين. قسّم الباحث دراسته إلى تمهيد، و مقدمة منهجية تشتمل على

مدخل إلى موضوع الدراسة، ثم أهمية الدراسة، فاستعراض للدراسات السابقة، ثم تحديد مشكلة الدراسة و تساؤلاتها و منهجها، ثم ثلاثة مباحث رئيسة.

يتناول المبحث الأول البناء المعرفي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين ومفهوم قادة الرأي في هذه النظرية. ويعرض المبحث الثاني لمفهوم قادة الرأي في المجتمع السعودي. أما المبحث الثالث فيكتشف سمات قادة الرأي في المجتمع السعودي.

ثم ختمت الدراسة برؤية علمية تؤسس لدراسات مستقبلية في الظاهرة موضوع الدراسة.

* * *

مقدمة منهجية :

أولاً : مدخل إلى موضوع الدراسة :

حتى عام ١٩٥٥م ، كان الباحثون المتخصصون في نظريات التأثير الإعلامي يتبنون الاتجاهات البحثية التي تؤيد التأثير المباشر لوسائل الإعلام ، وما يؤيدها من نظريات ، مثل نظرية (المجتمع الجماهيري) ، ونظرية (الرصاصة) [١]، ولكن هؤلاء الباحثين توقفوا عن تأييد هذا النوع من الاتجاه البحثي الذي يأخذ بالرأي القائل إن وسائل الإعلام لها تأثير مباشر على معتقدات الجماهير وآرائهم ومواقفهم بعد الدراسة التي أجراها لازارزفليد وزملاؤه عام ١٩٤٤م بعنوان اختيار الشعب The People's Choice واستغرقت عشر سنوات ، حيث نشرت نتائجها عام ١٩٥٥ في الكتاب الذي أعده كاتز Katz ولازازفيلد Lazarsfeld بعنوان : التأثير الشخصي Personal Influence . هذا الجهد العلمي الذي بذله الباحثان عَدّه المتخصصون اتجاهاً جديداً في دراسات التأثير الإعلامي، يركز على قادة الرأي، وطبيعة تكوينهم، وسماتهم، وأساليب تأثيرهم على الجمهور. قادة الرأي هؤلاء يمثلون المرحلة الثانية في تدفق المعلومات التي يتعرض لها الجمهور من وسائل الإعلام[٢].

وإذا كانت دراسات التأثير المباشر لوسائل الإعلام في صياغة المواقف والاتجاهات قللت من أهمية الاتصال الشخصي كمتغير بحثي في عملية التأثير، إلا

---

(١) McQuail, Denis.(1987). Mass Communication Theory: An Introduction . PP. 252-254

(٢) Lowery, Shearon A. & DeFleur, Melvin L. (1988). Milestones in Mass Communication Reseacrh P. 165

أن الدراسات التي تلت دراسة لازازفيلد وكاتز أسهمت في تعزيز هذه المتغير وزيادة فاعليته في التأثير على الجمهور [١] وبخاصة في القضايا ذات الصبغة السياسية.

ومن هذه القناعة التي أكدتها دراسات الباحثين ، ولأن المجتمع السعودي يعتمد بشكل كبير على الاتصال الشخصي بوصفه قناة من أهم قنوات التأثير على جمهور وسائل الاتصال و المستوى الاتصالي الأبرز في فهم عملية التفاعل بين أفراد المجتمع السعودي وما ينتج عنه من تبلور رأي عام تجاه القضايا المطروحة في المجتمع، تأتي هذه الدراسة التي تتناول موضوع قادة الرأي في المجتمع السعودي الذين يمثلون المرحلة الثانية في نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين ، المبنية على الفرضية العلمية التي تقول : إن تدفق المعلومات من وسائل الاتصال الجماهيري يستقبلها قادة الرأي في المجتمع و من ثم ينقلون هذه المعلومات بدورهم إلى الجمهور [٢] .

ثانياً: أهمية الدراسة :

تنبثق أهمية الدراسة الحالية من الاعتبارات التالية :

١- أهمية الاتصال الشخصي في العملية الاتصالية ، حيث يتجاوز فيه قادة الرأي مهمة نقل الرسائل التي تبثها وسائل الاتصال إلى الجمهور إلى تفسير هذه الرسائل ، بل وإلى تقديم وجهات نظر أخرى مخالفة لهذه الوسائل ومغايرة لها [٣] ، وهو ما يلاحظ في المجتمع السعودي بشكل ظاهر . فخصائص أفراده الثقافية ، وتكوينه البنيوي الاجتماعي يمنح

(١) حمدي ، حسن. الاتصال و بحوث التأثير في دراسات الاتصال الجماهيري ، ص ٦٠

(٢) البشر، محمد بن سعود. مقدمة في الاتصال السياسي، ص ٤١

(٣) المرجع السابق، ص ٤٢

قادة الرأي فيه الثقة والمصداقية التي تُعد " أهم سمات قادة الرأي المؤثرين "[1] .

٢- أن المجتمع السعودي يشهد انفتاحاً إعلامياً لم يكن مألوفاً عند السعوديين إلى وقت قريب ، وحركة الإصلاح السياسي التي يشهدها المجتمع منحت وسائل الإعلام المحلية قدراً من حرية الرأي والتعبير ، وهو ما يسهم في بلورة رأي عام (غير رسمي) تجاه القضايا العامة التي يعيشها المجتمع ، وهو ما يعزز – بدوره – ظهور قادة رأي مؤثرين في اتجاهات ومواقف أفراد المجتمع .

٣- أن هذه الدراسة تُعد – حسب علم الباحث – من الدراسات التأسيسية في موضوعها ، فلم يتناول المتخصصون موضوع قادة الرأي في المجتمع السعودي بدراسة مستقلة ، وهو ما يمثل توجهاً جديداً في معرفة قادة الرأي المؤثرين في اتجاهات الرأي العام في المملكة العربية السعودية ، ويفتح المجال للمتخصصين لإجراء دراسات مماثلة تنقد هذه الدراسة ، أو تؤيدها ، أو تضيف إليها .

ثالثاً: الدراسات السابقة :

كثيرة هي الدراسات الأجنبية التي تناولت موضوع قادة الرأي في المجتمع ، سواء في الرسائل العلمية أو الدراسات المنشورة في الدوريات العلمية المحكمة ، ولذلك فإنه من المتعذر حصر هذه الدراسات جميعها ، وإنما سنعرض إلى أهمها ، وبخاصة ماله صلة وثيقة بموضوع هذه الدراسة ، وهو سمات قادة الرأي المؤثرين . ومن هذه الدراسات الدراسة التي أعدها كل من تشان ومسرا (Chan &

---

(١) Lowery & DeFleure, ibid, P. 169

Misra 1990) بعنوان : سمات قادة الرأي، إذ استعرض الباحثان التراكم العلمي المنبثق من نظرية انتقال المعلومات ثم استخرجا عدداً من سمات قادة الرأي التي تكررت في الدراسات السابقة وأجريا مسحاً ميدانياً لعينة بحثية قوامها ٣٧٦ مبحوثاً لمعرفة آرائهم حول ترتيب هذه السمات حسب أهميتها . وأكدت نتائج الدراسة أن المصداقية والثقة، والمكانة الاجتماعية، والتعرض المستمر لوسائل الإعلام تأتي في طليعة سمات قادة الرأي المؤثرين [١].

وأكد روبرت وزملاؤه (Robert, etal. 1991) في دراستهم بعنوان: الكاريزما في قيادة الرأي، على السمات الشخصية للأشخاص المؤثرين في المجتمع التي من أهمها اقتناع قادة الرأي أنفسهم بالقضايا التي يتحدثون فيها إلى الجمهور إذا كانوا يرومون التأثير في معتقداتهم وسلوكهم. وحدد روبرت وزملاؤه مستويات ثلاثة للسمات الشخصية الناجحة لقادة الرأي . الأول يتعلق بالصفات الشخصية، والثاني العلاقة بين قائد الرأي وجمهوره، والمستوى الثالث يتعلق بمكانة قائد الرأي المعتبرة في المجتمع[٢]. وأجرى وايمان (Wiemann, 1991) دراسة عن الأشخاص المؤثرين في المجتمع بعنوان : المؤثرون ، عودة إلى مفهوم قادة الرأي ، اعتمد فيها على المنهج الاستقرائي في استعراض سمات قادة الرأي من خلال التراكم العلمي للدراسات السابقة[٣]. كما أعد وايمان (Wiemann, 1996) دراسة أخرى بعنوان : من يرتب الأولويات ؟ ترتيب الأولويات في نظرية

(١) Chan, Kenny K. & Shekhar, Misra (1990). Characteristics Of opinion Leaders: A New Dimension

(٢) Robert, House J., Spangler, William D., & Woycke, James (1991), Personal Influence and Opinion Leadership."

(٣) Wiemann, G.(1991). "The Influentials: Back to the Concept of Opinion Leaders."

انتقال المعلومات على مرحلتين [١] . حاول وايمان في دراسته أن يمزج بين اتجاهين بحثيين أساسين في دراسات التأثير الإعلامي ، وهما ترتيب الأولويات والتأثير الشخصي لقادة الرأي . وخلص الباحث إلى نتيجة رئيسة مفادها أن جمهور وسائل الإعلام ليس جمهوراً سلبياً Passive ، وأن من بين هذا الجمهور أشخاص ناشطون Active في تلقي المعلومة من وسائل الإعلام ومن ثم إعادة نشرها إلى الجمهور من جهة أو إلى وسائل الإعلام نفسها من جهة أخرى لتعيد هذه الوسائل ترتيب اهتماماتها وفقاً لتوجهات قادة الرأي .

وأما الدراسات العربية فإنها تعاني من ندرة في البحوث المتخصصة في موضوع الدراسة، ومعظمها يتعلق بقضايا عامة، مثل الرأي العام، والعوامل المؤثرة في الرأي العام والدراسات التطورية للرأي العام في المجتمعات العربية. وما اطلع عليه الباحث – على قلته – يتناول جزئيات قادة الرأي في مجتمعات معينة وفي موضوعات معينة . ومن هذه الدراسات دراسة عرفة (١٩٩٢) التي تناولت الاتصال الشخصي وقيادة الرأي العام في مجال تنظيم الأسرة.[٢] حاول الباحث في دراسته أن يتعرف على العوامل التي تسهم في تكوين قيادة الرأي في ريف مصر في مجال تنظيم الأسرة ، وقياس مصداقية قادة الرأي في هذا الموضوع ثم الوصول إلى مجموعة من العوامل التي يمكن أن تزيد من فاعلية الاتصال الشخصي تجاه هذه القضية الاجتماعية . أما مختار أبو الخير (١٩٩٢) فقد أجرى دراسة مشابهة تناولت أثر الاتصال الشخصي في تكوين العقل العام لتنمية الإنسان بالريف

---

(١) Brosius, Hans-Bernd & Wiemann, Gabriel.(1996)" Who Sets the Agenda? Agenda-setting as a two-step flow". Communication Research, Vol. 23, no. 5. 561-580

(٢) عرفة، محمد. الاتصال الشخصي و قيادة الرأي في مجال تنظيم الأسرة: دراسة نظرية و تطبيقية. مجلة بحوث الاتصال، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الثامن، ديسمبر ١٩٩٢، ص ص ١١- ٣١

المصري.[1] تناولت الدراسة أثر قادة الرأي في الاتصال الشخصي لإيجاد وعي عام يؤمن بأن التعبير عن الرأي هو حق أساس متكافئ لكل أفراد المجتمع ، وذلك لهدف أساس سعت له الدراسة وهو تقرير مدى إمكانية استخدام الاتصال الشخصي في تكوين العقل العام .

وفي مجال الدراسات المحلية التي أجريت في المجتمع المملكة العربية السعودية لم يعثر الباحث على دراسة تتعلق بسمات قادة الرأي في المجتمع السعودي ، وما هو موجود يمثل رسائل علمية تناولت موضوع الاتصال الشخصي في المجتمع السعودي ، و لم تتعرض لمتغير قادة الرأي في مناهجها البحثية .

رابعاً: مشكلة الدراسة :

من خلال استعراض الدراسات العلمية ذات العلاقة بموضوع الدراسة، و في ضوء المنهج العلمي الذي اعتمده الباحث فإن هذه الدراسة تسعى إلى استقراء أبرز سمات قادة الرأي المؤثرين من خلال التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين و من ثم تطبيق هذه السمات على ما يمكن تسميتهم بقادة الرأي في المجتمع السعودي وفق الشواهد الواقعية و الخصوصية الثقافية للمجتمع السعودي من أجل صياغة توجه علمي يؤسس لدراسات مستقبلية في الظاهرة موضوع الدراسة.

خامساً: تساؤلات الدراسة :

١- ما البناء العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين ؟ و ما مفهوم قادة الرأي في هذه النظرية؟

٢- ما مفهوم قادة الرأي في المجتمع السعودي؟

---

(١) أبو الخير، مختار محمد فؤاد. الاتصال الشخصي بين التلقين و خلق العقل الواعي لتنمية الإنسان بالريف: دراسة تجريبية على قريتين مصريتين . مجلة بحوث الاتصال، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الثامن، ديسمبر ١٩٩٢، ص ص ٣٥-٤٨

٣- ما سمات قادة الرأي في المجتمع السعودي في ضوء التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين و الخصوصية الثقافية للمجتمع السعودي؟

سادساً: منهج الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الاستقرائي وهو منهج يبدأ في تأمل جزئيات التراكم العلمي لموضوع معين ليصل منه إلى وصف عام للظاهرة المدروسة.(١) وقد وصف براور وهنتر Brewer & Hunter المنهج الاستقرائي بأنه ذلك النوع من المناهج الوصفية الذي يعتمد على البحث عن حقائق النظرية الإعلامية وتطبيقاتها في مجتمع معين بحيث يفسر معطيات الواقع المدروس وفقاً لحقائق البناء المعرفي للنظرية.(٢) ويؤكد الباحثان أن هذا المنهج العلمي لا يساعد على بناء نظرية جديدة ، وإنما يساعد على (صياغة توجه علمي) يؤسس لدراسات مستقبلية. وقد عمد الباحث في هذه الدراسة إلى استخدام هذا المنهج في استقراء التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين ، واستخلاص الحقائق المتعلقة بوصف قادة الرأي المؤثرين وسماتهم العامة ومن ثم محاولة تطبيقها على ما يمكن وصفهم بقادة الرأي في المجتمع السعودي .

ويُعدّ المنهج الاستقرائي من أهم المناهج البحثية التي تساعد الباحث على الإبداع إذ يُعمل الباحث عقله في قراءة الجزئيات ومن ثم ينتقل إلى صياغة كليات تقوم على استقراء المعرفة وتحليلها وربطها بالواقع ، أو الظاهرة موضوع الدراسة .

---

(١) عمر ، محمد زيان. البحث العلمي: مناهجه و تقنياته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م ص ٤٨

(٢)Brewer, John & Hunter, Albert. (1989). Multimethod Research: A Synthesis of Styles. P. 30

المبحث الأول :البناء المعرفي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين :

أول ظهور لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين The two-step theory هو ما بلورته نتائج الدراسة التي أعدها الباحثون في جامعة كولومبيا الأمريكية بول لازارزفليد Paul Lazarsfeld وبيرنارد بيرلسون Bernard Berelson وهيلين جوديت Helen Gaudet بعنوان : اختيار الشعب The People's Choice التي أجريت على الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام ١٩٤٤م . إذ كان من أهم نتائجها التي لفتت نظر الباحثين أن قادة الرأي كان لهم الأثر الأكبر في اتجاهات الناخبين أكثر من الأثر الذي كان متوقعاً أن تحدثه وسائل الإعلام الجماهيرية، وبخاصة الإذاعة والصحف[١] ،وفسّر الباحثون هذه النتيجة بقولهم إن الرسالة الإعلامية لم تكن ذات تأثير مباشر في الناخب، وإنما يكون التأثير عبر متغير وسيط هو " قادة الرأي ". فقادة الرأي يتعرضون لمضامين وسائل الإعلام ويتأثرون بها ، ثم ينقلون هذا التأثير بدورهم إلى الجماهير عبر قنوات اتصالية متنوعة أهمها الاتصال الشخصي . وبناءً على نتائج هذه الدراسة طور لازارزفليد Lazarsfeld وكاتز Katz عام ١٩٥٥م نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين التي قامت على الفرضية التالية[٢]:

أن المعلومات التي تنشرها وسائل الإعلام تنقل إلى الجمهور عبر مرحلتين : قادة الرأي الذين يتعرضون غالباً للرسائل الإعلامية ، ومن ثم تنتقل من قادة الرأي إلى الجمهور عبر قنوات اتصالية غير رسمية Informal communication ، وبخاصة من خلال الاتصال الشخصي

---

(١)DeVito, Joseph A. (1985). P. 433

(٢)Infante, Rancer, & Womack. (1997). P. 361

Interpersonal communication . فالجمهور إذن يتأثر بطريقة غير مباشرة، بل إن هذا التأثير غير المباشر ينسجم مع تفسير قادة الرأي للرسالة الإعلامية أكثر من التفسير المقصود للرسالة من مصدرها الأصلي (وسائل الإعلام).[١]

ومنذ ظهور هاتين الدراستين (دراسة عام ١٩٤٤، وعام ١٩٥٥) حظي متغيرا الاتصال الشخصي وقادة الرأي باهتمام كبير من الباحثين المتخصصين في دراسات الاتصال السياسي، وبخاصة ذلك النوع من الدراسات الذي يتناول تأثير قادة الرأي في المشاركة السياسية الشعبية.[٢]

ولما كانت نظرية ترتيب الأولويات من أهم النظريات التي طبقها الباحثون في دراسات الاتصال السياسي [٣]، فقد عمد كثير منهم إلى المزاوجة بين الفروض التي قامت عليها هذه النظرية ونظرية انتقال المعلومات على مرحلتين لمعرفة مدى تأثر الجمهور بأولويات القضايا التي ترتبها وسائل الإعلام لقادة الرأي ، ففي دراسة لهما بعنوان : (من يرتب الأولويات ؟ نظرية ترتيب الأولويات على مرحلتين) اختبر كل من بروسس Brosius و وايمان Weimann أربعة نماذج لانتقال ترتيب الأولويات على مرحلتين أوضح فيها الباحثان الدور الذي يقوم به قادة الرأي كمتغير وسيط وهام في انتقال المعلومات عن الأحداث والقضايا بين وسائل الإعلام والجمهور . وكان من أهم نتائج الدراسة أن لقادة الرأي دور مؤثر

---

(١) ibid

(٢) Weimann, Gabriel. (1994) P. 181

(٣) البشر، مقدمة في الاتصال السياسي، مرجع سابق ، ص ٤٢

ليس فقط في نشر القضايا بين الجمهور ، بل حتى التأثير في أولويات الوسائل الإعلامية نفسها .[١]

هذه النتيجة هي مؤكدة لدراسة ساندرا بول روكيتش Sandra Ball-Rokeach عام ١٩٨٥ التي أشارت فيها إلى حقيقة أن الأشخاص الناشطين في بيئة الاتصال الشخصي يتأثرون سلباً أو إيجاباً برسائل الوسيلة الإعلامية ثم ينعكس هذا التأثر على الجمهور .[٢]

إذن قادة الرأي هم المتغير الوسيط والأهم في التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين ، وغيرها من نظريات التأثير الإعلامي التي زاوجت بين هذه النظرية وغيرها من النظريات الإعلامية المعروفة . المتغير الوسيط والأهم باعتبار أن هناك أشخاصاً آخرين يمثلون متغيراً وسيطاً في انتقال المعلومة بين وسائل الإعلام والجمهور ، لكنهم لا يرقون إلى التأثير الذي يحدثه قادة الرأي ، كما لا تنطبق عليهم كثير من السمات والأوصاف التي ذكرها الباحثون في دراساتهم عن قادة الرأي [٣] ، بل إن قادة الرأي أحياناً يوصفون بـ (الأشخاص المؤثرين) Influentials في دراسات المتخصصين في بحوث الرأي العام تأكيداً لتميزهم عن الأشخاص غير المؤثرين الذين يكتفون بنقل المعلومة فقط دون محاولة تبنيها في نقلها للجمهور ، أو إعادة تفسيرها ، أو حتى رفضها .[٤]

---

(١)Brosius & Weimann, (1996), P. 561

(٢) Ball-Rokeach (1985), P. 501

(٣) Wanta,W.,& Wu,Y. (1992)Interpersonal Communication and the Agenda-Setting Process. Journalism Quarterly. 69, 856-867

(٤)Wiemann, G. (1991) "The Influentials: Back to the Concept of Opinion Leaders". Public Opinion Quarterly. 55, 267-279

وإذا كان التمييز بين قادة الرأي المؤثرين وغيرهم من الأشخاص الذين يمثلون وسيطاً في نقل المعلومة بين وسائل الإعلام والجمهور وارداً في القضايا العامة التي تعرضها وسائل الإعلام، فإنه في مجال القضايا السياسية يتأكد بشكل أكبر.

ذلك أن قادة الرأي السياسي في المجتمع لهم سمات وخصائص تختلف عن غيرهم من قادة الرأي في المجالات التنموية الأخرى . فهذا النوع من القادة يؤثر في القضايا التي تمثل الاهتمامات المجتمعية ، وهي قضايا تُعد قاسماً مشتركاً بين فئات الجمهور المختلفة ولا تقتصر على فئة بعينها ، كالذين لهم اهتمامات بالمبتكرات الحديثة ، أو القضايا التنموية الآنية المحددة بأزمنة معينة .[١]

وعلى الرغم من أن (قادة الرأي) مفهوم يكتنفه الغموض [٢] ، إلا أن عدداً من الباحثين اقتحم الجدل واستنتج منه تعريفات محددة ساعدت على تجلية الرؤية في ذلك ، ومنهم ماكلين ديكل Mclean Deckle الذي أوضح أن قادة الرأي هم " الأشخاص الذين يعبرون عن الاتجاه العام في المجتمع تجاه قضايا مُلحة".[٣] وهذا المفهوم يتفق مع ما توصل إليه كل من ديانا وبيث وتشارلز Diana , Beth and Charles في وصفهم لقادة الرأي المؤثرين بأنهم المدركون للقضية التي يريدون الحديث عنها ، وهي القضية التي تمثل صدارة اهتمامات المجتمع.[٤] وحديث قادة الرأي عن القضايا المجتمعية يأتي في سياق العملية التأثيرية ، أي أن

---

(١) Smith, K.A. (1987) Newspapers Coverage and Public Concern About Community Issues. Journalism Monograph. Vol. 101, 1-34.

(٢) Infante, Racer, Womack, ibid, P. 362

(٣) Mclean, Deckle. (2003). Determining what Constitutes Opinion. P. 34

(٤) Silver, Diana; Weitzman, Beth & Brecher Charles. (2002). Setting an Agenda for Local Action: The Limits of Experts. P. 38

يقصد بها إحداث أثر في الرأي العام لتحقيق مصلحة عامة ، بتعبير روبرت وزملائه Robert, etal. .[١] ويمكن القول إنه ليس لقادة الرأي سمات دائمة تميزهم عن غيرهم في المجتمع ، لأن قيادة الرأي ليست علامة ظاهرة يعرف بها أصحابها ، لكنها إدراك لدور معين في عملية الاتصال،[٢] إذ يتبين أثرهم في التفاعل الاتصالي داخل المجتمع،[٣] وإن ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن قادة الرأي يمارسون تأثيرهم في الآخرين بحكم وظائفهم الرسمية ، أو ثقة الآخرين بهم أو تمتعهم بمصداقية عالية.[٤]

والخلاصة أن قادة الرأي في مفهوم نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين هم الأشخاص المؤثرون في الرأي العام ، والذين يمثلون المتغير الأهم في البناء المعرفي لهذه النظرية باعتبارهم يتلقون الرسالة من وسائل الإعلام ثم ينقلونها إلى الجمهور وفقاً لرؤيتهم الشخصية وتفسيرهم لهذه الرسالة بقصد إحداث أثر معين قد يتفق مع الرسالة الأصلية أو يختلف معها .

وليس لقادة الرأي في هذه النظرية سمات محددة متفق عليها ، وإنما هم أشخاص يظهرون في سياق العملية الاتصالية باعتبارهم مؤثرين في القضية التي يتحدثون عنها ، ومؤهلين علمياً ومعرفياً بطريقة تكسبهم المصداقية وتساعدهم على إحداث الأثر المطلوب .

---

(١) Buchalski, Robert M., Gibson, Jane Witney, & Tesone, Dana. (2000). The Leaders as Mentor. P. 41

(٢) Littlejohn, Stephen W. (1983). Theories of Human Communication. P. 274

(٣) Chan, Kenny K. & Misra, Shekar. (1990). Characteristics of the Opinion Leader: A New Dimension. P. 53

(٤) تعريف الحزب الوطني الديمقراطي المصري www.ndp.org

وحيث إن هذه النظرية نشأت من خلال دراسات ذات طبيعة سياسية،[1] فإن وصف (قادة الرأي) ينصرف غالباً- إلى (الرأي السياسي) في التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين .

المبحث الثاني :مفهوم قادة الرأي في المجتمع السعودي :

في ظل ندرة الدراسات الإعلامية المحلية في مجال الاتصال السياسي ، فإن مهمة الباحث في تحديد مفهوم قادة الرأي السياسي في المجتمع السعودي تواجهها الكثير من المعوقات الأكاديمية والثقافية .

فأما المعوقات الأكاديمية فإن مجال الدراسات الإعلامية المحلية ذات الطبيعة السياسية يبدو أقل مجالات البحث والدراسة اهتماماً من قبل أساتذة الإعلام في الجامعات السعودية أو المتخصصين في المؤسسات الحكومية ذات العلاقة بمثل هذه المجالات البحثية مثل وزارتي الإعلام و الخارجية، وما هو موجود من رسائل علمية في برامج الدراسات العليا في الجامعات السعودية – على ندرته–[2] إنما يمثل بدايات للتراكم العلمي في مجال الاتصال السياسي في المجتمع السعودي . أما موضوع قادة الرأي في المجتمع السعودي فلم يعثر الباحث على دراسات علمية متخصصة في هذا الموضوع .

---

(١) تقدم الحديث عن ظروف نشأة نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين. انظر دراسة لازارزفيلد و زملائه التي سبق ذكرها.

(٢) يتصدر قسم الإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أقسام الإعلام الأخرى في هذا المجال بحكم أسبقيته في برامج الدراسات العليا، و قد سجل فيه عدد من رسائل الماجستير و الدكتوراه في مجال الاتصال السياسي.

وأما المعوقات الثقافية فإن المجتمع السعودي حديث عهد بالمشاركة السياسية ، وهو المصطلح الذي يتردد كثيراً في دراسات المتخصصين في الإعلام السياسي ، ومن بيئة المشاركة السياسية يظهر قادة الرأي وتتسع دائرة تأثيرهم .

إن مفهوم (المشاركة السياسية) لم يعرفه المجتمع السعودي – نسبياً – إلا في السنوات الخمس الماضية تحديداً ، بعد أن شهدت مجالات حرية الرأي والتعبير الإعلامي في المجتمع عدة تطورات، منها ما يرتبط باستيعاب التنظيمات الحديثة للعمل الإعلامي في المملكة للتغيرات التي عرفها مجال الاتصال مهنياً وتقنياً وتنظيمياً،[1] ومن ذلك التوجه نحو تحويل المؤسسات الإعلامية الحكومية (الإذاعة التلفزيون ، وكالة الأنباء) إلى مؤسسات عامة ، ما يمنحها قدراً مقبولاً من الحرية.[2] إلى جانب تعدد البدائل الاتصالية المتاحة في المجتمع السعودي حالياً ، ومنها الانترنت ، التي أسهمت في ظهور أنماط اتصالية قادرة على تخطي الحدود الجغرافية وتجاوز الرقابة المحلية .

كما أن من بين العوامل التي أثرت في اتساع هامش الحرية الإعلامية تنامي حركة الإصلاح السياسي والإداري في المملكة التي جاءت استجابة لزيادة الوعي السياسي في المجتمع ، إلى جانب الرغبة في مسايرة التغيرات الدولية ذات العلاقة بحقوق الإنسان ، والحريات المدنية والمشاركة السياسية ، ومن ذلك تأسيس مركز

---

(١) العسكر ، فهد بن عبدالعزيز. معالجة مواد الرأي في الصحف السعودية لقضايا الإرهاب المحلي. بحث مقدم لمؤتمر: موقف الإسلام من الإرهاب. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، ١-١٤٢٥/٣/٣هـ

(٢) صدر قرار مجلس الوزراء عام ١٤٢١هـ بالموافقة على توصية مجلس الشورى بتاريخ ١٤١٩/٣/٢٥هـ بتحويل الإذاعة و التلفزيون و وكالة الأنباء إلى مؤسسات عامة تكون لها مرونة مالية و تدار على أسس استثمارية.

الملك عبدالعزيز للحوار الوطني،[1] وهيئة حقوق الإنسان الحكومية والأهلية،[2] وإنشاء مجالس بلدية نصف مقاعدها منتخبة من المواطنين.[3]

وتبعاً لهذه التغيرات التي شهدها المجتمع السعودي في السنوات الخمس الماضية وبخاصة في مجال حرية الرأي والتعبير الإعلامي وتعزيز المشاركة السياسية ، فقد بدأ مفهوم قادة الرأي السياسي يتشكل وتتضح مرتكزاته الأساسية وفقاً لثقافة المجتمع السعودي وطبيعة خصوصيته الدينية المحافظة . والمتتبع لاتجاهات الرأي العام في المملكة يلحظ أن أكثر من يؤثر فيه هم الأشخاص الذين لهم القدرة والثقة في أنفسهم وعلمهم وتجاربهم لإنتاج خطاب عام في المجتمع بقصد التأثير في الرأي العام وحمله على الاستجابة لهم ، أو هم : الأشخاص المؤهلون علمياً الذين يلجأ إليهم الرأي العام بحثاً عن معلومة أو طلباً لموقف تجاه قضية محددة من قضايا المجتمع . ويأتي في صدارة هؤلاء : العلماء ، الدعاة ، الإعلاميون الذين لهم قنوات اتصال فاعلة في المجتمع .

وهذا المفهوم الأخير مركب من عنصرين أساسيين: الأول: أن يكون الشخص مؤهل علمياً بحيث يكون مصدر ثقة ومصداقية لدى الرأي العام مثل العلماء والدعاة ، أو أن يصل إلى الرأي العام من خلال قناة اتصال فاعلة ومؤثرة . والعنصر الأخير مشروط بصفة الديمومة ، بمعنى أن يكون قادة الرأي على اتصال دائم بالمجتمع من خلال هذه القناة أو تلك مثل رؤساء تحرير الصحف والكتاب .

---

(١) تأسس مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني في ١٤٢٤/٥/٢٤هـ بهدف إقامة حوار بين فئات المجتمع المختلفة بهدف تعزيز الوحدة الوطنية.

(٢) صدرت الموافقة السامية على تأسيس الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في ١٤٢٥/١/١٥هـ، كما صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٢٠٧ بتاريخ ١٤٢٦/٨/٨هـ على قيام هيئة حقوق الإنسان (حكومية).

(٣) الحميعة، أحمد بن محمد. حرية الرأي و التعبير الإعلامي في المجتمع السعودي. ١٤٢٧هـ. ص ص ٦-٧.

والمتتبع لمسيرة التطور الثقافي في المجتمع السعودي يلحظ الأثر الكبير للفئة الأولى من قادة الرأي غير الرسمي، وهم العلماء و الدعاة. وسبب ذلك ظاهر وجلي ، وهو أن المجتمع السعودي مجتمع متدين ومحافظ ، بل إن الدولة تأسست على منهج الإسلام، وشريعته مهيمنة على كل أنظمة الدولة ، والتنشئة السياسية للمواطن قامت على أسس من العقيدة والشريعة في كل مجالات حياته المختلفة ، ولذلك كان للعلماء والدعاة القبول من الرأي العام باعتبارهم المرجعية الأولى لما يحظون به من مصداقية وثقة . وإذا كان العامل الديني يمثل متغيراً أساساً في تشكيل الرأي العام الغربي تجاه القضايا التي يطرحها قادة الرأي هناك،[1] فإن هذه الحقيقة تتأكد في المجتمعات التي يتصف مجتمعها بالتدين كما هو الحال في المجتمع السعودي .

المبحث الثالث :سمات قادة الرأي في المجتمع السعودي :

من تساؤلات هذه الدراسة تحديد سمات قادة الرأي في المجتمع السعودي بوصفها من الدراسات التأسيسية في موضوعها والتي من المؤمل أن تحدد الملامح العامة لقادة الرأي بحيث تبنى عليها الدراسات المستقبلية . والجهد التحليلي لاستنتاج هذه السمات مبني على معيارين علميين أساسين :

الأول : تتبع التراكم العلمي في مجال قادة الرأي المبني على نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين ، واستقراء ما فيه من سمات وخصائص ذكرها الباحثون في الدراسات السابقة ومحاولة تطبيقها على قادة الرأي في المجتمع السعودي .

الثاني : استصحاب الخصوصية الثقافية للمجتمع السعودي خلال مرحلة الاستقراء والتحليل . ذلك أن المجتمع السعودي مجتمع مسلم ، يتخذ من الشريعة الإسلامية المصدر الوحيد للتشريع ، ونظام العلاقة بين الشعب والحكومة قائمة

(١) Badaracco, Claire. (1992). Religious Lobbyists in the Public Square. P. 34

على مفهوم (البيعة) التي تحدد طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وهو عامل مؤثر في إنتاج قادة الرأي ، وإدراك مدى تأثيرهم في المجتمع وطريقة تفاعلهم وحراكهم المجتمعي نحو الإصلاح المبرمج في مجالاته المختلفة .

وبناءً على هذين المعيارين ، ولما ذكر سابقاً في سياق مناقشة مفهوم قادة الرأي في المجتمع السعودي، يمكن النظر إلى أهم سمات وخصائص قادة الرأي المؤثرين في المجتمع السعودي من خلال توافر السمات والخصائص التالية :

١- **الصفة الدينية** : وهي سمة ذكرت في غير موضع من دراسات الباحثين في مجال نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين،[١] وهي أبرز سمات قادة الرأي المذكورة في التراكم العلمي للنظرية والتي يمكن ملاحظتها بوضوح ظاهر في المجتمع السعودي ، بوصفة مجتمعاً متديناً يخرج المؤثرون فيه من أنساق المجتمع المرتبطة جميعها بالعامل الديني المهيمن على ثقافة المواطن السعودي . ولذلك كان للعلماء والدعاة في المملكة العربية السعودية أثر كبير في تشكيل الرأي العام تجاه القضايا الداخلية أو الخارجية على حد سواء . فعلى المستوى المحلي نذكر - على سبيل المثال- الانتخابات البلدية التي أجريت في مناطق المملكة الإدارية.[٢] فقد كان

---

(١) انظر:

Harik, Iliya F. (1971). Opinion Leaders and the Mass Media in Rural Egypt: A Reconsideration of the Two-Step Flow of Communication Hypothesis.

Fenton, James S. & Thomas R. Leggett. (1971). A New Way to Find Opinion Leaders.

Bockman, Sheldon; & William F. Gayk. (1977). Political Orientation and Political Ideology.

Badaracco, Calire. (1992). Ibid, P. 34

(٢) تُعدّ الانتخابات البلدية في المملكة أول خطوة حقيقة في الإصلاح السياسي و المشاركة السياسية الشعبية في إدارة الدولة، صدرت بموجب قرار مجلس الوزراء رقم (٢٢٤) و تاريخ ١٤٢٤/٨/١٧هـ، بهدف "توسيع مشاركة المواطنين في إدارة الشؤون المحلية عن طريق الانتخاب و ذلك بتفعيل المجالس البلدية

للشخصيات الدينية الأثر الكبير في تزكية المرشحين ومن ثم فوزهم بمقاعد المجالس البلدية عبر وسائل الاتصال المختلفة.[1] كما أن الأحداث الإرهابية التي وقعت في عدد من مدن المملكة شهدت بروز الخطاب الديني بوصفه خطاباً مؤثراً ومقنعاً في توجيه الرأي العام نحو اتخاذ موقف ديني وسطي معتدل تجاه هذه الأحداث ، وهو خطاب موجه إلى جمهور المواطنين بشكل عام بهدف الحفاظ على الأمن الفكري في المجتمع أو إلى الفئة التي ارتكبت أعمال الإرهاب والتفجير.[2] وعلى المستوى الخارجي أسهم العلماء والدعاة في مواجهة الحملة الإعلامية الغربية التي استهدفت المجتمع السعودي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ، وبخاصة ما له علاقة بالمؤسسات الدينية ومناهج التعليم ومؤسسات العمل الخيري التطوعي ، والقضايا الأخرى مثل المرأة وحقوق الإنسان وغيرها ما جعل الكثير من مراكز الدراسات الإستراتيجية ووسائل الإعلام الغربية تبحث في تأثير العامل الديني على قيادة الرأي في المجتمع السعودي .

وفقاً لنظام البلديات و القرى .." . انظر البند (أولاً) من (دليل انتخاب المجالس البلدية)، الرياض، وزارة الشؤون البلدية و القروية، ط ١، ١٤٢٥هـ.

(١) من هذه الوسائل، المحاضرات و الندوات، الاتصال الشخصي المباشر، الاتصال الشخصي الموسط (عبر الهاتف بنوعيه الثابت و المحمول)، الإنترنت، و ما عُرف بـ (القوائم الذهبية) للمرشحين الذين حصلوا على تزكيات من العلماء و الدعاة . أما وسائل الاتصال المرئية و المسموعة فقد كان استخدامها محظوراً في الدعاية الانتخابية بنص المادة السادسة من الفصل الرابع من (دليل انتخاب المجالس البلدية).

(٢) اهتمت وسائل الإعلام السعودية المختلفة(الحكومية مثل الإذاعة و التلفزيون أو الخاصة مثل الصحف المحلية) بالحضور الديني ممثلاً في أعضاء هيئة كبار العلماء، و طلبة العلم الشرعي و الدعاة في تفنيد الفكر الذي كان سبباً في وقوع الأحداث الإرهابية في مدن المملكة المختلفة على مستوى الاتصال الجماهيري. أما على مستوى الاتصال الشخصي فقد تكونت لجان حوار و مناصحة في عدد من الوزارات الحكومية أغلبية أعضائها من طلبة العلم الشرعي و الدعاة لهدف بيان موقف الإسلام من مثل هذه الأعمال الإجرامية.

الصفة الدينية لقادة الرأي في المجتمع السعودي لا تعني أن الشخص غير المنتمي لفئة العلماء والدعاة ليس مؤثراً في المجتمع ، بل تؤكد أن هذه الفئة من الأشخاص هم الأكثر تأثيراً في الرأي العام من غيرهم .[١]

٢- **الثقة والقبول الاجتماعي** : وهي سمة أساس من سمات قادة الرأي ذكرها غير واحد من الباحثين المتخصصين في دراسات الرأي العام ، عبر عنها وايمان (Wiemann, 1994) بمصطلح (الاعتراف والقبول الاجتماعي) [٢]، و (المصداقية) [٣] ، ووصفها روبرت وزملاؤه (Robert, etal. 1991) بمكانة قائد الرأي المعتبرة في المجتمع.[٤] ومن كانت هذه صفته فإن آحاد الرأي العام يتوجهون إليه لمعرفة آرائه ووجهات نظره تجاه القضايا العامة في المجتمع ، وهو بالتالي يؤدي وظيفته في محاولة صياغة الرأي العام والتأثير فيه.[٥] ولذلك فإن قادة الرأي الذين يحظون بثقة أفراد المجتمع يُعدون مصادر مؤثرة عندما يكون هناك توجه جماهيري لمعرفة آرائهم ، والذين يبحثون عن المعرفة أو النصيحة تجاه قضايا معينة هم أكثر فئات الجمهور تأثراً بقادة الرأي ، وبخاصة إذا كان الاتصال في مستواه الشخصي أو الجمعي ، كما أكدت ذلك نتائج دراسات قادة الرأي المبنية على التراكم المعرفي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين.[٦]

---

(١) انظر مثلاً التقرير الشامل الذي أعده اثنان و عشرون مراسلاً عالمياً لمجلة التايم الأمريكية بعنوان: (السعوديون مع من في الحرب ضد الإرهاب) ، في عددها الصادر بتاريخ ١٥ سبتمبر ٢٠٠٢م.

(٢) Wiemann, (1994), P. 88

(٣) Ibid

(٤) Robert, House; Spangler, William D., & Woycke, James, (1991), P. 366

(٥) Wiemann, ibid, P. 182

(٦) Ibid, P. 183

ولأن المجتمع السعودي يتميز بصفة التجانس والتكامل العقدي الذي يمتد تأثيره إلى جوانب الحياة المختلفة الاجتماعية والسياسية ، وهو عامل أساس في عملية ضبط السلوك المجتمعي وتوجيهه على المستويين الرسمي والشعبي فإن سمة (الثقة والقبول الاجتماعي) تبدو أكثر وضوحاً في التأثير على الرأي العام من غيره من المجتمعات الأخرى التي يظهر فيها الانقسام الأيديولوجي أو التباين الفكري أو التحزب السياسي ، ولذلك فإنه كلما كان الشخص أكثر ثقة وقبولاً من أفراد المجتمع كلما كان تأثيره في الرأي العام ظاهراً .

٣- **التعرض لوسائل الاتصال** : في هذا العصر الذهبي لوسائل الإعلام ، بعبارة كوهين Cohen [١] ، الذي أصبحت فيه هذه الوسائل خاضعة للتنافس في إشباع حاجات الجمهور وباتت تعكس صوت المجتمع أكثر من كونها أداة سياسية للحكومات كما كان عليه الوضع قبل عقد التسعينيات الميلادية من القرن المنصرم ، فإن مهمة قادة الرأي تبدو أكثر وضوحاً في مراغمة هذه الوسائل والحد من تأثيرها على الرأي العام . ولذلك فإن من أهم سمات قادة الرأي في أي مجتمع أنهم يتعرضون لوسائل الإعلام أكثر من غيرهم كما أكد ليتل جون (Littlejohn, 1982) في وصفه لسمات قادة الرأي في نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين.[٢] وإذا كانت دراسات الرأي العام تشير إلى أن قادة الرأي لا يتعرضون كثيراً لوسائل الإعلام ، فإن قادة الرأي في مفهوم هذه النظرية هم (نشيطون) في البحث عن المعلومة والرسالة الإعلامية Active Media Seekers .[٣]

---

(١)Cohen, Jeffery , (2004), P. 493

(٢) Littlejohn, ibid, P. 275

(٣) Infante, Rancer, Womack, ibid, P. 362

ويصف الباحثون في نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين قادة الرأي بأنهم يتعرضون لوسائل الاتصال المختلفة من أجل الحصول على المعلومات الضرورية التي يقومون بصياغتها أو إعادة تفسيرها ومن ثم نقلها إلى الجمهور المراد التأثير فيه.[1]

وفي المجتمع السعودي نلحظ أن من يصنفون على أنهم من قادة الرأي يتعرضون لوسائل الاتصال المختلفة عن طريقين : الأول ، التعرض المباشر لهذه الوسائل الاتصالية ، إذ يخصصون جزءاً كبيراً من وقتهم لمتابعة المضامين الإعلامية التي تعنى بالقضايا المحلية أو الخارجية ومن ثم يكوّنون وجهة نظر شخصية تجاهها . الثاني ، التعرض الوسيط لوسائل الاتصال، ويعني أن قادة الرأي المؤثرين في المجتمع تصلهم الرسالة الإعلامية عن طريق أشخاص آخرين ينقلون إليهم المعلومة كما هي من وسائل الاتصال ثم يُكوّن قادة الرأي وجهة نظر متفقة أو مختلفة مع المعلومة الأصلية ثم ينقلونها بدورهم إلى الرأي العام. ويبدو التعرض الوسيط لمضامين وسائل الاتصال واضحاً بين فئة العلماء والدعاة [2]، وهم الأكثر تأثيراً في المجتمع حيث تنطبق عليهم أيضاً الصفتان الأوليان (الصفة الدينية ، والثقة والقبول الاجتماعي) ، بالإضافة إلى صفة التعرض لوسائل الاتصال .

وبناء على ما سبق من استعراض لسمات قادة الرأي في نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين، و التتبع الاستقرائي لما يمكن وصفهم بقادة الرأي في

---

(١) Chan, Kenny; ibid, P. 56

(٢) لمشاهير العلماء و الدعاة في المملكة متعاونون (مستشارون غير رسميين، أو طلاب و مريدون و نحوهم) يقدمون أهم ما تثيره وسائل الاتصال المحلية أو الخارجية ذات العلاقة بالشأن المحلي، أو بالقضايا الخارجية العامة، لإطلاعهم عليها و الحديث عنها عبر وسائل الاتصال المتاحة لهم.

المجتمع السعودي، فإنه يمكن بلورة رأي أوّلي، و صياغة توجه علمي يشير إلى أن من أهم صفات قادة الرأي المؤثرين في المجتمع السعودي هي: الصفة الدينية، و الثقة و القبول الاجتماعي، و التعرض المستمر لوسائل الإعلام. و هي سمات ثلاث تستصحب الطبيعة الثقافية للمجتمع مسنودة بشواهد من الواقع المعاش.

* * *

الخاتمة:

هذه دراسة مركزة، حاولت استقراء التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين، وتتبع جهود الباحثين في استخلاص أهم سمات قادة الرأي في هذه النظرية. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي في النظر إلى التراكم العلمي لنظرية انتقال المعلومات على مرحلتين واستخلاص الحقائق المتعلقة بالسمات العامة لقادة الرأي المؤثرين و من ثم محاولة تطبيقها على ما يمكن وصفهم بقادة الرأي في المجتمع السعودي في ظل عدم وجود دراسات سابقة تؤسس للظاهرة موضوع الدراسة. و بناء على نتائج الدراسات الغربية في هذا الموضوع واستصحاب الطبيعة الثقافية للمجتمع ، التي تُعدّ من أهم العوامل المؤثرة على إنتاج قادة الرأي، فقد توصل الباحث إلى سمات ثلاث تستند إلى حقائق علمية وشواهد من الواقع المعاش يمكن أن تكون من أهم سمات قادة الرأي المؤثرين في المجتمع السعودي.

ومن المؤكد أن هذه الدراسة تمثّل توجهاً علمياً يمكن أن تُبنى عليه الفروض العلمية لدراسات مستقبلية تعتمد المناهج العلمية بشقيها الكيفي والكمي لبناء تراكم معرفي متخصص تشتد حاجة المجتمع السعودي إليه في ظل الانفتاح الإعلامي و تزايد مجالات المشاركة السياسية فيه.

* * *

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية :

١- **أبو الخير**، مختار محمد فؤاد. الاتصال الشخصي بين التلقين و خلق الوعي لتنمية الإنسان بالريف: دراسة تجريبية على قريتين مصريتين. مجلة بحوث الاتصال، كلية الإعلام، جامعة القاهرة. العدد الثامن، ديسمبر ١٩٩٢، ص ص ١١- ٣١

٢- **البشر**، محمد بن سعود. مقدمة في الاتصال السياسي. الرياض ، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م.

٣- **حمدي** ، حسن. الاتصال و بحوث التأثير في دراسات الاتصال الجماهيري. القاهرة، بدون ناشر، ١٩٩٣م.

٤- **الجميعة**، أحمد بن محمد. حرية الرأي و التعبير الإعلامي في المجتمع السعودي. بحث غير منشور، ١٤٢٧هـ .

٥- **العسكر** ، فهد بن عبدالعزيز. معالجة مواد الرأي في الصحف السعودية لقضايا الإرهاب المحلي. بحث مقدم لمؤتمر: موقف الإسلام من الإرهاب جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض ، ١- ١٤٢٥/٣/٣هـ .

٦- **عرفة**، محمد. الاتصال الشخصي و قيادة الرأي في مجال تنظيم الأسرة: دراسة نظرية و تطبيقية. مجلة بحوث الاتصال، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الثامن، ديسمبر ١٩٩٢م.

٧- **عمر**، محمد زيان. البحث العلمي: مناهجه و تقنياته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Badaracco, Claire. (1992). "Religious Lobbyists in the Public Square." Public Relations Quarterly. Vol. 37, no. 1, P. 34.

2- Ball-Rokeach, Sandara.(1985). "The Origins of Individual Media-System Dependency." Communication Research. 12, PP. 485-510.

3- Brewer, John., & Hunter, Albert. (1989). *Multimethod Research: A Synthesis of Styles*. Sage; California.

4- Bockman, Sheldom; & William F. Gayk. (1977). Political Orientation and Political Ideology. Pacific Sociological Review. Vol. 20, No. 4, 536-552.

5- Brosius, Hans-Bernd; & Wiemann, Gabriel.(1996) "Who Sets the Agenda? Agenda-setting as a Two-step Flow." Communication Research, Vol. 23,no. 5., 561-580.

6- Buchalski, Robert M., Gibson, Jane Witney, & Tesone, Dana. (2000). "The Leader as Mentor." Journal of Leadership Studies. Vol. 7. No. 3.

7- Chan, Kenny K. & Misra, Shekar. (1990). Characteristics of the Opinion Leader: A New Dimension. Journal of Advertising. Vol. 19, No. 3, 53-60.

8- DeVito, Joseph. (1985). The Interpersonal Communication Book. New York: Harber & Row Publishing.

9- Fenton, James S. & Thomas R. Leggett. (1971) "A New Way to Find Opinion Leaders." Journal of Advertising Research. Vol. 11, 21-25.

10- Harik, Iliya F. (1971). "Opinion Leaders and the Mass Media in Rural Egypt: A Reconsideration of the Two-Step Flow of Communication Hypothesis." American Political Science Review. Vol. 65, 731-740.

11- Littlejohn, Stephen W. (1983). Theories of Human Communication. Belmont, California: Wadsworth Publishing Company.

12- Lowery, Shearon A. & DeFleur, Melvin L. (1988). Milestones in Mass Communication Research. Longman: New York.

13- Mclean, Deckle. (2003). "Determining what Constitutes Opinion." Communication and the Law. Vol. 25, No. 3.

14- McQuail, Denis.(1987). Mass Communication Theory: An Introduction. Sage, California.

15- Robert, House J., Spangler, William D., & Woycke, James (1991), "Personal Influence and Opinion Leadership." Administrative Science Quarterly. No. 3, PP. 366-378.

16- Silver, Diana; Weitzman, Beth & Brecher Charles. (2002). "Setting an Agenda for Local Action: The Limits of Experts." Policy Studies Journal. Vol. 30, No. 31.

17- Smith, K.A. (1987) "Newspapers Coverage and Public Concern About Community Issues." Journalism Monograph. Vol. 101, 1-34.

18- Wanta, W., & Wu, Y. (1992) "Interpersonal Communication and the Agenda-Setting Process." Journalism Quarterly. Vol. 69. 856-867.

19- Wiemann, G. (1991) "The Influentials: Back to the Concept of Opinion Leaders". Public Opinion Quarterly. 55, 267-279.

20- Wiemann, Gabriel.(1994). The Influentials: People Who Influence People. State University of New York Press, New York.

* * *

معايير العمل ومنظمة التجارة العالمية والآثار المتوقعة على المملكة العربية السعودية

د. خالد بن عبد الرحمن المشعل
كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

لم تنص اتفاقيات منظمة التجارة العالمية على موضوع انتقال الأشخاص الطبيعيين عبر الحدود الدولية، إلا في أحد ملاحقها، وبنصوص مقتضبة جداً تدل على أن حرية الدول في وضع الأنظمة والقوانين الخاصة بانتقال العمالة والإقامة وغيرها أمرٌ متروك للدولة وليس مطروحاً على بساط البحث بل تبين أن هذا الموضوع محل رفض من قبل الدول المتقدمة، خوفاً من إسقاطات ذلك على مجتمعاتهم من حيث النواحي الاقتصادية والاجتماعية مؤدية بمواقف شديدة معارضة لهذا الانتقال من قبل نقابات واتحادات العمال القوية. وتبقى مصادر القلق في إمكانية فرض قوانين وقواعد خاصة لتفعيل موضوع معايير العمل . ويعتبر هذا الموضوع أهم موضوع سيطرح على ساحة النقاش في اجتماعات دورات المنظمة القادمة، من خلال التحالف القوي بين المنظمة ومنظمة العمل الدولية على ضرورة تطبيق المبادئ الأساسية الضرورية المتضمنة في قوانين واتفاقيات منظمة العمل الدولية واعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الشروط الملزمة لقبول طلب أي عضو بالانضمام للمنظمة. وقد ركزت هذه الدراسة على انعكاسات هذه التوجهات على دول الخليج بوجه عام، وعلى المملكة العربية السعودية بشكل خاص.

١/ مقدمة:

تركزت معظم مفاوضات الجات (GATT) قبل وبعد إعلان مراكش عام ١٩٩٥م الذي تم فيه الإعلان عن قيام منظمة التجارة العالمية (WTO) لتحل محل الجات على موضوع التجارة (Trade) كموضوع أساس، وتم إدخال موضوع الخدمات بأنواعها كالنقل والاتصالات والخدمات المالية إلى نطاق المفاوضات بشكل تدريجي ، ولم يكن موضوع العمل مهماً في تلك الفترة ، ولكن منذ مؤتمر سنغافورة عام ١٩٩٦م بدأت مفاوضات العمل تأخذ طابع القوة، حيث أكد المؤتمرون على أهمية تطبيق معايير العمل Labor Standards وعلى أهمية تطبيق اتفاقيات منظمة العمل الدولية (ILO) التي تعتبر المرجع في هذا الشأن .

وعلى الرغم من أن اتفاقيات منظمة التجارة العالمية لم تنص على موضوع انتقال الأشخاص الطبيعيين عبر الحدود الدولية إلا في أحد ملاحقها وبنصوص مقتضبة جداً تدل على أن حرية الدول في وضع الأنظمة والقوانين الخاصة بانتقال العمالة والإقامة وغيرها أمر متروك للدولة وليس مطروحاً على بساط البحث. بل إن هذا الموضوع محل رفض من قبل الدول المتقدمة خوفاً من إسقاطات ذلك على مجتمعاتهم من حيث النواحي الاقتصادية والاجتماعية، مؤدية بمواقف شديدة معارضة لهذا الانتقال من قبل نقابات واتحاد العمال القوية. إلا أن التتبع الدقيق لتطور المناقشات في مفاوضات منظمة التجارة العالمية يدل على أن موضوع التجارة ومعايير العمل (Trade and Labor) هو الموضوع المهم والساخن في مراحل المنظمة القادمة. ويسعى الكثير من الدول المتقدمة المؤثرة على منظمة التجارة العالمية إلى وضع مبادئ وقوانين لهذا الموضوع وإدخاله ضمن إطار المنظمة حتى يكتسب القوة والإلزامية . ومن الجدير بالذكر أن معايير العمل الآنفة الذكر تتمثل في قوانين

بيئة العمل وحقوق العمال وحرية تكوين الاتحادات والنقابات وإزالة كل أنواع التمييز والقضاء على العمل الإجباري وعمل الأطفال .

ولا تشمل هذه المعايير أي قوانين تتعلق بحرية انتقال القوى العاملة بين الدول، والذي يحرص كثير من الدول المتقدمة على تجنب عرضه أو بحثه لما له من إسقاطات اجتماعية سلبية على أوضاع العمالة في الداخل كما ذكر آنفاً في الوقت الذي يسعى الكثير من الدول النامية في إثارة هذا الموضوع وجعله مجالاً للبحث في إطار هذه المفاوضات كما سيأتي توضيحه لاحقاً.

وعلى الرغم من كثرة الأبحاث والدراسات[1] التي تناولت اتفاقيات كل من منظمة التجارة العالمية ومنظمة العمل الدولية إلا أن هذه الدراسات في مجملها لم تركز على موضوع انعكاسات العلاقة بين المنظمتين فيما يتعلق بالتأثير الإلزامي على قوانين العمل.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة موضوع توجهات منظمة التجارة العالمية لتقنين

---

(١) انظر على سبيل المثال:

- Compa, Lance & Lyle, Fay. Justice For All: A Guide to Worker Rights in the Global Economy (Washington, D.C., American Center for International Labor Solidarity
- DiMatteo, Larry A. et al, "The Doha Declaration and Beyond: Giving a Voice to Non-Trade Concerns Within the WTO Trade Regime", Vanderbelt Journal of Transanational Law v. 36 no95 (January 2003)
- Hamid Mamdouh, MOVEMENT OF NATURAL PERSONS UNDER THE GAT S, IOM / World Bank / WTO Seminar on Trade and Migration, Geneva, 4 October 2004
- Katherine Van Wezel Stone, Globalization And Labor Standards (GALS) electronic database: http://www.laborstandards.org
- Wishnie, Michael J., "Immigrant Workers and the Domestic Enforcement of International Labor Rights", University of Pennsylvania Journal of Labor and Employment Law v. 4 no3 (Spring 2002)

معايير العمل وانعكاسات هذه التوجهات على دول الخليج بوجه عام، وعلى المملكة العربية السعودية بشكل خاص.

٢/ التجارة ومعايير العمل (Trade and Labor) الاتجاه الجديد :

قامت منظمة التجارة العالمية بالبدء فعلاً في تقنين معايير العمل بالمفهوم السابق من خلال إنشاء مجموعة عمل (working group)[1] داخل المنظمة وذلك لدراسة الآثار الاجتماعية والاقتصادية لفرض مثل هذه المعايير وآثارها الاقتصادية ويعتبر هذا الموضوع من أكثر الموضوعات جدلاً حيث يرى كثير من ممثلي الدول النامية أن هذا الموضوع لا يدخل تحت إطار منظمة التجارة العالمية وأن حرص الدول المتقدمة على إدراجه يعود إلى أسباب اقتصادية بحتة لحماية صناعاتها وتعزيز القدرة التنافسية لصادراتها . وفي المقابل ترى الدول النامية أن موضوع معايير العمل ليس إلا أداة لحجب الرؤية عن موضوع الميزة النسبة التي تتمتع بها الدول النامية والمتعلقة بانخفاض مستويات الأجور وبالتالي تكاليف إنتاج الصادرات . وإذا كان الاتهام الرئيس للدول النامية هو عدم تطبيقها لمعايير العمل التي سبقت الإشارة إليها والتي تجادل الدول المتقدمة بأنها هي السبب في انخفاض مستويات الأجور فإن الدول النامية ترى أن الرقي بمعايير العمل يمكن أن تتحقق من خلال النمو الاقتصادي بها وذلك لأن فرض أية عقوبات بسبب انخفاض معايير العمل يترتب عليه زيادة فقر هذه الدولة وسوء حال العمال بها .

ومع تسليمنا بأهمية هذا النقاش والجدل حول معايير العمل إلا أن المؤشرات بل وتصريحات الكثير من المسئولين في منظمة التجارة العالمية تدل على أن موضوع معايير العمل سيصبح جزءاً لا يتجزأ من قبول أو رفض عضوية أية دولة

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول القضايا المتعلقة بأهداف مجموعة العمل انظر تحت عنوان working group في موقع منظمة التجارة العالمية www.WTO.org ومنظمة العمل الدولية www.ILO.org .

إلى منظمة التجارة العالمية، بل إن منظمة العمل الدولية (ILO) نفسها مهتمة بما يسمى بالأبعاد الاجتماعية للعولمة كما صرح بذلك رئيس المنظمة "جوان سومافيا" (Juan Somavia) في كلمته التي ألقاها أثناء رئاسته لوفد منظمة العمل الدولية إلى مؤتمر سياتل عام ١٩٩٩م، حيث أكد على أهمية الربط بين التجارة والعمل (Trade and labor) ومنذ تعيين مايك مور (Mike Moore) رئيساً لمنظمة التجارة العالمية في سبتمبر ١٩٩٥م فقد التقى مراراً مع رئيس منظمة العمل الدولية وتبنى فكرة وجود ممثلين لكلا المنظمتين في كل اجتماع، والذي يعني تكامل الجهود لتحقيق أهداف مشتركة .

وجدير بالذكر أن المادة رقم (١٢) من دستور منظمة العمل الدولية تنص على تعاون المنظمة مع أية منظمة دولية مكلفة بتنسيق أوجه نشاطات المنظمات الدولية العامة ذات المسؤوليات المتخصصة في ميادين تتصل بعملها. كما تنص أيضاً أن لمنظمة العمل الدولية أن تتخذ ترتيبات مناسبة تتيح لممثلي المنظمات الدولية العامة أن يشتركوا في مداولاتها . وكان من آثار هذا التلاحم هو إصدار بعض القرارات المتعلقة بمعايير العمل، والتي كان من أهمها القرار المتعلق بالمبادئ المهمة للعمل عام ١٩٩٨م (Fundamental Conventions) وهذا القرار يركز على حصر مجموعة من اتفاقيات (Conventions) منظمة العمل التي تعتبر مهمة وضرورية جداً في مجال معايير العمل . وهذه الاتفاقيات هي :

١- الاتفاقية رقم "٢٩" : وتتعلق بإلغاء جميع أنواع العمل الجبري أو الإلزامي .

٢- الاتفاقية رقم "٨٧" : وتتعلق بضرورة الحرية النقابية وحماية حق التنظيم لكل من العمال وأصحاب العمل دون تدخل حكومي .

٣- الاتفاقية رقم "٩٨" : وتتعلق بشأن تطبيق مبادئ حق التنظيم والمفاوضة الجماعية والتي تكفل حماية العمال حماية كافية من كل عمل ينطوي على تمييز بسبب انتمائهم النقابي .

٤- الاتفاقية رقم "١٠٠" : والمتعلقة بشأن مساواة العمال والعاملات عن عمل ذي قيمة متساوية .

٥- الاتفاقية رقم "١٠٥" : والمتعلقة بإلغاء العمل الجبري "القسري" . وهذه الاتفاقية امتداد للاتفاقية رقم "٢٩" واحتوت على تفاصيل أكثر لأنواع العمل القسري الذي يأتي في مقدمته كل أنواع الرق.

٦- الاتفاقية رقم "١١١" : والمتعلقة بشأن إلغاء التمييز في الاستخدام والمهنة والذي من شأنه إضعاف مبادئ تكافؤ الفرص .

٧- الاتفاقية رقم "١٣٨" والمتعلقة بشأن الحد الأدنى لسن العمل.

٨- الاتفاقية رقم "١٨٢" : والمتعلقة بشأن حصر أسوأ أشكال عمل الأطفال في الرق والدعارة وتجارة المخدرات وغيرها . والإجراءات الفورية للقضاء عليها .

وبالإضافة إلى هذه الاتفاقيات المهمة توجد اتفاقيات أساسية (PriorityConventions) لا تقل أهمية عن الاتفاقيات السابقة، ويدخل تحت بند هذه الاتفاقيات من وجهة نظر منظمة العمل الدولية الاتفاقيات التالية :

١- الاتفاقية رقم "٨١" : والمتعلقة بشأن تفتيش العمل في الصناعة والتجارة لضمان تطبيق المعايير الخاصة بظروف العمل وحماية العمال أثناء قيامهم بالعمل .

٢- الاتفاقية رقم "١٢٢" : والمتعلقة بشأن سياسة العمالة والتغلب على البطالة من قبل الدول الأعضاء .

٣- الاتفاقية رقم "١٢٩" : والمتعلقة بشأن تفتيش العمل في الزراعة .

٤- الاتفاقية رقم "١٤٤" : والمتعلقة بشأن المشاورات الثلاثية بين ممثلي الحكومات وممثلي أصحاب العمل وممثلي العمال لتعزيز تطبيق معايير العمل الدولية .

وهذه الاتفاقيات الاثنتا عشرة تشكل في مجموعها الإطار الرئيس لأهم معايير العمل الدولية التي من المتوقع أن تكون ضمن الاتفاقيات المهمة التي ستتبناها منظمة التجارة العالمية. وسيكون تقييم تطبيق معايير العمل الدولية لكل دولة مبنياً على درجة تصديقها وتطبيقها لهذه الاتفاقيات المشار إليها أعلاه . ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن اتفاقية الحد الأدنى للأجور (Minimum Wage Fixing Convention) وهي الاتفاقية ذات الرقم ١٣١ من اتفاقيات منظمة العمل الدولية - والتي تنص على أنه يجب على كل دولة عضو تصادق على هذه الاتفاقية، إنشاء نظام للحد الأدنى للأجور بحيث يغطي كل أصناف أصحاب الأجور (all groups of wage earners) ، كما يجب أن يكون لهذا النظام قوة قانونية تطبيقية تجعل من عدم تطبيقه عرضةً للعقوبة – لم تدخل ضمن هذه الاتفاقيات المهمة والرئيسة على الرغم من أهميتها فيما يتعلق بمستويات الأجور في الدول النامية .

٣/ المملكة العربية السعودية واتفاقيات منظمة العمل الدولية :

تعتبر المملكة العربية السعودية عضواً في منظمة العمل الدولية منذ عام ١٩٧٨م وطبقاً للمعطيات والمعلومات الواردة في موقع منظمة العمل الدولية على شبكة

الإنترنت[1] فإن المملكة العربية السعودية قد صادقت وطبقت خمس عشرة (١٥) اتفاقية من بين (١٨٥) اتفاقية تم إصدارها منذ إنشاء المنظمة عام ١٩١٩م والاتفاقيات التي صادقت عليها المملكة هي كالتالي :

١ – الاتفاقية رقم "١" والمتعلقة بساعات العمل في الصناعة .

٢ – الاتفاقية رقم "١٤" والمتعلقة بالراحة الأسبوعية في الصناعة .

٣ – الاتفاقية رقم "٢٩" والمتعلقة بإلغاء العمل الجبري أو القسري .

٤ – الاتفاقية رقم "٣٠" والمتعلقة بساعات العمل في التجارة والمكاتب .

٥ – الاتفاقية رقم "٤٥" والمتعلقة بعمل النساء تحت سطح الأرض (underground work) .

٦ – الاتفاقية رقم "٨١" والمتعلقة بتفتيش العمل .

٧ – الاتفاقية رقم "٨٩" والمتعلقة بعمل النساء في الليل .

٨ – الاتفاقية رقم "٩٠" والمتعلقة بعمل الشباب (الأحداث) في الليل .

٩ – الاتفاقية رقم "١٠٠" المتعلقة بشأن مساواة العمال والعاملات في الأجر .

١٠ – الاتفاقية رقم "١٠٥" المتعلقة بإلغاء العمل القسري .

١١ – الاتفاقية رقم "١٠٦" المتعلقة بالراحة الأسبوعية في التجارة والمكاتب .

١٢ – الاتفاقية رقم "١١١" المتعلقة بإلغاء التمييز في المهنة والاستخدام .

١٣ – الاتفاقية رقم "١٢٣" المتعلقة بتحديد الحد الأدنى للعمل تحت سطح الأرض .

١٤ - الاتفاقية رقم " ١٧٤" المتعلقة بمنع الحوادث الصناعية الكبرى.

١٥ – الاتفاقية "١٨٢" المتعلقة بأسوأ أشكال عمل الأطفال.

---

(١) www.Ilo.org.com .

وبمقارنة الاتفاقيات التي صادقت المملكة عليها مع الاتفاقيات التي تدخل ضمن الاتفاقيات الضرورية والمهمة والأساسية من وجهة نظر منظمة التجارة العالمية ومنظمة العمل الدولية، نجد أن المملكة لم تصادق إلا على خمس اتفاقيات من بين اثنتي عشرة اتفاقية وهذه الاتفاقيات هي (٢٩، ١٠٥، ١٠٠، ١١١، ٨١) وعليه تبقى الاتفاقيات ٨٧، ٩٨ والمتعلقة بضرورة الحرية النقابية وحماية حق التنظيم، والاتفاقية ١٣٨ والمتعلقة بالحد الأدنى لسن العمل، والاتفاقية رقم ١٢٢ والمتعلقة بسياسة العمالة ، والاتفاقية رقم ١٢٩ والمتعلقة بشأن تفتيش العمل في الزراعة ، والاتفاقية رقم ١٤٤ والمتعلقة بشأن المشاورات الثلاثية لضمان تطبيق معايير العمل الدولية تمثل الاتفاقيات التي لم تصادق عليها المملكة على الرغم من تصنيفها ضمن الاتفاقيات الأساسية والمهمة في موضوع معايير العمل الدولية .

ومما يجدر قوله أن الصفة الإلزامية تكاد تكون ضعيفة داخل منظمة العمل الدولية على الرغم من أن المادة ٢٠ من دستور المنظمة تنص على أن كل اتفاقية تكون ملزمة للأعضاء الذين صادقوا عليها. كما تنص المادة ١٩ على تبليغ الاتفاقية التي تم التصويت على إقرارها إلى الأعضاء كي يقوموا بالتصديق عليها . وتتعهد كل دولة عضو في غضون سنة على الأكثر من تاريخ اختتام المؤتمر بعرض الاتفاقية على السلطات المختصة من أجل إصدار التشريع الخاص بها . إلا أن البنود لم تحدد قطعياً ضرورة التصديق، بل أشارت إلى ضرورة إبلاغ المدير العام لمكتب العمل بالموقف القانوني والعملي والعقبات إزاء المسائل التي هي موضوع الاتفاقية ، بل حتى الاتفاقيات التي تمت المصادقة عليها لا يخضع تطبيقها للصفة الإلزامية القطعية بقدر ما نص على ضرورة إرسال تقارير دورية بخصوص المعوقات والتدابير التي اتخذتها الدولة من أجل تطبيق وإنفاذ أحكام الاتفاقيات

التي تكون طرفاً فيها كما تنص على ذلك المادة ٢٢ من دستور المنظمة. والجدول أدناه يوضح موقف مجموعة من الدول المتقدمة والنامية من اتفاقيات منظمة العمل الدولية حتى تاريخ ١٥ مارس ٢٠٠٥م.

جدول (١): موقف مجموعة مختارة من الدول من اتفاقيات منظمة العمل الدولية حتى تاريخ ١٥ مارس ٢٠٠٥م.

الدولة	تاريخ العضوية	عدد الاتفاقيات التي صادقت عليها	عدد الاتفاقيات التي طبقتها
الولايات المتحدة	١٩٣٤❖	١٤	١٢
المملكة المتحدة	١٩١٩	٨٥	٦٦
فرنسا	١٩١٩	١٢٣	١٠٢
ألمانيا	١٩١٩❖❖	٧٧	٦٨
اليابان	١٩١٩❖❖❖	٤٦	٣٩
السعودية	١٩٧٦	١٥	١٥
الكويت	١٩٦١	١٨	١٨
الإمارات	١٩٧٢	٩	٩
قطر	١٩٧٢	٤	٤
عمان	١٩٩٤	٢	٢
البحرين	١٩٧٧	٨	٨

❖ عضو من عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٧٧ تم علقت عضويتها حتى عام ١٩٨٠.

❖❖ عضو من عام ١٩١٩ الى عام ١٩٤٠ تم علقت عضويتها حتى عام ١٩٥١.

❖❖❖ عضو من عام ١٩١٩ الى عام ١٩٣٥ تم علقت عضويتها حتى عام ١٩٥١.

المصدر: موقع منظمة العمل الدولية www.ILO.org

ومما يجب التأكيد عليه هنا أن ربط بعض اتفاقيات منظمة العمل الدولية وبخاصة تلك الاتفاقيات المتعلقة بمعايير العمل بمنظمة التجارة العالمية سيغير كثيراً من طابعها القانوني والتطبيقي وسيكسبها القوة والإلزامية، وهذا في حد ذاته يعتبر أهم وأخطر تطور في تاريخ اتفاقيات منظمة العمل الدولية.

وعلى الرغم من حدة النقاش والجدل إلا أن موضوع تبني منظمة التجارة العالمية موضوع ضرورة تطبيق معايير العمل وربط ذلك بالتجارة يعتبر موضوعاً شبه محسوم، وسيبقى الحديث في المفاوضات الجارية والمستقبلية حول آليات تطبيق هذه المعايير والتي ستصبح جزءاً رئيساً من مجموعة الشروط المطلوبة لقبول عضوية الدول في منظمة التجارة الدولية ، وهذا التقرير مستنبط من تصريحات رئيس المنظمة ومن تصريحات بعض المسؤولين في المنظمة والذي عبر عن أهمية هذا الموضوع بقوله : إذا لم ينجح المؤتمرون في تفعيل قضايا معايير العمل ضمن WTO فإنهم في الحقيقة يركبون في القطار المؤدي إلى نهاية ما يسمى بمنطقة التجارة العالمية .

وهذه التوقعات تجعل من الضروري الشروع في إيجاد صيغ مناسبة للتصديق وتطبيق الاتفاقيات الأساسية وبالذات تلك المتعلقة بحرية تشكيل النقابات وما يتبعها من مبادئ المشاورات الثلاثية. ولهذا يجب أن يكون الوفد السعودي المفاوض مهيئاً تهيئة كاملةً للدخول في المفاوضات والمناقشات حول هذه الموضوعات في المرحلة القريبة القادمة.

ومما لا شك فيه أن قرار مجلس الوزراء السعودي الصادر يوم الاثنين ٩/محرم/١٤٢٢هـ الموافق ٢/أبريل/٢٠٠١م والذي تضمن الموافقة على قواعد تشكيل لجان العمل بالصيغة المرفقة بالقرار، ومن أهم ما تضمنته هذه القواعد

تشكيل لجنة عمل واحدة في كل منشأة يعمل بها مائة عامل سعودي أو أكثر بما لا يقل عددهم عن ثلاثة أعضاء ولا يزيد على تسعة وتقوم اللجنة بتقديم توصيات لإدارة المنشأة حول الأمور المتعلقة بظروف العمل والإنتاج بها وسبل تحسينه وتطويره، يمثل مرحلة مهمة من جهود المملكة في سبيل تطبيق اتفاقيات المنظمة وبخاصة تلك المتعلقة بتشكيل نقابات للعمال بالشكل المتناسب مع إطارها السياسي والاقتصادي.

كما أن قيام المملكة بتنظيم انتخابات بلدية في عام ١٤٢٥هـ على مستوى كافة المناطق يمثل توجهاً واضحاً لحرص الحكومة على مزيد من المشاركة الشعبية في اتخاذ القرارات ذات العلاقة بالشؤون البلدية. ومما لاشك فيه أن هذا التوجه يتماشى مع مقتضيات الاتفاقية رقم "٨٧" من اتفاقيات المنظمة الاساسية.

٤/ حرية انتقال العمالة واتفاقيات منظمة التجارة العالمية:

سبقت الإشارة إلى أن موضوع انتقال الأيدي العاملة كان ولا يزال موضوع رفض من قبل الدول المتقدمة على الرغم من تمكن الدول النامية من فرض هذا الموضوع واستصدار قرار بالتفاوض عليه داخل إطار المنظمة في المدة التكميلية خلال الفترة حتى عام ١٩٩٥ أسوة بالبيئة وبعض الخدمات المصرفية والاتصالات والخدمات البحرية .

وتعود أسباب الرفض في مجملها إلى أسباب اقتصادية واجتماعية، تتلخص في أن من شأن حرية انتقال الأيدي العاملة إلى الدول المتقدمة أن تؤدي إلى زيادة نسبة البطالة نتيجة انتقال الأيدي العاملة من الدول النامية ذات الأجور المنخفضة للعمل داخل الدول المتقدمة كما سيؤدي إلى انخفاض مستويات الأجور للسبب نفسه . ولهذا تحرص الدول المتقدمة على رفض هذا الموضوع مدعومة بوسائل ضغط من

قبل الاتحادات والنقابات العمالية والتي تمثل الرأي العام خوفاً من الإسقاطات الاجتماعية والاقتصادية السابقة .

وتشير الدراسة التي أعدها الاتحاد الأمريكي للعمال والمؤسسات الصناعية (AFL-CIO) في نوفمبر عام ١٩٩٩م إلى أن تحرير التجارة بين الدول الأعضاء في منطقة التجارة الحرة لدول أمريكا الشمالية (النافتا NAFTA) قد كلفت الأمريكيين الآلاف من الوظائف منذ عام ١٩٩٣م فكيف باتفاقيات دولية على مستوى WTO .

والأمر لا يقتصر على هذا فحسب بل إن حرص الدول المتقدمة على إدخال موضوع معايير العمل وربطه بالتجارة يعود إلى أسباب اقتصادية بحتة لتكون هذه المعايير وسيلة ضغط على الدول النامية لتخفيض صادراتها بحجة أنها لم تطبق معايير العمل الدولية بالشكل الصحيح الذي يتيح لها المنافسة مع السلع الأخرى . وهذا الأمر يهيئ الفرصة للدول المتقدمة لفرض رسوم جمركية عالية أو حتى منع الاستيراد لهذه الحجج .

ويؤيد هذا الاتجاه تقرير المدير العام لمؤتمر العمل الدولي في دورته ٨٢ عام ١٩٩٥م حيث ورد في التقرير أن البلدان الصناعية تتخوف من أن مستويات معيشتها تتعرض للتهديد من البلدان ذات الأجور المنخفضة ، وخاصة البلدان المصنعة حديثاً . وتكمن هذه المخاوف في أن نمو الواردات الرخيصة من البلدان النامية ، إلى جانب نقل أماكن الإنتاج إلى هذه المواقع منخفضة التكلفة ، قد يؤدي إلى تصفية الصناعات وضياع الوظائف وانخفاض الأجور بالنسبة للعمال غير المهرة في البلدان الصناعية . ومن هذا المنظور فإن استمرار الاتجاهات الجارية في التجارة وتدفقات الاستثمار قد تؤدي إلى هبوط مستويات المعيشة في البلدان الصناعية إلى

المستوى القائم في البلدان ذات الأيدي العاملة الرخيصة . وليس بالغريب أن تكون هذه الأفكار هي أساس النزعة الحمائية في العديد من البلدان الصناعية. وفي هذا إشارة إلى الرسالة الشهيرة المعروفة برسالة Hoover-Roosevelt عام ١٩٣٢م فيما يتعلق بالسياسة الخارجية لأمريكا والتي تنص على أنه لا يمكن لأمريكا أن تتنافس مع العالم الخارجي بسبب انخفاض الأجور وتكاليف الإنتاج في الخارج . وهذه الرسالة لا زالت تمثل اختصاراً ليس لموقف أمريكا وحدها ولكن أيضاً لموقف الكثير من الدول المتقدمة تجاه الوضع التنافسي لها مع الدول النامية في الوقت الحاضر.

ولهذه الأسباب أدخلت قضايا معايير العمل وربطت بالتجارة وتبنيت هذه الفكرة من قبل الدول المتقدمة لأسباب تبدو في ظاهرها إنسانية واجتماعية ، ولكنها تعكس في الحقيقة جوانب اقتصادية تؤدي إلى إضعاف الموقف التنافسي للدول النامية ذات الكثافة العمالية لزيادة تكاليف الإنتاج لما يتطلبه تطبيق معايير العمل الدولية من تكاليف.

وفي هذا الإطار تم إدخال ما يسمى بالشرط الاجتماعي "Social Clause" في إطار السعي إلى إيجاد توازن بين حرية التجارة الدولية ومراعاة معايير دنيا للعمل . وتدافع الدول المتقدمة عن أهمية هذا الشرط في كافة الاتفاقيات والمعاهدات الدولية بما فيها منظمة التجارة الدولية ، حيث يتمثل هذا الشرط في اتفاقيات منظمة العمل الدولية المهمة والرئيسة والتي تكفل الحرية النقابية والتعبير وحظر العمل الجبري والمفاوضة الجماعية والتمييز في المعاملة وكفالة الحد الأدنى للسن المسموح به لعمل صغار السن وحماية المرأة العاملة .. إلى آخره .

وتشير دراسة أعدها مكتب العمل العربي تحت عنوان انعكاسات اتفاقية الجات على القطاعات الاقتصادية في الدول العربية عام ١٩٩٥م[١] إلى أن المطالبات بالشرط الاجتماعي توحي بمظاهر الرحمة إلا أن باطنها هو البعد الاقتصادي الذي سبقت الإشارة إليه . وذلك لأن قيام إحدى الدول الأعضاء في المنظمة بتشغيل المؤسسات الإنتاجية في ظل ظروف العمل المتدنية وأجور هزيلة يعني قدرة هذه الدولة على تصدير منتجاتها بأسعار منخفضة . وهذا في رأي الدول المتقدمة يعد اكتساباً لمزايا غير مشروعة على منافسيها من الدول الأخرى التي تراعي الحدود الدنيا للعمل وتتقيد بتطبيق الظروف الإنسانية للعمل .

فالهدف إذاً هنا هو تحقيق مصالح مزدوجة تتمثل في تخفيف وطأة ظروف عمل ومعيشة القوى العاملة في البلدان المصدرة من ناحية وحماية صناعات البلدان المستوردة من انحراف اجتماعي ، وترى الدول المتقدمة في هذا الصدد ضرورة إيجاد آلية تسمح بفرض حظر وتقييد الاستيراد من الدول التي لا تقيم وزناً للمعايير الدنيا للعمل .

وفيما يتعلق بوجهة الدول النامية ترى أن هذا الشرط لا يمثل سوى فرض لإجراءات الحماية التي تسعى بها الدول الصناعية لتقييد قدرات الدول النامية في تصدير سلعها والتي تكمن ميزتها التنافسية في تدني تكلفة عنصر العمل في مقابل خفض الرسوم والحواجز الجمركية .

وتبقى المخاوف في سعي الدول المتقدمة لفرض الشرط الاجتماعي وربطه بالمسائل التجارية باعتباره قيداً ينجم عنه بالفعل إقرار عقوبات تجارية واقتصادية

(١) انظر مكتب العمل العربي ، انعكاسات اتفاقية الجات على القطاعات الاقتصادية في الدول العربية ١٩٩٥م

قد تصل إلى ربط آليات منظمة التجارة العالمية مع ما يطبقه صندوق النقد الدولي والبنك الدولي مما قد يحرم الدول النامية من برامج المعونات التي يقدمها البنك الدولي ويعوق سياسة التحرير والإصلاح الاقتصادي الذي تسعى إليه هذه الدول. ولن يختلف الوضع حتى ولو كانت الدولة عضواً في منظمة التجارة العالمية، فستبقى المخاطر المتعلقة بحظر الاستيراد أو فرض رسوم جمركية عالية قائمة طالما أن هناك قصوراً في تطبيق معايير العمل. وهذا يوحي بالتحدي الكبير الذي ستواجهه الدول النامية بما فيها المملكة العربية السعودية.ومما يجدر ذكره هنا أن جميع دول مجلس التعاون الخليجي أصبحت أعضاء في المنظمة بانضمام المملكة في ديسمبر عام ٢٠٠٥م لتصبح العضو (١٤٩) في هذه المنظمة العالمية.

* * *

٥/ الخاتمة:

تبين من هذا البحث أن اتفاقيات منظمة التجارة العالمية لم تنص على موضوع انتقال الأشخاص الطبيعيين عبر الحدود الدولية إلا في أحد ملاحقها وبنصوص مقتضبة جداً تدل على أن حرية الدول في وضع الأنظمة والقوانين الخاصة بانتقال العمالة والإقامة وغيرها أمر متروك للدولة وليس مطروحاً على بساط البحث ؛ بل تبين أن هذا الموضوع محل رفض من قبل الدول المتقدمة خوفاً من إسقاطات ذلك على مجتمعاتهم من حيث النواحي الاقتصادية والاجتماعية مؤدية بمواقف شديدة معارضة لهذا الانتقال من قبل نقابات واتحادات العمال القوية.

وتبقى مصادر القلق في إمكانية فرض قوانين وقواعد خاصة لتفعيل موضوع معايير العمل والمتمثل في وجود قوانين تحفظ للعمال حقوقهم وحرياتهم في تكوين اتحادات ونقابات بالإضافة إلى القوانين المتعلقة بتحديد ساعات العمل وسن العمل وغيره.

ويعتبر هذا الموضوع أهم موضوع سيطرح على ساحة النقاش في اجتماعات دورات المنظمة القادمة، من خلال التحالف القوي بين المنظمة ومنظمة العمل الدولية على ضرورة تطبيق المبادئ الأساسية الضرورية المتضمنة في قوانين واتفاقيات منظمة العمل الدولية واعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الشروط الملزمة لقبول طلب أي عضو بالانضمام للمنظمة. بل ومن المتوقع أيضاً أن تمتد آثار ذلك حتى على الدول النامية الأعضاء في المنظمة.

* * *

مصادر البحث:

١- موقع منظمة العمل الدولية على شبكة الإنترنت: www.Ilo.org.com.

٢- موقع منظمة التجارة العالمية على شبكة الإنترنت :www.wto.org.

٣- مكتب العمل العربي ، انعكاسات اتفاقية الجات على القطاعات الاقتصادية في الدول العربية ١٩٩٥م.

٤- موقع وزارة العمل في المملكة العربية السعودية : (www.mol.gov.sa).

٥- اليحيى، أحمد بن محمد، توطين الوظائف واتجاهات العمل، دراسة عمالية ١٤١٨هـ

6- Arthurs, Harry, "Reinventing Labor Law For the Global Economy: The Benjamin Aaron Lecture", Berkeley Journal of Employment and Labor Law v. 22 no2 (2001)

7- Anderson, Gordon, "Labour Law in a Globalising World", Modern Law Review v. 66 no4 (July 2003)

8- Background paper presented on IOM / World Bank / WTO Seminar on Trade and Migration, Geneva, 4 October 2004

9- Compa, Lance & Lyle, Fay. Justice For All: A Guide to Worker Rights in the Global Economy (Washington, D.C., American Center for International Labor Solidarity

10- DiMatteo, Larry A. et al, "The Doha Declaration and Beyond: Giving a Voice to Non-Trade Concerns Within the WTO Trade Regime", Vanderbelt Journal of Transanational Law v. 36 no95 (January 2003)

11- Hamid Mamdouh, MOVEMENT OF NATURAL PERSONS UNDER THE GAT S, IOM / World Bank / WTO Seminar on Trade and Migration, Geneva, 4 October 2004

12- Katherine Van Wezel Stone, Globalization And Labor Standards(GALS)electronic database: http ://www . laborstandards .org

13- Wishnie, Michael J., "Immigrant Workers and the Domestic Enforcement of International Labor Rights", University of Pennsylvania Journal of Labor and Employment Law v. 4 no3(Spring2002.

* * *

Mossop, B. (1982) 'A procedure for self revision', Terminology update 15 (3):6-9.

NAATI (1993) *Manual for Interpreter and Translator Examiners.* Canbrra: National Accreditation Authority for Translators and Interpreters.

O'Malley, J.M. and A. U. Chamot (1990) *Learning strategies in Second Language Acquisition.* Cambridge: Cambridge University Press.

Pienemann, M. and M. Johnston (1987) 'Factors influencing the development of language proficiency', in D. Nunan (ed.) *Applying Second Language Acquisition Research.* Adelaide: National Curriculum Resource Center, pp.45-141

Shannon, C.E. (1948) " A Mathematical Theory of Communication". Bell Systems Technology Journal 27/3. 379-4223, 27/4. 623-656.

Stern, C.M. (1984) 'The accreditation program of the American Translators Association', in Patrucia . Newman (ed.) *Proceedings of the 25th Annual Conference of the ATA.* Medford, NJ: Learned Information Inc., pp.19-23.

Tirkonnen-Condit, S. (1985) Argumentative Text Structure and Translation. Jyvaskyla: University of Jyvaskyla.

References:

Anderson, J.R. (1985) Cognitive Psychology and its Implications (2nd ed.). New York Freeman.

Bell, R. (1991) *Translation and Translating*: Theory and Practice. London: Longman.

Fau, S. (1990) 'a statistical method for translation quality assessment', *Target* 2 (1):43-67.

Fried, L. (1983) 'On the validity of language tests', in K. Hyltenstam and M. Pienemann (eds) *Modeling and Assessing Second language Development.* Clevedon: Multilingual Matters, pp.347-71.

Halliday, M.A.K. (1993) *Language in Changing World.* Canberra: Applied linguistics Association of Australia (occasional paper No. 13).

Hayes, J.R., Flower, L., Schriver, K.A., Startman, J.F. and L. Carey (1987) 'Cognitive process in revision', in S. Rosenberg (ed.) *Advances in Applied Psycholinguistics,* Vol. 2 *Reading, Writing and Language learning.* Cambridge: Cambridge University Press, pp. 176-240.

Hosingtong, B. and P. Horguelin (1980) *A Practical Guide to Bilingual Revision.* Montreal: Linguatech.

Kachroo, B. (1984) 'Textual cohesion and translation", Meta 29 (2): 128-34

Kalina, S. (1992) 'Discourse processing and interpreting strategies – an approach to the teaching of interpreting', in C. Dollerup and A. Loddegaard (eds) Teaching *Translation and interpreting. Training, Talent and Experience.* Amsterdam: John Benjamins, pp.251-7.

Krashen, S. (1977) 'The monitor model for adult second language performance', in Burt, M. Dulay, H. and M. Finocchiaro (eds) Viewpoints on English as Second Language. New York: Regents, pp.152-61.

Krings H. (1986) 'The translation strategies of advanced German learners of French', in J. House and S. Blum Kulka (eds) *Interlingual and Intercultural Communication.* Tubingen: Gunter Narr Verlag, pp.263-76.

there is no accepted alternative to translation testing there is no reason why accreditation tests can not be analyzed to provide the same kind of competence information, which then can be used to supplement the judgments made from marking, and therefore increase the reliability of the test.

Stern (1984), in his discussion of the American Translator Association (ATA) accreditation program, suggests that the ATA tests should be held in relaxed conditions where the candidate is not subjected to deadlines and interruptions. The gulf between the test and the workplace makes one suspicious of the predictive validity of the test. Fried (1983) has proposed that in testing there should be a notion of ecological validity. This suggests that a valid test is one that includes all the language situations that will be relevant to the candidate. A maximally ecologically valid test is an ideal rather than a reality.

It is the hope that additional research on translation dimensions and ramifications will yield further significant insights about the way textual competence develops in language learners. Textual competence is emphasized here because it plays a decisive role in how translation relates to the organization of language above the level of the sentence.

I believe that translation-competence can be separated into relatively independent components and those components can be used as building blocks in a curriculum design. Translation education is an intervention in the development of the various components of translation competence.

(1993). The problem with this error-deduction translation testing is that there appears to be no explicit learning theory on which it is based. There seems to be an idea that a global competence can be assessed but no real consideration is given to any notion of learning or underlying competence.

Since research in translation studies often lack the element of empirical validation, I can argue that there is no reason why the marking of a translation test should not include an analysis of textual competence, disposition and monitoring competence that I have emphasized earlier. The findings of the analytical observation of translation competence obtained through this approach have the potential to improve the validity of translation tests and, in turn, the kind of information that they can generate.

The central question here is "can we find a way to judge whether a translation test will give a consistent result so that the clients of accredited translators can have confidence in the test? Given the difficulties outlined above, the only recourse is to judgments of inter-marker reliability. In this case, one marker's scores for a group of subjects are contrasted with another marker's scores for the same subjects on the same test. If this procedure is repeated over a number of tests and a number of markers, a picture would eventually built up of the reliability of the total testing process. It is virtually inevitable that accreditation tests will have to rely on inter-marker reliability.

However, it is reasonable to suggest that the overall process of accrediting translators can be made more reliable by bringing into play the translation competence profiles used in conjunction with tests. Besides, translated texts can reveal extremely insightful information about separate competences that underlie the ability to translate. As long as

an assessment of the quality of translation, a quantification of its strength and weaknesses, and a guide to the complexity of the source language text.

The other testing procedure described by Fau (1990) is admittedly experimental. He advances the theory of fuzzy logic which is employed to make sense of judgments like rather good, very bad, etc. That's because, as Fau rightly claims, translation assessment is traditionally qualitative rather than quantitative. Thus he sets up a hierarchy beginning with a linguistic variable of quality (in the special sense of a piece of natural language that can be computed). The next level is a binary split into good and bad, followed by a level of fuzzy-restricted values such as very good, rather bad, etc. Finally, the fuzzy-restricted values are tied to a set of base values from 10 to 100. All of this is fine until we come to what we might call the expert system behind the fuzzy logic. This expert, as it is claimed by Fau (1990:45) is based on no more than 'A brief survey of the views of some of the most influential writers in various periods and cultures, along with a random selection of sentences that completely ignores the significance of the textuality of the passage chosen for the test.... According to Fau (1990) fuzzy logic is seen as one solution to giving computable values to subjective judgments; but other scholars would argue that there is a need for a considerable tweaking to accept fuzzy values rather than correct/incorrect values.

Testing

Traditionally, testing of a translation performance is normally based on the error model of marking; the marking of errors on relation to some not necessarily explicit or fixed 'ideal' version to which the student version is expected to approximate (Hosington and Horguelin, 1980 and NAATI

a qualitative judgment. This qualitative aspect is mainly of importance in documenting borderline failures; passing or failing candidates are generally identifiable on a first reading. There is flexibility in the weighting of errors, if there were not, the system would be grossly unfair since it has no means of moderation on the grounds of the difficulty of the source text, or even the language pair. The marking scale of the Canadian Translators and Interpreters Council CTIC (in Hosington & Horguelin, 1980) is a deductive system with the error points graded according to the nature of the error. Errors points are graded as follows:

Nonsense	- 20
Contresens	- 10 to -15
Omission	- 5 to – 15
'Faux sens'	- 5 to – 15
Excessive borrowing	- 5 to – 10
Syntax and grammar	- 5 to – 10
Spelling	- 2 to -5
Overall quality (composition)	+ or – 20

The Canadian Language Quality Measurement System, according to Hosington and Horguelin (1980: 15-16), works quite differently: The source language text is broken into translation units (although the theoretical rationale for the breakdown is not discussed) and a grid of fifteen criteria is built. There are three groups of criteria:

a) under 'translation process': meaning, terminology, structure, effect, shifts; b) 'composition' includes: 'editing, syntax, usage, style, logic, tone'; c) criteria affecting both the source language text and the target language text, which are: nuance, additions, omissions, approach, The grid allows for

translator-education, the notion of separable translation competences can allow for the design of other strategies that may not involve actual translation. The principle that individual translators will develop, in the various competences at different rates, strongly suggest that individualized strategies as explained earlier are the most appropriate.

Using translation competence as the focus allows much of the responsibility to shift to the student. This shift can be realized through accurately focused individualized work. The maxim is that the underlying competences can be described and intervention can be affected at the level of competence. In that case the evaluation of teaching ought to be made, in part at least, on the basis of progress in the development of the competences. The question that a translation competence profile can ask on the teacher's behalf is 'To what extent did my teaching cause progress in class X this year as opposed to last year?' I do not suggest any radical teaching and learning techniques, rather the selection of well-tried techniques to intervene in the development of specific components of translation competence. The assessment of translation quality is best seen as a matter of profiling the competence of learners, rather than simply measuring the quality of their output.

Weighing errors

Accrediting authorities are major stakeholders in the enterprise of translation. They seek methods of assessing translation performance that will provide a guarantee that the accredited translator will perform consistently well at a defined level. The National Accreditation Authority for Translators and Interpreters (NAATI) (1993), in Australia, has a qualitative procedure that serves to give some weight to

The power of language in translation is an issue that works at a far higher level of operation than that of some immigrant individual trying to break through the genre barrier. The translation range is quite wide: some translators write just like the formal written languages of the native (the language of the power); others' writing indicates that they just picked the language up (that is the informal spoken language of the low class)....etc

The difference between translation process and translation competence is that in the process the investigator ought to provide a coherent set of explanations for observed data. In the end it asks why and how the abilities of translators differ and develop. It may draw on models of or theories about the translation process and it may contribute to the falsification of these models or theories. A pertinent example here is Krings' (1986) model of the translation process, which accounts for monitoring strategies. It has been criticized because it does not account for disposition.

Textual competence into the first language ought to concern itself with much more subtle distinctions e.g., can the subject translate into a number of genres, for example the language of insurance policies, committee reports, patent applications, etc.? The potential textual competence possessed by the translator into the first language is staggering: it is the ability to possess the linguistic power of the lawyer, the doctor, the engineer, the politician, the public servant. That explains why accreditation examinations and university examinations in translation use particular texts to serve some particular purpose, and why textual competence is a key issue of translation competence.

Thus far I have to state that while actual translation is a central teaching and learning strategy in any program of

approach. My students' dispositions showed that some variation in translation competence is due to factors other than second language textual competence. My classroom observations have suggested to me that in some students, target-language control breaks down more quickly than in others; and that the aspects of the target language system, down under pressure, differ from one subject to another. This is an effective reference to the issue of stamina referred to earlier. Thus I can argue that disposition reflects the individual's approach to the task. If disposition is a non-linguistic phenomenon, then it ought to be more or less evident whether one is translating into his/her first language or the second language. However, disposition may manifest itself slightly differently between the first language and the second language.

In disposition, the translator is a risk-taker, in the sense that he is prepared to sacrifice the source language structure for a more satisfying target language version. But, again, in monitoring, the translator automatically reproduces the approximate source language word order but fails to monitor the mis-assigned syntactic relation in the target text. Monitoring component has to do with both target language competence and individual approach. The notions of disposition and monitoring competence belong more in the psycholinguistic domain. That explains why monitoring is affiliated to both target language competence and the approach utilized by the individual translator. In fact, monitoring ability differs systematically from student to student and the ability to monitor output is indeed a describable facet of translation competence.

Process and textual competence

increasing skill with which a child rides his/her first bicycle. The pattern for a sprint race is different from that for a long-distance tourer. Based on this similitude, I can argue that there is no reason why a model of translation competence should not reflect the same relative independence among its components. The fact that each component is related to a different facet of the translation process is an indication that the components are independent. Thus, it can be admitted that a study of translation competence shows that competence in translation is divisible into describable interrelated components.

Components & disposition

I have identified three components to be accounted for in any study of translation competence: 1) target language textual competence, 2) disposition, 3) and monitoring competence. Here is a reflection on each one of them. A key element in translation competence into the second language is textual competence or the ability to manipulate the genre potential of the target language by deploying grammar and lexis above the level of the sentence. Through an observation of the students' translation performance, I have come to notice that there was systematic stylistic variations ranging from language more typical of informal spoken English to language more typical of formal written English. Some variation was due to a more general, individual factor that I call disposition.

This disposition component reflects individual characteristics of the translator, which are unrelated to both language competence and the way in which these characteristics leave an impact on the job of translating. Disposition concerns itself with how individuals' translation performance is mediated by their overall individual

translators into the second language have poorer judgments about output quality than into the first language. This parallel would involve equating second language writing with the notion of 'novice' and first language writing with 'expert'.

I have become convinced that monitoring is characterized by a good awareness of the need for correction and an awareness of the ability to tailor editing strategies to the structural demands of different texts. But frequent edits do not address the problem of linguistically poor output. Sometimes, monitoring does suggest an ability to address different structural challenges with a tendency towards revision at the expense of correction of linguistically mediocre output. I have come to note that a group of my student-translators, working into the second language, have a poorer idea of the quality of their output than when they work into their first language. This is a strong indication that to monitor output is a facet of translation competence. The very notion of proposing that a competence can be divided into separate, underlying components implies the relative independence of those components. A relevant example would be the ability to ride a bicycle. That exerciser would comprise a number of components such as balance, stamina, mental agility, and others. In an average group of cyclists, one is likely to find all kinds of combinations of those components, including: some with little stamina and good balance, some with little mental agility but plenty of stamina, and so on. By means of similitude, stamina (being an effective factor in any translation act) is the capacity the translator exerts to keep producing well-formed language products. The interrelationship among the components is a function of the different kinds of competence. The development of the components can be reflected in the

not a black and white one, and one would certainly not expect to obtain a simple qualitative measure. Rather, a prospective data would allow a qualitative description that may differ in its dimensions and reference points from one translator to another. The distinction between correction and revision cannot be a rigid one; and as long as there will be clear examples of correction and of revision, there will be contentious examples.

While one would generally regard revision positively as a reflection of the translator's ability to test hypotheses, one would interpret correction favorably in translators with linguistically poor output. Where a translator does little correction, this would be regarded negatively where output is poor and neutrally where output is good. Where the interpretation of editing level is related to the structural challenges, one would expect good translators to use more phrase- and clause- level edits. Where the challenge is lexical (simple syntax but varied or obscure vocabulary) word-and phrase level edits will be favored. A poor translator is predicted to focus on one level regardless of the differences in structural challenge.

There is a commonality between my assumptions and those of Hayes et al. (1987), even though their work appears to focus on what I call revision rather than correction, and is of course restricted to a monolingual context. According to Hayes et al. (1987:233) novices and experts differ in their approach to editing in the sense that 'experts see revision as a 'whole-text test'. On my part, I believe that a higher-level editing reflects textual competence in students. Similarly, novices persistently fail to perceive text problems that experts detect easily – this is a clear parallel to editing effectiveness, and a possible parallel to my finding that

effectiveness of correction than of revision because correction deals with violations of structural rules but revision, as such, is more subtly judged. This approach can also be utilized to measure the efficacy of students' correction.

In fact, there are parallels between my aforementioned correction/revision distinction and the self-monitoring strategies discussed in O'Malley and Chamot (1990). According to O'Malley and Chamot (1990: 136-8), editing evidently occurs at a number of structural levels: clause, phrase and word. I ,for a person, think there is no reason why editing should not also occur at sentence and text level. This proposed notion can be based on: a calculation of the percentage of segments in each text with uncorrected errors and no edits, uncorrected errors and edits, edits and no uncorrected errors, and no edits and no uncorrected errors. This measure allows a graphical representation of the quality of output and the effectiveness of editing. The conclusions that can be drawn from these observations are likely to be qualitative and fairly general; but nevertheless of great value. The prospective conclusions can be summed up in the following four points:

a) The subject's output is good and little real-time editing is required.

b) The subject's output is poor, but it is ameliorated by effective editing.

c) The subject's output is poor, and although they edit, it is to a little effect.

d) The subject's output is poor and little editing is attempted to ameliorate it.

Findings of this proposed notion can be used to characterize the editing ability of a translator. The picture is

possessive. Still, it is easy to follow the process of this analytical observation step by step:

First attempt: the Prince Charle's wife. In this revision, the subject appears to be unhappy with the possessive /'s/ not being attached to the head word, and an insertion is made which sacrifices the prince's name e.g., Revision 1: the <Prince's wife still> Prince Charle's wife. The subject rejects this strategy in revision 2: the < Prince's wife still> Prince Charles's wife. In revision 3, the subject tries out the *of* possessive: the <wife of> <prince's wife > Prince Charle's wife.

It seems that my students' strategy of correction is firmly anchored in lexico-grammar; it deals with breaches of spelling, morphology, and syntax, where the student-translator's thoughts are "look out" that is not written properly. My Students' revision, on the other hand, has to do with:

(a) semantic equivalence – the intention behind a revision might be 'That is not what the original really means' _ let's try another word', and

(b) it has to do with creating texts appropriately – 'That's not the right way to say it in this kind of text', or 'The text does not flow properly like that'.

In editing strategy, one would generally expect to find a narrow range of strategies in poorer translators and a wider range in better translators. A variety of strategies ought to reflect editing at various structural levels. For example, elections and insertions ought to be more characteristic of word-and phrase-level edits, while false starts ought to be more characteristic of phrase-and clause-level edits - where a long segment requires complete recasting. Thus I can argue that it should be much more straightforward to evaluate the

techniques in my students' approach: false start, bracketed detected alternative, deletion, insertion and partial switch. In false start, the translator begins a string, deletes what has been written, then resumes. Occasionally, the deleted material may be repeated on resumption, for example, *the subject matter* is not .... With bracketed alternative, the translator writes an alternative in brackets after a word or phrase, for example, from *(psychological doctor) psychiatrists*. With the deletion strategy, the translator deletes material from within a previously completed string, for example, *She loved.* The insertion-strategy works by material being inserted in a previously completed string with care, are indicated by chevrons in this example: and <*the*> *time has come*. In partial switch, the translator uses deletion and insertion to switch the position of some material, although in the new position less or more of the original appears: The subject is not only a <a matter of popularity> /subject of popularity.

Editing strategies

My students' editing appears to have the two main purposes of correction and revision. In editing for correction, the student attempts to correct some structural target language error. This is done, for instance, by inserting a definite article, rearranging the order of a noun phrase or deleting letters from a wrongly spelt word, for example, *number one in all Europpe/ Europe*. In editing for revision, the student-translator makes a revision to the translation itself, regardless of its structural well-formedness or otherwise, that's, for example, by changing the choice of a word or rearranging the order of a clause: the <wife of> <Prince's wife still> Prince Charle's wife. In fact, this example contains three revisions, all aimed at setting up an *of*

virtually instantaneous output repair we see when we observe translation being done in 'real-time editing', which stands for the translators' opportunity to intervene to improve their output.

At this point of analysis I have to point out that translation is a language task that requires intensive 'real-time editing' such as additions, amendments and deletions that take place as the translator proceed through the text. This real-time editing can be viewed as the instructor's opportunity to utilize in order to improve students' output. A close observation of my students' behavior in translation has shown that students' awareness of output quality varies among student translators; and at least part of that variation could be due to the quality of their real-time editing. I have also come to note that there is a systematic variation in the way student-translators make deletions, insertions and amendments as they work into second language.

On the face of things, it appears that students of Arabic language have a good awareness of their ability to translate into their mother tongue and a poor awareness into English. Their experience of language education might provide an explanation to this discrepancy. The poorer the target language ability, the less likely is able the translation trainee to assess that ability.

It is not only the students' awareness of output quality that matters, but it is also the monitoring ability that differs systematically among student translators. Monitoring ability is viewed here as one of the six describable facets of translation-editing competence. In the act of editing, six dimensions of describable editing features are involved: strategy, purpose, level, frequency, economy, and effectiveness. In the dimension of strategy, I detected five

going on (that is the kind observed in deletions and amendments) would appear to belong to the executing stage. This raises the possibility of revision as a process that can take place at various points in the language production process.

The issue of monitoring has been a concern among researchers. Krashen's monitor model (1977), with its checking facility, monitors spontaneous language output based on its agreement with learned rules. The model has been heavily criticized by Pienemann and Johnston (1987:66) simply because it is not expressed in terms of testable propositions about mental structures - as it is the case in translation acts.

The term revision, which Krashen (1977) calls monitoring, is also used in the sense of working over written texts (after they have been written) rather during their production. A small literature on this variety of revision is summarized in Hayes et al. (1987:176-80). This literature proposes a cognitive model of revision based on think-aloud protocols. O'Malley and Chamot (1990: 136-8) claim that in language production, students can be monitored at different levels: word, phrase or sentence level, style, their writing plans, and the effectiveness of their choice or strategy. Again, the model proposed in Krings (1986: 269), also based on think-aloud data, contains a set of monitoring strategies that include second language intuitions, spot-the-difference, monitoring-by-rules, special strategies for using reference books. In contrast to this approach and in his model of the translation process, Bell (1991) avoids inventing a monitor at all, that's despite his model's heavy reliance on notions from psychology and cognitive science. Mossop (1982) does discuss self-revision; but it is not quite the same thing as the

assessment of their own ability and weather this assessment could be related to some hidden other than the apparent factors. Initially, it is reasonable to propose that the capacity to judge one's own translation output should be a facet of translation competence. The better a translator's awareness of his/her output quality is, the more competent he/she is likely to be.

I have come to observe that my students' ability to edit output differs systematically from student to student. Besides, university students' perceptions of their ability to translate in and out of the first language are not the same. But for the purpose of analyzing related features of this phenomenon, here is a review of relevant literature. O'Malley and Chamot (1990:37-42) argue that the translation tutors' assessment would be close to an objective measure of the students' ability; and the results of the entrance test would also be likely to reflect at least some facet of their ability to translate. O'Malley and Chamot (1990) discuss three-stage models of language production based on Anderson's (1985). Such models have a construction stage (which deals with planning), a transformation stage and an execution stage - where a message is rendered into speech or writing. The kind of real-time editing that is done by translators could be thought of as occurring in the transformation stage, where language rules are applied to transfer intended meanings into the form of a message. O'Malley and Chamot (1990:38) argue that both composition and revision take place at the stage of writing. However, there is a difficulty here: the revision that takes place in the transformation stage of writing is presumably "internal" and only accessible through think-aloud verbalizations. The revision that takes place while writing is

significance that should be attached to them, and the best course of pedagogical action. What should be emphasized at this point is that a feedback, through marked translation and a study of translation competence profiles, has different though valid purposes and characteristics. A marked translation is characterized by: (1) a rapid feedback (a translation can be marked and returned within hours); (2) feedback into teaching (the results of marking can be used as the basis of a following class); (3) focus on specific teaching points (where there are common errors in a batch of marked translations, the teacher can focus on these in a following class); (4) low reliability (the inability of the test to sample widely gives an inbuilt low reliability); and (5) face validity (the test has face validity in that it has the appearance of testing the skill that is being taught). Through this approach, the teacher's annotation would not be diagnostic but perspective; not 'the real problem is…' but 'you should have written….' The alternative to this approach is for student feedback to come slowly from a periodically reviewed translation competence profile. I do not exclude the usefulness of marked translation feed back but rather I advocate a complementarity of both the marked translation and the translation competence profile simply because marked translation shapes teaching, while profile shapes learning.

The information to be obtained from a translation competence profile is likely to shape the way the student learns, rather than the way the teacher teaches. The competence profile addresses individual components of competence.

Upon pondering the claim stated by my students, I feel tempted to discuss the issue of my students' general

Like any educational enterprise, translation pedagogy and assessment revolves around the complementary interests of its stakeholders: students, teachers, course designers and accrediting bodies. Initially speaking, an analysis of translation competence can be used to provide a source of knowledge relevant to both translation cognitive processes and the translators' level of achievement accuracy. This claim stands in contrast to the conventional methods of feedback, which provides relatively unhelpful and unsystematic information. Without an analysis of translation competence, a student feedback would conventionally continue to be obtained through means such as :

a) Ephemeral reactions of teachers during discussion of translations generated around the class, b) Marked translations done as a homework or individual class assignment, c) Ordinary academic grading of work done in supporting subjects such as language improvement work and contextual studies.

The common practice of the teacher writing on the board the best preferred translation is artificial and necessitates a shift to the learners' competence components. The correctional 'error-model' of marking of errors in relation to some not necessarily explicit or fixed 'ideal' version to which the student is expected to approximate explains the failure to address underlying competences. Such marking has been in use to refer to underlying competences only incidentally and negatively by tagging an error and, according to the comprehensiveness of the accompanying comments, by indicating the error type.

Now it is the belief that a periodically reviewed profile of the student's underlying competences gives the teacher a much better clue as to the reasons for the errors, the

The idea of this paper arose from my students' inordinate surprise which they put across when they fail a translation assignment. Some of them seemed to think they were much better translators than what their translation product showed. The students' ability to estimate their translation differs between types of bilingualism. Their Poor language competence is linked to overestimation and their good language competence is linked to underestimation. The contrary case is that with knowledge comes modesty.

This phenomenon begs questions that are related to students' mental processes in translation such as - Do some translators perform their real-time editing internally, that is, before output is realized as writing? Do some perform at least part of this operation during the act of writing, rather than before? Are there some kinds of editing operations that occur internally and others that typically occur externally? Although I do not intend to answer these questions by developing a cognitive model, I still believe an analytical observation founded on established translation theories along with a brief review of some relevant research should be a tentative descriptive solution to the aforementioned phenomenon.

Traditionally, translation education has been in favor of a teacher-centered approach because of the common belief that the purpose of student translation work is to approximate some ideal version, as claimed by Shannon (1948). This means that as long as the translation text is the focus of translation education, a shift to a student-centered approach would continue to be unlikely. This study is an attempt to reverse the course and to shift the focus to the translator's competence components analytically.

DR. Atef Faleh Yousef
King Saud University
College of Languages and Translation

A shift to competence profile

الانتقال إلى دراسة السمات الشخصية لدى المترجم

ملخص البحث :

تعتبر الترجمة من منظور هذا البحث ، نظاماً متطوراً أكثر من كونه مجرد نسخة عن هدف مثالي يسعى طالب الترجمة إلى التقريب والسداد منه . وعليه فقد تم إجراء تشخيص تحليلي لردود فعل طلابي حيال تقييمهم لأنفسهم على أساس أن تقييم جودة الترجمة أمر يتعلق بشرح قدرات الدارسين بدلاً من قياس جودة ترجماتهم . إن هذا التوجه تؤيده فكرة أنه يمكن الفصل بين العناصر التي تدخل في الإمكانيات اللغوية عند الطلاب ، وبالتالي يمكن تحسينها وتطويرها .

لذلك تم في هذا البحث تحليل ما يقوم به الطلاب من تحرير لغوي ومراجعات ، استناداً لنظريات ذات صلة بحركة العقل والفكر في مجريات الترجمة وبأمور أخرى تتعلق بالاختبارات والمصادقة على الترجمة.

إن هذه الدراسة في نهاية المطاف ، مجرد نداء لمدرسي الترجمة بأن يتحولوا من دراسة ناتج الترجمة لدراسة المقومات والعناصر المكونة الأخرى التي تدخل في المهارات الفكرية واللغوية عند الطلاب.

IN THE NAME OF ALLAH,

THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

JOURNAL OF

AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD

ISLAMIC UNIVERSITY

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
DEANERY OF ACADEMIC RESEARCH

VOLUME 2 JAN. 2007

السعر : ١٠ ريالات

PRICE : 10 SR

JOURNAL OF

AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD ISLAMIC UNIVERSITY

الوطنية للتوزيع
AL WATANIA DISTRIBUTION
امتياز التوزيع بالمملكة العربية السعودية
الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع
الإدارة العامة - الرياض - العقيق - حي الصحافة
امتداد شارع العليا العام من الشمال
هاتف: ٤٨٧١٤١٤ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠

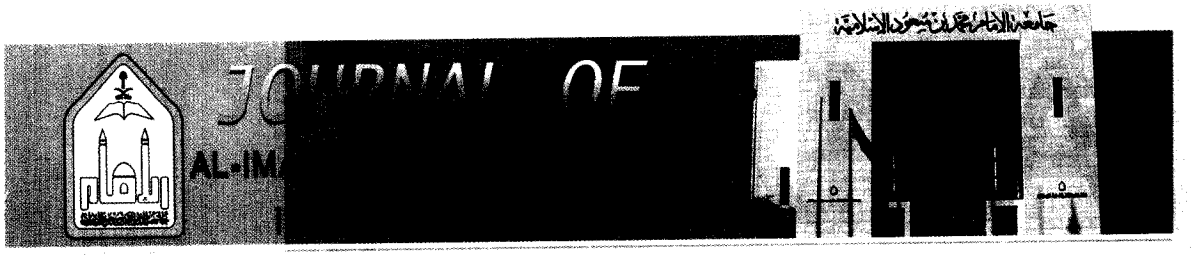

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
INISTRY OF HIGHER EDUCATION
.-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
ANERY OF ACADEMIC RESEARCH

VOLUME 2 JAN. 2007

السعر: ١٠ ريالات

PRICE : 10 SR